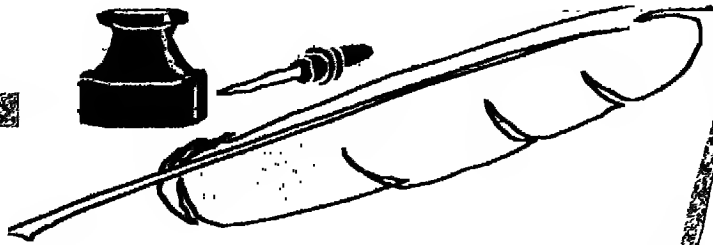


الدكتور
محمد فريد محمود عزت

المقالات والتقارير الصحفية

أصول إعدادها وكتابتها



١٩٩٨

اهداءات ٢٠٠٢

الدكتور / محمد فريد عزت

المقالات والتقارير الصحفية

أصول إعدادها وكتابتها

تأليف

الدكتور محمد فريد محمود عزت

١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

(حقوق الطبع والنشر والتوزيع محفوظة للمؤلف)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة



يغطي مسار هذا الكتاب ، حسب خطته الموضوعية ، فنين اثنين فقط ، من فنون المادة الصحفية وهما : فن المقال وأهم أنواعه .. وفن التقرير الصحفي وأهم أنواعه ... وذلك تلبية لاحتياجات ، ومفردات المنهج الدراسي في مادة التحرير الصحفي ، للسنة الرابعة بقسم الإعلام التربوي ، في كليات التربية النوعية ، والذي أقوم حالياً بتدريسه في بعض تلك الكليات

وقد راعيت تناول هذين الفنين بطريقة ميسرة ، تتفق مع مستوى طلاب هذا التخصص ، وتكفي لسد احتياجاتهم الدراسية في هذا المجال .. وكان الاعتماد بصفة خاصة على عدد من المراجع الأساسية ، وفي مقدمتها : كتاب (المدخل في فن التحرير الصحفي) للأستاذ الدكتور عبد اللطيف حمزة . وكتاب (دراسات في الفن الصحفي) للأستاذ الدكتور ابراهيم امام . وكتاب (فن الكتابة الصحفية) للأستاذ الدكتور فاروق أبو زيد ، بالإضافة الى عدد آخر من المراجع الثانوية ... كما تم دعم فصول الكتاب المختلفة بالنماذج التطبيقية المناسبة ، من كتابات بعض كبار الكتاب والصحفيين القدامى والجدد ، نقلاً من الجرائد والمجلات ، وبعض الكتب التي جمعت فيها كتابات بعضهم ..

وحسب الخطة الموضوعية اشتمل الكتاب على بابين رئيسيين : الباب الأول بعنوان (فن المقال وأهم أنواعه) ، وتضمن خمسة فصول : الفصل الأول بعنوان (تمهيد حول المقال وأقسامه) ... والفصل الثاني بعنوان (المقال الأدبي وأنواعه) ، والفصل الثالث بعنوان (المقال العلمي وأنواعه)

و الفصل الرابع بعنوان (المقال الصحفي وأنواعه) والفصل الخامس بعنوان (الإسمية واللا إسمية في الصحافة) ..
وكان الباب الثاني بعنوان (فن التقرير الصحفي وأهم أنواعه) ، واشتمل على أربعة فصول : الفصل السادس بعنوان (مفهوم التقرير الصحفي وكتابته) .. والفصل السابع بعنوان (التقرير الاخبارى) والفصل الثامن بعنوان (التقرير الحى) . والفصل التاسع : بعنوان (تقرير عرض الشخصيات) .
وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يحقق هذا الكتاب الغرض منه ، ويستفيد منه الطلاب الموضوع من أجلهم ... والله تعالى من وراء القصد

مدينة نصر : الخميس : ٣ رمضان ١٤١٨ هـ

أول يناير ١٩٩٨ م

د/محمد فريد محمود عزت

الباب الأول

فن المقال وأهم أنواعه

- الفصل الأول : تمهيد حول المقال وأقسامه .
- الفصل الثاني : المقال الأدبي وأنواعه .
- الفصل الثالث : المقال العلمي وأنواعه .
- الفصل الرابع : المقال الصحفي وأنواعه .
- الفصل الخامس : التسمية واللاسمية في الصحافه .

الفصل الأول

تهييد حول المقال وأقسامه

يطلق الانجليز على المقال إسم (محاولة - Essay) أى أنها شىء غير مكتمل يشبه المفكرات الخاصة ، والخواطر المتناثرة ، وعلى القارئ تكميل ما بالمقال من نقص .. ويقول معجم لاروس : " المقال اسم يطلق على الكتابات التى لا يدعى أصحابها التعمق فى بحثها ، أو الاحاطة التامة فى معالجتها . ذلك أن كلمة (مقال - Essay) ذاتها تعنى (محاولة - Epreuve) أو خبرة (Experience) أو (تطبيقاً مبدئياً - Premiere application) أو (تجربة أولية - Premiere tentative) " وعرفه قاموس أكسفورد فقال : " المقال هو انشاء كتابي معتدل الطول فى موضوع ما ، وهو دائماً يعوزه الصقل ومن هنا يبدو أحياناً أنه غير مفهوم ، ولا منظم " (١) ويعرف الدكتور صمويل جونسون (١٧٠٩ - ١٧٨٤) المقالة بأنها : " نزوة عقلية لا ينبغي أن يكون لها ضابط من نظام وهى قطعة لا تجرى على نسق معلوم ، ولم يتم هضمها فى نفس كاتبها . وليس الانشاء المنظم من المقالة الأدبية فى شىء " .

وقال البعض إن المقال فكرة ينقلها الكاتب من البيئة المحيطة به ، ويتأثر بها ، ويعبر عنها بطريقة ما ، حظها من النظام قليل ، وحاجتها إلى الترتيب والتمحيص والتدقيق أقل . ذلك أن الكاتب لا يقصد إلى التعبير بالمنطق الشكلى

(١) نقلاً عن كتاب عبد اللطيف حمزه / المدخل فى فن التحرير الصحفي (القاهرة - دار الفكر العربى - الطبعة الرزمة ١٩٦٨) ص ٢٢٦ و ٢٢٧ وكذلك كتاب ابراهيم امام / دراسات فى الفن الصحفي (القاهرة - مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٢) ص ١٧٩

الجامد ، وانما بالمنطق النفسى الانسانى . فالمقال يعرض فيه الكاتب على قرائه فكرة ، أو اتجاهها . كما يعرض لموضوع من الموضوعات التى يزجى بها وقت الفراغ مع بعض الجلساء^(١) .

هذه التعريفات السابقة وأمثالها ، إن صدقت على المقال فى طوره الأول ، فهى لاتصدق عليه اليوم ، بعد أن تفوق كتابه فى احكام نسجه ، واتقان تأليفه كما أن المقال بمرور الأيام واختلاف الكتاب ، أصبح عملاً منظماً ، يتطلب مزيداً من إحكام الصنعة ، وضبط التصميم ، والاتزان ، والنضج ، والهدوء ، وعدم الاسراف فى عرض العواطف عرضاً مثيراً ، إلا أن المقال مع هذا لا يبلغ مبلغ البحث المتعمق .

أقسام المقال الثلاثة:

وبعض الذين كتبوا عن المقال ، نظروا إليه من زاوية الأسلوب ، أو الصيغة قبل غيرها . ويذهبون إلى تقسيم المقال إلى ثلاثة أقسام رئيسية على ضوء المستويات الثلاثة التى تستخدم فى الكتابة وهى^(٢) :

المقال الأدبى والمقال العلمى والمقال الصحفى

فالمقال الأدبى : هو الذى يقف فيه الأدباء للتعبير عن عواطفهم ومشاعرهم الوجدانية ، وتجاربهم الذاتية الانسانية بوجه عام تجاه مواقف خاصة ، أو مواقف عامه ، ولهم فى هذا التعبير طرائق شتى تختلف باختلاف الأشخاص ، واختلاف العصور ، واختلاف البيئات .

وينقسم المقال الأدبى إلى عدة أنواع ، منها على سبيل المثال : المقال الوصفى أو العرضى ، والمقال النقدى ، والمقال النزالى ، والمقال

(١) المرجع الثانى السابق من ١٧٩ - ١٨٠ .

(٢) المخل فى فن التحرير الصحفى / مرجع سابق من ٢٢٢ - ٢٢٤ وكذلك كتاب فاروق أبو زيد / فن الكتابة الصحفية (القاهرة - دار المأمون للطباعة والنشر ١٩٨١) من ١٨٠ و ١٨١ .

الكاريكاتورى ، والمقال القصصى ، والمقال الذى على شكل مذكرات أو اعترافات ، والمقال الذى على شكل رسائل بين الكاتب وقراءة ، والمقال الذى على شكل خواطر وتأملات .

والمقال العلمى ، هو الذى يقف فيه العلماء ليعبروا عن الحقائق العلمية ، من خلال منهج علمى يقوم على الموضوعية المطلقة ، سواء كان ذلك فى العلوم الكونية أو التاريخية ، أو الأدبية . وهم فى هذا التعبير يلتزمون لغة تمتاز بالوضوح ، واستخدام الألفاظ التى تكون على قدر المعانى ، واصطناع المصطلحات التى اتفق عليها أهل كل علم من هذه العلوم .

وللمقال العلمى كذلك أنواع تختلف باختلاف المادة العلمية التى يخوض فيها الكاتب : فمقال فى مادة التاريخ ، وآخر فى مادة الطب ، وثالث فى مادة الفلسفة ، ورابع فى مادة الأدب من الناحية الوصفية وليس الانشائية وهكذا ، غير أنه يشترط فى المقال العلمى إذا أريد نشره فى صحيفة ، أن يبذل المحرر جهداً فى تبسيطه للقارئ ، ويغير هذا لتكون للصحيفة حاجة الى نشره .

أما المقال الصحفى : فهو وسط بين المقال الأدبى ، والمقال العلمى ففيه شئ من ذاتية الكاتب الأدبى ، وفيه شئ من موضوعية العالم .. وهو أيضاً على المستوى العلمى ، الذى يقف فيه الصحفى ليفسر للقراء أخبار البيئة التى يعيشون فيها ، والبيئات التى يتصلون بها أثناء نقلها ، وبعد نقلها والتعليق عليها ، والصحفى فى سبيل هذه الغاية يستخدم لغة يفهمها القراء ، ولا يشترط فيها ما يشترط فى لغة الأدب من خيال أو جمال ، أو ما يشترط فى لغة العلم من دقة بالغة فى تحديد معانى الألفاظ .

وللمقال الصحفى هو الآخر أنواع مختلفة ، أخذت تتطور حتى صار كل منها يشكل فناً صحفياً مستقلاً بذاته ، ومنها : المقال الافتتاحى ، والعمود

الصحفى ، واليوميات ، والمقال التحليلى ، والمقال النقدى .
إلا أنه بالرغم من ذلك ، ليس فى الاستطاعة الفصل فصلاً تاماً بين هذه
الأقسام الرئيسية الثلاثة التى هى : المقال الأدبى ، والمقال العلمى ، والمقال
الصحفى ، والسبب فى ذلك أنها تتلاقى فى كثير من الأحيان ، وتدع الباحث
المدقق فى حيرة .. خذ لذلك مثلاً مقال النقد ، فانه يعتبر ذاتياً وموضوعياً فى
وقت معاً ، أو بعبارة أخرى يعتبر فناً وعلماً فى آن واحد، له من الفن
ذاتيته ، وله من العلم موضوعيته .

فالنقد علم بمعنى أن له أصولاً وقواعد تنبغى مراعاتها ، ولايستطيع الناقد
أن يتجاهلها بحال من الأحوال . والنقد فن بمعنى أن صاحبه فى استطاعته أن
يبنى نقده على ذوقه الخاص ، وشعوره الخاص نحو القطعة الأدبية أو الفنية
التي يتعرض لها بالنقد ، ويزننها بميزانه ويطبق عليها أصوله فماذا
نسمى المقال النقدى إذن؟ هل نسميه مقالاً أدبياً صرفاً ؟ أم نسميه مقالاً علمياً
بحتاً ؟ أم ننظر اليه على أنه مزاج من المقالين ؟ ...

ويمثل هذه الطريقة فى الواقع تتلاقى فنون المقال على اختلافها ،
ويتداخل بعضها فى بعض ، إلى الحد الذى تصعب معه التفرقة بينها تفرقة
لاتقبل الشك^(١)

وفى مجال المقال الأدبى النقدى ، ظهرت فصول كثيرة فى الصحف ،
جمعت فيما بعد فى كتب . ومنها على سبيل المثال : حصاد الهشيم
لإبراهيم عبد القادر المازنى .. وساعات بين الكتب ، ومطالعات فى
الكتب والحياة ، وشعراء مصر فى الجيل الماضى لعباس محمود العقاد ..
وحديث الأريضاء وحافظ وشوقي للدكتور طه حسين ... وثورة الادب

(١) المرجع الأول السابق ص ٢٢٤ .

للدكتور محمد حسين هيكل .. والمتأمل فى هذه الفصول التى اشتملت عليها تلك الكتب ، يمكنه اعتبارها من المقال الأدبى ، ويمكنه اعتبارها كذلك من المقال النقدى وهو على صواب فى كلتا الحالتين^(١) .

كيف يكتب المقال ؟

والمقال يكتب على هيئة الهرم المعتدل .. ويتألف من ثلاثة أجزاء هى : المقدمة ، والصلب ، والخاتمة .. وقبل هذه الأجزاء الثلاثة يأتى عنوان المقال وذلك على النحو التالى :

(١) المقدمة ، تشتمل على مدخل أو زاوية يمهد بها الكاتب لموضوع المقال ، بهدف تهيئة ذهن القارئ ، وتذكيره بالقضية أو المشكلة موضوع المقال .. وهذه المقدمة لها أهمية بالغة ، فهى التى تجذب القارئ فيمضى فى القراءة إذا كانت جيدة ومشوقة ، وهى كذلك التى تصده فيقف عن القراءة إذا كانت رديئة وغير جيدة .

(٢) وصلب المقال ، وهو الجزء الذى يحتوى على المادة الجوهرية فى المقال ، وتفاصيل الحدث أو القضية التى يطرحها الكاتب ، والأدلة والشواهد والحجج ، والبراهين المنطقية التى تؤيد وجهة نظر الكاتب وتقنع القارئ وتشبع رغبته ..

(٣) خاتمة المقال ، وينبغى ألا تقل عن أهمية المقدمة ، باعتبارها آخر ما يبقى منطبعاً فى ذهن القارئ بعد الانتهاء من القراءة ، ولا بد أن تكون قوية محكمة واضحة غير مسرفة فى الطول حتى لا ينعدم تأثيرها . وأخيراً فإن الخاتمة يتوقف عليها مدى اقتناع القارئ أو عدم اقتناعه بموضوع المقال .

(١) نفس المرجع السابق ص ٢٢٨ .

(٤) وقبل كل تلك الأجزاء الثلاثة السابقة يأتى عنوان المقال ، ويجب العناية به ، وأن يكون زاخراً بالحياة ، قادراً على التصوير ، مليئاً بالتعبير ، غنياً بعنصر الجذب والتشويق ، مناسباً لجو موضوع المقال ، وبذلك يضمن الكاتب كسب اهتمام القارئ واقناعه بأهمية المقال من اللحظة الأولى ونكتفى بهذا القدر من التمهيد حول المقال لننتقل بعد ذلك الى الحديث بالتفصيل عن كل من هذه الأقسام الثلاثة الرئيسية وهى : المقال الأدبى .. والمقال العلمى .. والمقال الصحفى ، وذلك فى الفصول الثلاثة التالية بمباحثها المختلفة .

* * * * *

* * *

* *

الفصل الثانى

المقال الأدبى وأنواعه

ازدهر المقال الأدبى بأنواعه المختلفة فى الصحافة المصرية ازدهاراً كبيراً فى وقت النهضة الفكرية التى سادت مصر فى الفترة الواقعة بين عامى ١٩٢٢ و ١٩٤٢ أى على وجه التقريب فى فترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية . وفى تلك الفترة نعمت مصر بشئ من الاستقرار المادى ، والاستقرار الاجتماعى ، أتاحت للشعب المصرى ، أو الطبقة المستنيرة منه ، أن تقرأ وتتذوق وتستمتع بالوان فكرية أدبية شتى . وفى تلك الفترة أيضاً أنجبت مصر خير أدبائها فى الواقع ، ومنهم على سبيل المثال : أمين الرافعى ، ومصطفى صادق الرافعى ، ومصطفى لطفى المنفلوطى ، وعبد القادر حمزه وتوفيق دياب ، وعباس محمود العقاد ، والدكتور طه حسين ، والدكتور محمد حسين هيكل ، وإبراهيم عبد القادر المازنى ، وزكى مبارك ، وأحمد حسن الزيات ، وأحمد أمين ، ومحمود تيمور ، وتوفيق الحكيم ، وعبد العزيز البششى ، وفكرى أباطه ، وأحمد زكى ، ومحمد فريد أبوحديد ... وغيرهم^(١) . ولقد كتب هؤلاء الفصول الأدبية الممتعة فى الصحف المصرية .. وقدموا للقراء خلاصة طيبة للفكر الأدبى المصرى ، وتوزعت على أنواع عديدة من المقالات الأدبية ، منها : المقال القصصى ... ومقال الاعترافات ومقال الخواطر والتأملات والمقال الكاريكاتورى والمقال النزالى وتتناول كل نوع من هذه الأنواع فى بحث مستقل من الباحث الخمسة التالية :

(١) المدخل فى فن التحرير الصحفى ، مرجع سابق ص ٢٢٨

المبحث الأول المقال القصصى

يعتبر الأديب الصحفى المعروف ابراهيم عبد القادر المازنى (*) ، من أقدر كتاب مصر فى هذا اللون من ألوان المقال الأدبى .. وهو كاتب جم التواضع ، خفيف الروح فى الكتابة ، ضاحك من كل شىء حتى من نفسه .. وكان يتغلب على كآبته الأصلية بالضحك ، وأسلوبه طراز فريد ، يتميز بدقة تعبيره وواقعيته .. وقد ظهر تواضعه الجم فى اللغة التى كان يكتب بها المقال ، وفى طريقة عرضه على القراء .. وتم جمع مقالاته فى عدة مجموعات منــــــــها : (حصاد الهشيم ١٩٢٤) و (صندوق الدنيا ١٩٢٩) و (ابراهيم الكاتب ١٩٣١) و (خيوط العنكبوت ١٩٣٥) و (فى الطريق ١٩٣٦) و (قبض الريح) و (من النافذة) و (ع الماشى) ... الخ .

وقد اشتهر المازنى بكتابة الأقصوصة ، وهى ما يطلق عليها اسم (المقال القصصى) والتى امتلأت بها الصحف المصرية فى الفترة الواقعة بين عامى ١٩٢٢ و ١٩٤٢ أى فى فترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية على وجه التقريب حيث سعدت مصر حينئذ بألوان فكرية وأدبية شتى ، وازدهر الأدب خلالها ازدهاراً عظيماً .. وبالرغم من أن المازنى قد سبقه فى كتابة الأقصوصة ، وجرى معه فى ميدانها كثيرون من أمثال : محمود تيمور ، وجبران خليل جبران ، واسماعيل أدهم ، وغيرهم ، إلا أن أحداً من هؤلاء لم يرزق موهبة المازنى فى عذوية الكلام ، وخلاوة الفكاهة ، وشعبية العبارة ،

(*) وهو أديب صحفى ولد بالقاهرة عام ١٨٨٩ ومات بها عام ١٩٤٩ وتخرج فى مدرسة المعلمين العليا ، وأقبل على قراءة كتب الأدب العربى القديم ، وأتقن الانجليزية وقرأ كثيراً فى آدابها . واشتغل بالتعليم زمناً ، وأقبل فى مطلع حياته الأدبية على نظم الشعر فأصدر جزأين من ديوانه (١٩١٤ - ١٩١٧) ولم يلبث أن انصرف عن الشعر والتعليم واتجه الى الكتابة فى الصحف فوجد أداته الأدبية الحقة فى المقال (راجع الموسوعة العربية الميسرة - القاهرة - دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر - الطبعة الثانية ١٩٧٢ ص ١٦٢١) .

وسنة الحياة واحدة فى خلق الحيوان ، وخلق الفكرة أو الاحساس ، أو الخيال ، وهذه السنة هى التوليد " (١) ومعنى ذلك باختصار - كما يقول عبد اللطيف حمزه (٢) - أن الواقعية عند الفنان هى الحياة التى حوله مضافة إليها شخصية هذا الفنان نفسه ، أو هى الحياة كما تعكسها مرآة هذا الفنان بالشكل الذى يراه . فلا ينبغى أن ننتظر من الكاتب الواقعى أن يجعل نفسه آله لاتحس ولاتشعر ، أو أن يصور لنا الحياة تصويراً فوتوغرافياً ، كما لاينبغى لنا أن ننتظر منه ألا يقص علينا غير ما وقع بالفعل ، فليس هذا هو المقصود بالواقعية فى الأدب ، وحسبنا منه إذن أن يقنعنا بأن هذه الحوادث التى قصها علينا ممكنة الوقوع ، وأن هذه الشخصيات التى تحدث عنها من الجائز أن توجد فى الحياة .

نموذج مقال قصصى :

وفيما يلى نقدم مثالا لمقال قصصى بقلم ابراهيم عبد القادر المازنى من بين المقالات القصصية التى جمعها فى كتابه (صندوق الدنيا) وعنوانه " حلاق القرية " (٣) وفيه يقول " :

وقعت لى هذه الحادثة فى الريف منذ سنوات عديدة قبل أن تتغلغل المدينة إلى أقصى قرأه ، وكنت انا الجانى على نفس فيها ، فقد عرض مضيفى أن أستعمل موساه فاييت ، وقلت مادام أن للقرية حلاقاً فعلى به ، فحذرنى مضيفى وأنذرنى ، ووعظنى .. ولكنى ركبت رأسى ، وأصررت أن يجرى الحلاق . فجاء بعد بضع ساعات يحمل ماظنته فى أول الأمر " مخللة شعير " وسلم وقعد ، وشرع يحيينى ويحاشئنى حتى شككت فى أمره ، واعتقدت أن الحلاق شخص آخر ، وأن هذا الجالس أمامى ليس

(١) مجلة الثقافة بتاريخ ١٦ / ٥ / ١٩٣٩ .

(٢) المدخل فى فن التحرير الصحفى / مرجع سابق ص ٢٣٥ و ٢٣٦ .

(٣) صندوق الدنيا (القاهرة - دار الترقى للطبع والنشر ١٩٢٩) ص ٧١ .

ام لابد أن يضرب الرمل والحصى أولاً ؟ وحسب الطالع قبل أن يباشر العمل ؟ فلم يفهم ما أقول ، وأولاني صدغاً كث الشعر وقال " هيه " فظننته أصم ، وصحت به " ا . ريد . أن ا . ح . ل . ق " فسرته صياحى جداً ، وضحك كثيراً ، وأقبل على " مخلاته " فأخرج منها مقصاً كبيراً ، فدنوت من أذنه وسألت : هل فى القرية فيل ؟ فقال : فيل . لماذا ؟ فآشرت الى المقص ، فضحك وقال : هذا مقص حمير ولا مؤاخذه . فقلت : ولماذا تجيئنى بمقص حمير ؟ أحماراً ترانى ؟ .

ويظهر أن معاشرة الحمير بلدت إحساسه ، فانه لم يعتذر لى ، ولاعباً بسؤالى شيئاً ، ثم أخرج " موسى " من طراز المقص ، و " مكنة " من هذا القليل أيضاً ، فعجبت له : لماذا يجىء إلى بكل أدوات الحمير؟ وسألته عن ذلك فقال : إن الله مع الصابرين . وبعد أن أفرغ مخلاته كلها انتقى أصغر الأدوات حجماً وأصغرها هو أكبر ما رأيت فى حياتى . ثم أقبل على وقال : تفضل . قلت : ماذا تعنى ؟ قال : اجلس على الأرض . قلت : ولماذا بالله ؟ قال : لا تريد أن تحلق ؟ قلت : لا يمكن أن أحلق وأنا قاعد على الكرسي ؟ قال : وأنا ؟ قلت فى سرى : وأنت تذهب الى جهنم ويئس المصير !! .

وهبطت إلى الأرض كما أمر ، ففتح موسى كالمبرد ، فقلت : إن وجهى ليس حديداً يا هذا . قال لاتخف ان شاء الله ولكنى خفت بائن الله ولا سيما حين شرع يقول : بسم الله ، الله اكبر .. كأنما كنت خروفاً ، ويصق فى كفه ، ثم شحذ موسى على بطن راحته ، ثم جذب رأسى ، فذعرت ، ونفرت ، ووليت هارباً إلى أقصى الغرفة : فقال لى : ماذا ؟ قلت : ماذا ؟ أتريد أن تحلق لى بمبرد ، ومن غير صابون ؟ قال : ماذا يخيفك ؟ قلت : يخيفنى ؟ لقد دعوتك لتحلق لى لحيتى ، لا لترد لى شعرها . قال : يا أفندى لاتخف ، ثم قرأ من الكتاب الكريم : " فلما ذهب عن إبراهيم الروح وجاءته البشرى " إلى آخر الآية الشريفة وأظنه أراد أن يرقينى بها . فيا لها من حلاقة لا تكون إلا برقبة !!

وأسلمت أمرى لله ، وعدت ففقدت أمامه ، فنهض على ركبتيه ، وتناول رأسى بين كفيه ، وأمال صدغى إليه ، ثم وضع ركبته على فخذى ، ولف ذراعه حول عنقى ، فصار فمى مدفوناً فى صدره ، فصجحت - أو على الأصح - جاهدت أريد الصياح لعل أحداً يسمعنى فينجدنى ، غير أن طيات ثوبه كانت فى فمى ، أما رائحة الثوب فبحسب القارىء أن يعلم أنها أفقدتنى الوعى .

ولأطيل على القارىء ، فقد أهوى الرجل بموساه على وجهى ، فسلخ قطعة من جلدى ، فردنى الألم إلى الحياة ، وأتانى القوة الكافية للصراخ على الرغم من الكمامة ، ووثبت أريد الباب ، ولكنه كان على كبر سنه أسرع منى ، وما يدرينى لعله كان يتوقع ذلك ، وعسى أن تكون المراته قد علمت أن يكون يقطاً لأمثال هذه

المحاولات ، فردنى بقوة ساعده ، فتشهدت ، وتكررت قول المتنبي :
(وإذا لم يكن من الموت بد . . فمن العجز أن تموت جباناً) .. كلا ! سأسد ل الستار على هذا
المنظر الذى يقف له جلدى ، على الرغم من كر السنين الطويلة ، ثم جاء هذا السفاح بطشت يفرق فيه كبش ،
ووضعه تحت ذقنى ، وصب ماءه على وجهى ، وفى صدرى ، وعلى ظهرى ، ليغسل الدم الزكى الذى أراقه
- وأخرج من " مخلاته " منشقة " هى " بمسحة " الأرض اشبه ، فاعتذرت وأخرجت مندىلى ، وسبقته إلى
وجهى - فهى معركة لايزال بجلدى منها ندوب وآثار . " انتهى المقال .

خصائص المقال القصصى :

ومن دراسة فن المقال القصصى عند المازنى ، يمكن استخلاص عدة
خصائص ونسمات يعتمد عليها ومنها مايلى .^(١)

أولاً : الاتساع فى الخيال ، وهو ما أسماه توفيق الحكيم (الكذب الحقيقى)
وما سماه المازنى (الصديق الفنى) ، فليس من الضرورى أن تكون
الصورة كاملة الأجزاء فى الواقع الملموس من الحياة ، لأن الكاتب المبدع
يستطيع بفنه وابداعه ، وتصوره وخياله ، أن يكمل ما بهذه الصورة من
نقص ، أو يحذف ما بها من زيادة ، على حد قول المازنى .

ثانياً : انتزاع الفكاهة من الوقائع التى يرويها الكاتب ، ولو كانت من
الوقائع التافهة فى ذاتها ، وهكذا يستطيع المازنى أن يستهوينا دائماً
بقدرته على التصوير ، وبراعته فى انتزاع الفكاهة من الحياة بجميع
صورها وأشكالها ، وبما فى هذه الحياة من جد وهزل ، وما فيها من
أشياء قيمة وأخرى مهمة .

ثالثاً : استعمال اللغة التى تصور الواقع ، أو التى تشتق منه فى أغلب
الأحيان ، مادامت هذه الأقاصيص ، أو المقالات القصصية قطعة من
الحياة الواقعية ، كما أراد لها الكاتب أن تكون كذلك ... من أجل هذا
حرص ابراهيم عبد القادر المازنى على أن يختزن فى ذهنه مئات
الذكريات ، وألا يترك واحدة منها فى الماضى أو الحاضر تفلت من
ذاكرته . ذلك أنه مطالب على الدوام بأن يمد هذه الصحيفة أو تلك

(١) المدخل فى فن التحرير الصحفى / مرجع سابق ص ٢٣٩ - ٢٤١

بالمقال القصصى الذى تعود منه القراء وفى ذلك يقول المازنى أيضا " وان كتبت فى الأسبوع مقالين ، فجملة ذلك فى العام يبلغ المائة ، وكل مائه مقال تملأ ثلاثة كتب ، فسيكون لى أذن بعد عشرة أعوام - اذا ظلت هكذا - ثلاثون كتابا ، خلاف ماأخرجت قبل ذلك . والبلاء والداء العياء أن تكتب مرة مقالة فكاهية ، والطامة الكبرى أن تكون المقالة جيدة وأن تكون الفكاهة فيها بارعة ، فلا راحة لك بعد هذا أبدا ، لأن الناس يظنون ينتظرون منك بعد ذلك أن تطرفهم بالفكاهات فى كل مقال آخر ، فإن أخطأوا عندك مايطلبون من الفكاهة فالويل لك ، وأنت عندهم ضعيف لاتحسن أن تكتب ، أوغير موفق فيما تحاول حتى ولو كنت تكتب ، والناس معذورون ، فإن وطأة الحياة ثقيلة ، ومادمت قد عودتهم أن تسليهم وتضحكهم ، أو أطمعتهم وأنشأت فى نفوسهم الأمل فى هذا فماذا تريد أن تتوقع ؟ .

رابعا : التهويل فى وصف الأشياء ، وهو نوع من الكذب الذى ذكره توفيق الحكيم ، ومعناه عند البلاغيين كمعنى الذى يقول : أعذب الشعر أكذبه ، أى أمعنه فى التخييل . فحقيقة الحلاق (مخللة شعير) ومقصسه (مقص حمير) وموساه (مبرد) وحلاقتة نفسها لاتكون إلا برقية من الرقى . وهكذا .. فالمبالغة إذن أساس من الأسس التى يبنى عليها أقصوصه دائما .. ومقالاته القصصية كانت فى حقيقة أمرها خير مايصور البيئة المصرية ، والدعابة المصرية ، والشخصية المصرية ، ومبنية على الشكوى وعلى الشك فى الحياة وعلى عدم الثقة فيها والاستخفاف بها وغير ذلك من السمات العامة .

نموذج آخر :

قدمنا فيما سبق نموذجاً كاملاً من المقال القصصى للمازنى الذى كتب مئات المقالات المشابهة وتم جمعها فى كتب عديدة سبق فكرها .. ومنه يتضح أن أتفه الحوادث فى نظر الناس يصلح أن يكون مادة أدبية رائعة تروق جميع الناس ، متى تناولها كاتب قدير يحيلها الى مادة جديرة بالنشر فى صحيفة .. وفيما يلى نقدم نموذجاً آخر لكاتب حديث من الكتاب الساخرين وهـو (يوسف عوف) يعرض فيه بعض هموم الشباب ومشكلاتهم فى عدم وجود وظائف لهم ، لذلك يسافرون الى الخارج ، وهناك يقابلون المشكلات والصعاب ، يعرضها الكاتب (يوسف عوف) فى أسلوب ساخر ، وخیال واسع وينتزع إلفكاهة من الوقائع التى يرويها ، كما يستعمل فيه اللغة الى تصور الواقع وتشتق منه باعتبارها قطعة من الحياة الواقعية . وهذا النموذج من مجلة الشباب بعنوان (و .. هوبا .. على أوريا)^(١) وقد جاء فيه : حسنين : مالها الشغلة دى يا عادل ؟ موش احسن مانت قاعد عاطل كده ؟؟ عادل : جرى إيه يا حسنين ؟؟ هو أنا كنت باخد بكالوريوس تجارة عشان أجى عا الآخر واشتغل كاتب حسابات عند المعلم شفتورة الجزار ؟؟

- وفيها ايه ؟؟ موش شغلة شريفة ؟؟

- بس موش اد المقام

- واذا كانت هى دى اللى موجودة حالياً

- ماتلزمينش

- طيب ماأنا زيك بكالوريوس تجارة برضه ، وباشتغل بياع فى بوتيك مدام وزه !!!

- انت شىء وأنا شىء

- بكرة تتدم يا عادل

أحمد : هو مفيش أى شغلة عاجباك يا عادل يا ابنى ؟؟

عادل : معقول يا بابا . على آخر الزمن اشتغل ضابط أمن فى شركة ؟؟

مهدية : وماله يا ابنى ... بس بيعينوك ضابط أمن برتبة كبيرة .. لـواء عا الأقل ...

أحمد : لواء إيه يا مهدية ... ضباط الأمن كلهم رتبة واحدة يا ولى ..

عادل : من غير ولا دبورة يا ماما .. مهدية " تشهق " وتهزأ بنفسك ليه ؟؟ بلاش منها الشغلة دى

خالص ..

أحمد : يعنى عاجبك قعدته جنبك فى البيت .

مهدية : يعنى هى لقمته اللى حاتزود ؟؟

(١) مجلة الشباب العدد (٢١٤) بتاريخ مايو ١٩٩٥ ص ٤١ .

سحر : (تدخل من باب الشقة حامله خطابا فى يدها) عادل جواب باسمك لقيته فى صندوق البوستة .
عادل : (يقض الخطاب بسرعة ويتصفحة فيشرق وجهه) ده من حسن فوقى فى المانيا .
سحر: صحيح ١٩ كاتب لك ايه ١٩ عادل يقول لى انه لقي لى شغلة حلوة أوى فى دوسلدورف ..
أحمد : يظهر حسن فوقى صاحبك ده له حيثية كبيرة هناك .
عادل : امال ايه .. ده بيشتغل من زمان فى الأمن الغذائى بتاع المانيا
سحر : مبروك يا عادل ... مهدية - تزغرد .

* * * * *

** يسافر عادل الى المانيا وقد امتلأ قلبه بالأمل ويستقبله صديقة حسن ويدعوه للأقامة عنده مؤقتا فى
حجرتة الضيقة لحين استلامه العمل .. ويكتشف عادل أن الحجرة مشتركة بين ثلاثة من الشباب المصرى
المهاجر ثم يكتشف أن صديقه حسن خبير الأمن الغذائى فى المانيا ، يعمل مرمطونا فى مطبخ أحد
المطاعم حيث يقوم بفصل الموائع والأطباق ومساعدة الشيف والطباخين فيسأله وهو يضع يده على قلبه :-
وياترى ايه هى الوظيفة اللى انت حاجزها لى يا حسن ١٩
- شغلانة زى الفل
- أهوكده بليت ريقى .
- بالليل بعد ما الناس ما تنام .. حاتكنس الشوارع وتغسلها بالميه والصابون لحاد ماتبقى زى الفل

* لايجد عادل مجالا للرفض ويضطر لقبول هذا العمل حتى لا يضطر للعودة الى مصر وقفاه يقمر
عيش ويشمت فيه الكثيرون ..
سحر تقض الخطاب الذى وصل من المانيا بسرعة وتتصفحه بينما الأب والأم " أحمد ومهدية " ينتظران
فى لهفة :

مهدية : هيه ١٩ ... هو كويس ١٩ ؟
سحر : أيوه ياماما ... واستلم شغله أول ماوصل .
أحمد : اشتغل ايه هناك .
سحر : موش عارفة .. لكن باين عليها شغلة مهمة أوى .
أحمد : ايه هى ؟

سحر : كاتب انه بيقوم بتنظيف أوربا كلها من الأوحال اللى غرقانة فيها لكى يعود اليها وجهها
الناصع مرة أخرى .
أحمد : يهتف " رينا يحميك يابنى .. أهوكده وريهم اخنا مين ... زغرتى
ياولية ...
مهدية " تزغرد " .

* * * * *

* * عائد مهنة الكناس تكفى بالكاد طعام وإقامة عادل .. ولكن قبل أن يمر عليه فيها شهران ، تقوم فى المانيا حركة تنادى بالتخلص من العمالة الأجنبية خاصة الجنس الأصفر والأتراك والعرب والأفريكان وتعتدى الجماعات النازية الجديدة على حياتهم ويطاردونهم حتى الحدود .

* يهرب عادل مع أفواج الهاريين ويتجه الى هولندا حيث يلتحق بأحد الأوتيلات فى وظيفة عامل مصعد .. فى مصر تقرا سحر خطاب عادل على والديها :

سحر تقرا * ولست فى حل من الافصاح عن طبيعة عملى الجديد حاليا ... ولكن يكفى أن تعرفوا انى أساعد الناس فى الصعود الى الطبقات العليا وانه لولاي لظلوا فى اماكنهم بأسفل * .

أحمد : * يهتف * الله اكبر ... تحيا مصر .

مهدية تزغرد .

* * * * *

* ** تمتد حركة طرد العمالة الأجنبية الى امستردام أيضا فيهرب عادل مع الهاريين الى باريس .

سحر : تقرا خطاب عادل من باريس

سحر : بابا ماما .. عارفين عادل يشغل ايه دلوقتى !!

مهدية : ايه ؟

سحر : فى الصحافة .

أحمد : الواد فى بحر كام شهر بس حط أوروبا كلها فى جيبه ...

مهدية : طيب مايشخسج جيبه ده ويبعث لنا حاجة .. ده مقيش ولا حتى هدية صغيرة بعثها لاخته سحر

أحمد : هدية ايه ياولية ... كفاية إنه عرفهم احنا مين .. فراعنة بصحيح .. فى اعجاب * يابن الإيه بقى الصحافة مرة ولحدة !!

* فى باريس نجد عادل ينتقل بين محطات مترو الأنفاق حيث يبيع الصحف !!

* * * * *

* ** تشتد حركة ضرب وقتل وطرد العمالة الأجنبية من كل أوروبا وإحلال عمالة بديلة لها من دول أوروبا الشرقية بعد تحررها وانتشار البطالة بها .. وتستمر مطاردة الشرطة والأهالى للعمال الأجانب من دولة الى دولة حتى يخلون أوروبا منهم تماما ..

* يصل عادل الى مصر فجأة فيقابل بالأحضان والفرح والحب ويحدثهم - وهو رافع الرأس - عن سبب حضوره المفاجيء الى مصر فيقول .

عادل - أخر حاجة بقى عملتها هناك ... مثلت فيلم أكشن ... حركة ... كله مطاردات ... البوليس والأهالى كانوا يطاردونى جوه الفيلم والمعجبين والمعجبات بقوا يطاردونى فى الشوارع بره الفيلم ... وفضلوا دول ودول يطاردونى لحاد مصر .

سحر - فى إعجاب * يا حبيبي يا أبة

أحمد : * يهتف * رفعت رأس مصر .

مهدية : تزغرد *

عادل - ينفجر فجأة بالبكاء ..

أحمد بتعطيط ليه ١٩

عادل - صعيان على حسنين وبقية الشلة .. ياريتهم كانوا معايا هناك . ياترى عاملين ايه دلوقتى .

سحر - خدوا قرص من صندوق التمتع الاجتماعى وعاملين مشروع صغير للتغليف والتعليب .

عادل - غلابه ٠٠٠ بس لازم اشتغل معاهم عشان أساعدهم .

أحمد - وتسيب أوروبا .

سحر - حاجتاسوا هناك من غيرك . عادل : خليه يتربوا شوية .

أحمد هو ده ابنى .. هى دى مصر .

مهدية : تزغرد *

* * * * *

وبعد ذلك تنتقل الى الحديث عن نوع آخر من أنواع المقال الأدبى وهو المقال
الخاص بالاعترافات . وذلك فى المبحث التالى

* * * *

* * *

* *

*

المبحث الثانى مقال الاعترافات

بالنسبة للمقال الذى على شكل منكرات أو اعترفات ، يوجد على سبيل المثال كتاب (الأيام) للدكتور طه حسين ، وكتاب (حياتى) لأحمد أمين ، وكتاب (عالم القيود والسدود) لعباس العقاد ، وكذلك (منكرات مدمن على الحشيش) لطبيب اسمه (الجريدنى) نشرها على هيئة مقالات فى مجلة الهلال بدون توقيع وفى الحقيقة لم يبلغ أحد من هؤلاء الكتاب الأقداد فى هذا الفن من فنون المقال الأدبى ، بعض مابلغة الدكتور طه حسين (x) فى كتابه المعروف (الأيام) الذى جاء صورة نابضة بالحياة ، زاخرة بالمعانى ، رسمها كاتب قدير عرف بغزارة العاطفة ، وجمال التصوير ، وعذوبة العبارة .

وكتاب (الأيام) فضلا عن كونه جاء صورة للقريحة المصرية بمافيهها ومن عليها ، فانه جاء كذلك فى الوقت نفسه صورة رائعة لكفاح شاب فقد البصر منذ الصغر ، ولكنه ناضل فى حياته حتى أصبح ملء السمع ، وملء البصر وأصل هذا الكتاب كان عبارة عن عدد من المقالات نشرت تباعا على هيئة فصول فى مجلة الهلال عام ١٩٣٦ فأقبل القراء على قراءتها بشغف شديد ، وحين انتهى طه حسين من وصف طفولته ، وصدر من شبابه ، أشاروا عليه بأن يجمع هذه الفصول فى كتاب ، فجمعها باسم (الأيام) الذى تم ترجمته فيما بعد الى عدد غير قليل من اللغات الأجنبية ، ووجد أصحاب هذه اللغات فى قراءته أضعاف اللذة التى وجدها أصحاب العربية . ويمتاز كتاب (الأيام) بأمور شتى يمكن تلخيصها فى عبارة واحدة ، وهى أنه واقعى فى تصويره ، وان لم يكن واقعى فى طريقة تعبيره

(*) طه حسين كاتب وباحث أدبى ، لقب بعميد الأدب العربى ، وقد ولد عام ١٨٨٩ فى إحدى قرى مركز مغاغة بصعيد مصر . وقد بصره طفلا فوجه الى الكتاب ثم الأزهر ثم اتصل بأحمد لطفى السيد . وانتظم فى الجامعة الأهلية ، ثم سافر فى بعثة إلى فرنسا ، وبعد عودته حاضر فى الجامعة الأهلية ، ولما أُنشئت الجامعة المصرية عام ١٩٢٥ عين أستاذا بها ثم أصبح عميدا لكلية الآداب . وكتب فى المجالات الأدبية ونشر مقالات سياسية فى صحف الوفد فى أثناء حكم اسماعيل صدقى ، وتولى منصب مدير جامعة الاسكندرية ، فوزر للمعارف ورئيس اللجنة الثقافية للجامعات العربية . وإنتاجه الأدبى ضخم متنوع يشمل دراسات أدبية منها : (ذكرى أبى العلاء) نال به الدكتوراه من الجامعة المصرية القديمة عام ١٩١٤ و (ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية) نال به الدكتوراه من السربون (الترجمة العربية ١٩٢٥) و (حديث الأربعاء) و (فى الأدب الجاهلى) و (حافظ وشوقي) و (مع المتنبي) و (خصام ونقد) . . . الخ ودراسات فى التاريخ السياسى والاجتماعى لصدر الاسلام : (الفتنة الكبرى) وأخرى فى أصول الحضارة الغربية وتيارات الأدب الغربى المعاصر . كما يشمل قصصا فنيا مستمدا من كتب السيرة : (على هامش السيرة) وقصصا حديثا يدور معظمه فى بيئة الصعيد : (دعاء الكروان) و (شجرة البؤس) وقد صاغ إنتاجه القصصى صياغة فنية تجمع بين البساطة والفخامة والوضوح (الموسوعة العربية الميسرة ص ١١٦٤)

فالكتاب واقعى فى تصويره ، بمعنى أن الدكتور طه حسين وصف به حياته فى الريف المصرى أصدق مايكون الوصف ، وصور الحياة فى هذا الريف المصرى أدق مايكون التصوير ، فلا تكلف فى تزويق الحديث ، ولاجنوح الى اختراع الحوادث ، ولارغبة فى اخفاء الحقائق عن عين القارئ .. غير أن الكتاب ليس واقعيا من حيث الأسلوب الكتابى أو طريقة التعبير.. ذلك أن طه حسين يأبى على شخصياته القصصية فى (الأيام) إلا أن تنطق اللغة العربية الفصيحة .. ومع ذلك لايحس القارئ بأن فى اللغة الفصيحة التى يجريها الكاتب على ألسنة أشخاصه شيئا من الغضاضة أو التكلف الذى يقلل تقريبا واضحا من صفة الواقعية ، وليس كل كاتب من الكتاب قادراً على ذلك فى الواقع ، إذ أن طواعية اللغة لا تتيسر عادة إلا للعارفين بها والقادرين عليها (١).

نموذج من كتاب الأيام :

وفيما يلى نقدم نموذجا يشتمل على بعض صفحات من كتاب (الأيام) التى كان قد نشرها طه حسين على هيئة مقالات فى مجلة الهلال كما سبق ايضاحه ... يقول طه حسين :

" .. على أن صبينا لم يلبث أن أضاف إلى هذه الألوان من العلم لونا آخر جديداً هو (علم السحر والطلاسم) ، فقد كان باعة الكتب يتقلون فى القرى والمدن بخليط من الأسفار ، لعله أصدق مثل لعقيدة الريف فى ذلك العهد . كانوا يحملون فى حقائبهم : مناقب الصالحين ، وأخبار الفتوح والغزوات ، وقصه القط والغار ، وحوار السلك والوابور ، وشمس المعارف الكبرى فى السحر ، وكتاباً آخر لست أدرى كيف يسمى ، ولكنه كان يعرف بكتاب (الديري) ثم أوراداً مختلفة ، ثم قصص المولد النبوى ، ثم مجموعات من الشعر الصوفى ، ثم كتباً فى الوعظ والارشاد ، وأخرى فى المحاضرات وعجائب الأخبار ، ثم قصص الأبطال من الهلايين والزنايين وعنتره والظاهر بيبرس ، وسيف بن ذى يزن ، ثم القرآن الكريم مع هذا كله . وكان الناس يشترون هذه الكتب كلها ، ويلتزمون ما فيها التهاماً . وكانت عقليتهم تتكون من خلاصتها كما تتكون أجسامهم من خلاصه مايكلون ويشربون .

" وكان من القصص التى تكثر فى أيدي الصبيان ، يحملها إليهم باعة الكتب ، قصة اقتطعت من ألف ليلة وليلة وتعرف بقصة (حسن البصرى) وفى هذه القصة أخبار ذلك المجوسى الذى كان يحول النحاس ذهباً ، وأخبار ذلك القصر الذى كان يقوم من وراء الجبل على أعمدة شاهقة فى الهواء ، وتقيم فيه بنات سبع من بنات الجن ، والذى أوى إليه حسن البصرى ، ثم أخبار حسن هذا ، وماكان من رحلته الطويلة

(١) المدخل فى فن التحرير الصحفى / مرجع سابق من ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

لشاقة إلى دور الجن .

" وبين هذه الأخبار خبر ملا الصبي إعجاباً ، وهو أن قضييا أهدى إلى حسن البصرى فى بعض رحلته ، وكان من خواص هذا القضيب أن تضرب به الأرض فتتشق ويخرج منها تسعة نفر ياترون بأمر صاحب القضيب - وهم بالطبع من الجن - أقوياء ، خفاف ، يطيرون أو يعدون ، ويحملون الأثقال ، ويأتون من عجيب الأمر ما لاحد له .

" فتن الصبي بهذه العصا ، ورغب فى أن يظفر بها رغبة شديدة قوية ، أرقت ليله ، ونقصت يومه ، فاخذ يقرأ كتب السحر والتصوف ، يتلمس عند السحرة والمتصوفين وسيلة تمكنه من هذه العصا .

" وكان له قريب صبي مثله يرافقه إلى الكتاب ، فكان أشد منه كلفاً بهذه العصا ، وماهى إلا أن جد الصبيان فى البحث ، حتى انتهى إلى وسيلة يسيرة تمكنهما مما يريدان ، وجداها فى كتاب (الديري) . وهى أن يخلو الفتى إلى نفسه - وقد تطهر - ووضع بين يديه ناراً ومقداراً من الطيب ، ثم يأخذ الفتى فى ترديد هذا الاسم من أسماء الله (يالطيف ، يالطيف) ملقياً فى النار شيئاً من الطيب من حين إلى حين . ويمضى فى ترديد هذه الكلمة ، وتحرق الطيب حتى تدور به الأرض ، وينشق أمامه خادم من الجن موكل بهذا الاسم من أسماء الله فيطلب إليه ما يريد ، والحاجة مقضية من غير شك .

" ظفر الصبيان بهذه الوسيلة ، فاعتزما أن يستخدموها ، وماهى إلا أن اشتريا ضرورياً من الطيب ، وخلا صبيها إلى نفسه فى (المنطرة) فأغلق بابها من دونه ، ووضع بين يديه قطعاً من النار ، وأخذ يلقي فيها الطيب ، ويردد (يالطيف ، يالطيف) وطال به هذا ، وهو ينتظر أن تدور به الأرض ، وتشق له الحائط ، ويمثل الخادم بين يديه ، ولكن شيئاً من ذلك لم يكن .

" وهنا تحول صبيها الساحر المتصوف إلى نصاب II

" خرج من (المنطرة) مضطرباً ، ويمسك رأسه بيديه ، ولايكاد لسانه ينطق بحرف واحد . ف تلقاه صاحبه الصبي يسأله : هل لقي الخادم ؟ وهل طلب إليه العصا ؟ وصاحبنا لا يجيب إلا مضطرباً ، مرتجفاً تصطك أسنانه اصطكاكاً حتى روع رفيقه الصبي . وبعد لى أخذ صاحبنا يهدأ ، ويجيب فى الفاظ متقطعة ، ويصوت متهدج : " لقد دارت بى الأرض ، وكدت أسقط ، وانشقت الحائط ، وسمعت صوتاً ملا الحجرة من جميع نواحيها ، ثم أغمى على ، ثم أفقت وخرجت مسرعاً . " سمع الصبي هذا فامتلاً فرحاً وأعجاباً بصاحبه وقال له : هون عليك ، فقد أصابك الرعب ، وملك عليك الخوف أمرك ، فلنبحث فى الكتاب عن شيء يؤمنك ، ويشجعك على أن تثبت للخادم ، وتطلب منه ماتشاء II .

" واستأنفا البحث فى الكتاب ، وانتهى بهما البحث إلى أن صاحب الخلوة يجب أن يصلى ركعتين قبل أن يجلس إلى النار ، ويأخذ فى ترديد هذا الاسم ، وكذلك فعل الصبي من غده ، وأخذ يلقي الطيب فى النار ويردد دعاء (اللطيف) ينتظر أن تدور به الأرض ، وينشق له الحائط ، ويمثل الخادم بين يديه ، ولكن شيئاً من ذلك لم يكن . وخرج الصبي إلى صاحبه هائناً مطمئناً ، فأخبره أن قد دارت الأرض ، وانشق الحائط ، ومثل الخادم بين يديه ، وسمع منه حاجته ، ولكنه لم يشأ أن يجيبه إليها حتى يمرن على هذه الخلوة ، ويكثر من الصلاة واطلاق البخور ، ونكر اسم الله ، وضرب له موعداً لقضاء هذه الحاجة شهراً كاملاً يأتى فيه هذا الأمر فى نظام ، فان فسد هذا النظام فلا بد من استئناف الأمر شهراً كاملاً آخر .

" وصدق الصبي صاحبة ، وأخذ يلح عليه فى كل يوم أن يخلو إلى النار ويردد الدعاء وأخذ الصبي يستغل من صاحبه هذا الضعف ، ويكلفه ماشاء من مشقة وعناء . فان أبى أو أظهر الالباء ، أعلن إليه صاحبه أنه لن يخلو إلى النار ، ولن يدعو (اللطيف) ولن يلتصق العصا ، فيذعن اذعائاً سريعاً " انتهى النموذج .

على هذا النحو أخذ (طه حسين) يقص تاريخ حياته ، ويكتبه فصولاً على شكل مقالات يبعث بها الى مجلة الهلال .. وكان أسلوب هذه المقالات التى على شكل اعتراف متأثرة بالمدرسة الجاحظية فى الكتابة ، وهى مدرسة ذات خصائص فنية معروفة من أهمها : الإسهاب ، والاستطراد ، واتساع العبارة ، وجذب القارئ وسحبه بلطف ومهارة .. ثم هى مدرسة تعنى كذلك بالمقابلات بين الألفاظ بعضها ببعض من جهة ، وبين المعانى بعضها ببعض كذلك من جهة أخرى . ولعل أهم ما تمتاز به المدرسة الجاحظية فوق هذا كله أمران : أولهما قدرة هذه المدرسة على أن تؤدى أفخم المعانى بأيسر الألفاظ .. وثانيهما عنايتها الظاهرة بجرس اللفظ ، وموسيقى العبارة ، وتقطيع الكلام قطعاً متوازنة ، تستطيع أن تقف عند كل واحدة منها وتستشعر الراحة فى هذا الوقوف .

ويظهر أن السبب فى شيوع هذه الصفة الأخيرة فى أسلوب طه حسين - بوجه خاص - هو تعلمه منذ نعومة أظفاره تجويد القرآن الكريم ، ثم اعتماده منذ ريعان شبابه وحتى آخر حياته فى تحرير مقالاته على الاملاء ..

كما يتميز أسلوب طه حسين بصفات جعلت منه صحفياً ناجحاً إلى جانب أنه عالم وأديب ... ومن الصفات التى أعانته على النجاح فى ميدان الصحافة ، صفة السهولة فى التعبير ، والأسلوب الموسيقى العذب المتموج ، والواقعية فى التصوير والابتناس خلال الحديث ، حتى يشعر القارئ لمقال من مقالات الاعتراف لطفه حسين انه أنما يجلس الى صديق ، ويستمتع الى بعض إخوانه يدور معه حيث يدور ، ويدخل معه فى شجون من الحديث لا يجب أن يصل الى نهايتها (١)

* * * * *

(١) للدخل فى فن التحرير الصحفى / مرجع سابق ص ٢٤٤ و ٢٤٥ .

نموذج آخر حديث :

ان كتابة مقال الاعترافات لايتطلب من كاتبه - فى الواقع - اكثر من الهدوء النفسى فترة ما ، وإستيعاء الماضى البعيد أو القريب ، وتصوير مايوحى به هذا الماضى تصويراً يعين على تفهم النفس البشرية من حيث هى ، ويعكس فى الوقت ذاته صورة للمجتمع الذى أحاط بالصحفى أو الأديب فى فترة من فترات الحياة البعيدة أو القريبة ... ونقدم فيما يلى نموذجاً آخر لمقال الاعتراف بقلم الكاتب

الصحفى صلاح منتصر بعنوان (عشت وشفت وحكايات عمر / فى طريق الوهم) (١)
حيث يستوحى فيه الكاتب من ماضيه بعض وقائع من حياته كان هو طرفاً فيها . وكان شاهد عيان اشترك فى الحدث بنفسه ، فكان وحده القادر على أن يعد القراء بهذه الحقائق التى تثير الاهتمام ، وتوجههم وترشدهم .

من أسوء الاشياء ان يصاب الإنسان بمرض لايجد الطب علاجاً له .. ومع مرور الوقت تتدهور حالة المريض بينما الذين حوله من محبيه لايعرفون ماذا يفعلون . ورغم آلاف الأدوية التى تسأل أرفف الصيدليات والابحاث والدراسات العديدة جداً وملايين الأطباء فى كل العالم ، إلا أن هناك أمراضاً يقف الطب أمامها عاجزاً . وأهم هذه الأمراض وأكثرها شيوعاً تلك المتعلقة بالأعصاب والمخ .. وهؤلاء بعد أن يدوخوا على الأطباء المتخصصين ويعجزوا ، يبدأون جولة أخرى مع تجار الوهم وباعة الأمل الكاذب ..
مازلت افكر جيداً هذه الأيام التى عشتها عندما اكتشفت تعثر العلم أمام مرض زوجتى الأولى رحمها الله .. ورغم كل دراساتي وقراءاتي ومدرسة العلم التى أنتمى إليها ، إلا أننى مثل أى ريفى جاهل ساذج وجدت نفسى مستسلماً للتجول فى شوارع العلاج بالأرواح والمغنطيس والأحجبة ، والأطباء المكتوبة بالألوان نضعها على حافة النافذة عند الفجر لتستقبل قطرات الندى فتشربها ! وفى هذا الطريق الطويل الذى سرت فيه اكتشفت أننى لست وحدى وأن هناك كثيرين جداً من كل جنسيات العالم سبقونى إلى السير فيه .

وشعار هذا الطريق هو ما الذى سوف تخسره ؟ وألا يجوز أن تجد فيه الشفاء ؟ .
كانت أول تجربة لنا فى القلعة فى أحد البيوت الفقيرة التى استقبلنا صاحبها بعد أن تركنا ننتظر أكثر من ساعة ثم بعد أن قام بفحص المريضة زوجتى استراحت ملامح وجهه ، فماذا تكون هذه الحالة أمام حالات أشد وأقسى جلست مكانها وقد شفيت وأصبحت تسابق جياد السباق فى الحركة والقفز !
كلام جميل وكلام مطعمن وكل ماعلينا أن نحضر له بعد ثلاثة أيام ٢١ طبقاً نتركها له ثم نعود بعد يومين لتأخذها بعد أن يكون قد نقشها بالرسوم الملونة وعلينا مساء كل يوم أن نخرج الطبق من النافذة ونتركه فى مكان يستقبل فيه قطرات الفجر ثم بعد ساعة من الفجر وقبل الشروق نأخذ الطبق بما عليه من ضباب ونقطر فيه بضع قطرات تمسح بها اللون الذى فى الطبق ثم تتناوله زوجتى ٢١ يوماً ونحن نصحوا مبكرين

(١) مجلة الشباب العدد (٢٢٤) بتاريخ مارس ١٩٩٦ ص ٢١ .

تلحق بإطباق الفجر وتتجرع زوجتى الماء الملون وبالطبع بلا فائدة . وجاءنا عميد الأطباء الروحانيين أو هكذا كان يسمى نفسه .. شخصية غريبة من أحد الأقطار العربية وكانت إعلاناته منتشرة فى المجلات ويسبب على الصحفى فإنه قرر أن يكرمنى ويوفدنى إلى مندوبيه فى القاهرة . وهى سيدة اكتشفت انها زوجة استاذ شهير فى كلية الاقتصاد توفاه الله ... ونهينا ووقدت زوجتى على ظهرها فى منتصف الحجرة وجلست أنا فى جانب منها واستأثنتنا صاحبة البيت السيدة الشابة أن تطفئ الاتوار لأن الروح لاتأتى إلا فى الظلام .. وبدأت تقرأ وتقول كلاما بعضه غير مفهوم .. وسمعنا طرقا فقالت : تفضلى .. ولأن الحجرة التى جلسنا فيها كان لها باب واحد أجلس أنا خلفه فقد كان المقصود ان نعرف ان الروح لم تدخل من الباب وإنما من أى جدار (أ) .

كان الظلام شديدا وكان صوت الكتورة فاطمة رفيقا وهى تكرر للروح أن تتفضل بالدخول .. وفوجئت بأصابع تطرق على كتفى ... وكدت أتجمد من الخوف ولكننى تماسكت حتى لأفزع زوجتى .. وسمعت صوت الكتورة فاطمة وهى تقول : بعد أنك مش دى المريضة ده جوزها .. والمريضة نائمة فى وسط الحجرة .. لو سمحتى تكشفى عليها وتقولى لنا العلاج .. وقالت لى زوجتى فيما بعد إنها شعرت بيد تلمسها وتمسك بجبينها .. وبعد دقيقتين أو أكثر قليلا .. انسحبت الروح ..

ولم أتمن فى حياتى أن أقوم بمغامرة كما تمنيت فى هذه اللحظات .. فقد كنت على وشك أن أمد يدى إلى مفتاح النور وأضئ الحجرة واكشف عملية النصب التى بدأت أشعر بها .. ولكننى تحملت ، بل وأكثر من ذلك صدقت أن هناك روحا دخلت من الحائط وأخطأت طريقها إلى المريضة ثم بعد أن تم تنبيهها استدركت خطأها .. وكانت وصفا أخرى من عدة خلطات من الأعشاب .. وتحملتها زوجتى بصبر ويهدوء واستمسكت أنا بالصمت وماقلته كان يدخل فى مجال محاولة الإحياء إلى زوجتى بأن كل ماحدث كان حقيقة ، فالهم هو المريض .. ومن يدى ربما كان الإحياء هو العلاج ؟ .. هكذا قلت لنفسى .. ولهذا كان مهما رغم عدم إيمانى بما يحدث أن أحاول الظهور فى صورة المقتنع المؤمن به وأن أنقل اقتناعى وإيمانى إلى الطرف الآخر ..

ومضت شهور أخرى قبل أن ننتقل إلى طبيب آخر.. من أطباء هذا السوق الطويل .. وفى شارع خلوصى بشبرا بدأت سيارتنا تتوقف كل ليلة .. وكانت وصفا أخرى من عدة خلطات من الأعشاب .. وتحملتها زوجتى بصبر ويهدوء واستمسكت أنا بالصمت وماقلته كان يدخل فى مجال محاولة الإحياء إلى زوجتى بأن كل ماحدث كان حقيقة ، فالهم هو المريض .. ومن يدى ربما كان الإحياء هو العلاج ؟ .. هكذا قلت لنفسى .. ولهذا كان مهما رغم عدم إيمانى بما يحدث أن أحاول الظهور فى صورة المقتنع المؤمن به وأن أنقل اقتناعى وإيمانى إلى الطرف الآخر ..

ومضت شهور أخرى قبل أن ننتقل إلى طبيب آخر.. من أطباء هذا السوق الطويل .. وفى شارع خلوصى بشبرا بدأت سيارتنا تتوقف كل ليلة .. وكانت وصفا أخرى من عدة خلطات من الأعشاب .. وتحملتها زوجتى بصبر ويهدوء واستمسكت أنا بالصمت وماقلته كان يدخل فى مجال محاولة الإحياء إلى

كان العلاج هذه المرة مختلفا.. فالمریضة تجلس ساعة بينما تقوم الدكتورة بقراءة آیات القرآن ...
كلام الله فمن يكره ...

و٤٠ جلسة .. صحيح انها بدأت بساعة وانتهت بخمس دقائق ولكننا كنا حريصين عليها ..
ولم احسب يوما مانفعناه .. فقد كان الهدف اعلی كثيرا من اى مال .. ولكننا دفعنا بلا مقابل .. بل
على العكس لم يتوقف الخط البياني عن التدهور ..

ولأن مصر لاتكفى فقد ذهبنا إلى الفلبين .. وكانت سمعه طبييها فيليبى قد ذاعت وانتشرت وأستطعنا
عن طريق مدير مكتب شركة مصر للطيران فى مانىلا - رحمه الله - أن نحصل على موعد لزيارة فيليبى ..
ولكشفنا أن له ٣ عيادات أشهرها غرفة فى أخذ البقائى .. وكانت مفاجأة أن نجد هذا الجمع الفقير من
كل أنحاء العالم الذين كانوا فى الانتظار .. ناس من كل انحاء العالم الذين كانوا فى الانتظار .. من
أمريكا ومن السويد ومن استراليا ومن فرنسا .. ناس على "كراسى" يعجل ، وناس لايتحركون وقد حملهم
اهلهم .. كلهم جاءوا بحثا عن الأمل عند فيليبى .. ودخلنا على فيليبى وكنت انتظر أن أقابل رجلا عجوزا
كثيرا ولكننى وجدته شابا صغيرا ... ويدون أن يضع يده على قلبه .. ووجدت أن تنام ليجرى لها عملية
وقال لى مدير مكتب مصر للطيران الذى صحبنى وهو يبشرنى : ابسط ياعم .. عملية .. وقلت نخرج إذن
ولكنه أشار إلينا بالجلوس .. وانتظرت أن يدخل مساعد أو طبيب بنج .. ولكنه بسرعه بالفة أخذ يضغط
على جبينها ثم بحركة ساحرة بالفة الإغربة وجدته يشد قطعة من اللحم وكأنه يستخرجها من فتحه فتحها
فى جبين زوجتى .. وقال لى بلفته ولكننى فهمت المقصود : شايف .. تراجع وتماسكت ... ورفض
فيليبى أن يتقاضى أجرا ولكن بعد الضغط عليه قبل ١٥٠ دولارا فقط ..

هكذا .. عليه بدون بنج وبدون مشروط وبدون فتح ويدون ألم ومعنى عينك امامنا ..
وسألتنى زوجتى : هل هناك جرح مفتوح مكان ما استخرج قطع اللحم السوداء .. ونظرت ووجدت بقعة
صغيرة حمراء .. وقد اختفت بعد يومين لكن الألام لم تختف .. وكما فى بعض قرارات النيابة ظل الحال
على ما هو عليه إن لم يكن أسوأ قليلا .. وعدنا من الفلبين إلى الشارع الطويل .. شارع أطباء الوهم وتجار
الأمل الكاذب

ورغم ماتعلمناه فإننا لم نتوقف عن مواصلة السير فى الطريق ، ومن واحد إلى آخر .. ولو امتد العمر
بزوجتى لما توقفنا ..

وعندما أسمع عن زبائن هؤلاء الباعة أعزهم فقد مررت بالتجربة مثلهم وعانيت مايعانونه ... ورغم أننا
كنا نعرف أنه لافائدة فقد كنا على استعداد أن نصدق ..

بصرف النظر عن التعليم وعن الثقافة والإيمان بالعلم فإن الإنسان لايتخلى عن العجز بالأمل ... ويكون
على استعداد للهبوط من قمة .. العلم الذى وصل إليه لتناول جرعة الأمل من يد جاهل ومدع ... ولهذا
ستظل سوق الأوهام عامرة بالزبائن ومليئة أيضا بالنصايين والمحتالين الذين تتركز قدراتهم فى طريقة بيع
هذه الأوهام وترويجها [انتهى المقال] .

* * * *

ويتضح لنا من هذا المقال الذى كتبه (صلاح منتصر) أنه يدور حول حادث أقرب إلى الواقع ، ومكتوب بأسلوب موثوق به ، لأن الكاتب يعترف فيه بأنه بالرغم من كل دراساته وقراءاته ومدرسة العلم التى ينتمى إليها ، إلا أنه " مثل أى ريفى جاهل ساذج وجدت نفسى فى شارع العلاج بالأرواح والمغنطيس والأحجية ، والأطباق المكتوبة بالألوان نضعها على حافة النافذة عند الفجر لتستقبل قطرات الندى فتشربها " زوجته الأولى التى تعثر العلم أمام مرضها .. كما تعرض المقال لكشف بعض حالات غريبة من حالات المجتمع ووضع شاذ من أوضاعه ، على اقتناع أن ذلك يعود بالفائدة على القارئ ويساعده فى حياته الخاصة على عدم الوقوع فى مثل تلك الأخطاء ، لأن القارئ غالبا ما يقتدى بكاتب هذا النوع من المقالات فى طريقة تغلبه على هذه الصعاب .

وفوق ذلك يحقق هذا المقال بعض وظائف الصحافة ومنها : الاعلام ، والتسلية ، والارشاد بطريقة غير مباشرة .

وأخيرا .. فإن فى هذه الأسباب وأمثالها ما يجعل (مقال الاعتراف) من المواد الصحفية الهامة التى تجذب القراء فى الوقت الحاضر ... وهكذا أصبح للمقال الأدبى الذى على شكل اعترافات ، مكان مرموق فى الصحافة الحديثة ، كما أصبح مادة لاستغنى عنها هذه الصحافة .

* * *

وننتقل فى المبحث التالى للحديث عن نوع آخر من أنواع المقالات الأدبية وهو الخاص بالمقال الذى على شكل الخواطر والتأملات .

* * *

المبحث الثالث مقال الخواطر والتأملات

نبغ فى هذا النوع من المقالات الأدبية كثير من الكتاب القدامى والحاليين .. ولذلك نجد الصحف بنوعيتها الرئيسيين من الجرائد والمجلات تحفل بالكثير من مقالات الخواطر والتأملات ... وربما كان فى مقدمة هؤلاء الكتاب جميعا فى هذا المجال الكاتب (أحمد أمين) (*) الذى كتب مقالات كثيرة فى باب الخواطر والتأملات نشر بعضها فى مجلة (الثقافة) ، وبعضها فى مجلة (الرسالة) ، وبعضها فى مجلة (الهلال) وجمع كل هذه المقالات فى كتاب له بعنوان (فيض الخاطر) صدر فى أجزاء متتابعة قبيل وفاته فى عام ١٩٥٤ والى جانب هذا الكتاب سيل آخر من الكتب لكتاب آخرين لاسبيل لحصرها أو الايام بها ^(١) .
وقد وصف أحمد أمين الكاتب الدقيق لهذا النوع من المقالات الأدبية فقال :

" إنه الكاتب الذى يسمع حفيف الأشجار ، وديبب النمل ، ويرى دقيق الأشياء فى الظلمة ، ويرى قلوب الناس فى أعينهم ، ودخائلهم فى صفحات وجوههم . وقد يرى بأذنه ، ويسمع بعينه . وقد يرى مالا يراه الناس ، ويسمع مالا يسمع الناس ، وقد يدرك الجمال بتفاصيله ، كما يدرك القبح بتفاصيله ، حتى كأنه قد منح من الحواس ما لم يمنحه سائر الناس ، وكأن حواسه ليست خمسا

(*) باحث أدبى ولد بالقاهرة عام ١٨٨٧ وتوفى عام ١٩٥٤ ودرس فى الأزهر ومدرسة القضاء الشرعى . وتولى القضاء الشرعى مدة ثم انتقل إلى التدريس فى كلية الآداب بالجامعة المصرية (جامعة القاهرة) ثم انتخب عميداً لها وعين عضواً بالمجمع اللغوى . واتجه أولاً إلى الفلسفة فكتب (الاخلاق عام ١٩٢٣) ثم عنى بدراسة تاريخ الحياة العقلية فى الاسلام فأصدر أهم كتبه : فجر الاسلام وضحى الاسلام (ثلاثة أجزاء) وظهر الاسلام (أربعة أجزاء) .. (راجع الموسوعة العربية الميسرة ، مرجع سابق ص ٦٠) .

(١) المدخل فى فن التحرير الصحفى / مرجع سابق ص ٢٢٩ و ٢٦١ و ٢٦٢ .

والما هي خمسون أو خمسمائة أو مائتت^(١). وهذا الوصف للكاتب الدقيق ينطبق على الكاتب (أحمد أمين) كما ينطبق على غيره من كتاب مقالات الخواطر والتأملات ، الذين يميلون دائماً إلى وصف الحياة الواقعية ، كما تبدو لأعينهم ، وكما تفهمهم عقولهم ، لا يغيب عن علمهم شيء من دقائق هذه الحياة ، ولا تفوتهم همسة من همساتها . ومعنى ذلك أن موضوع مقالات الخواطر والتأملات ، هو كل شيء في المجتمع ذلك أن الكاتب لهذا النوع من المقالات ، هو من أستطاع أن يجد من كل شيء موضوعاً يجيد فيه ، ويستقطب إعجاب القراء ، ومن أستطاع أن يجد من كل شيء نواة يؤلف حولها ما يصلح لها حتى يخرج موضوعه متنسقاً تنسيقاً يبهج السامع والقارئ . وهو في تأليفه قد يظم الشيء إلى إلفه وقد يظمه إلى نقيضه ، وقد يصل به الكلام في الذرة إلى الكلام في الشمس ولكن القارئ لا يشعر بأي مفارقة ، ولا يشعر بأي انفكاك بين أجزاء الكلام ، ويسير مع الكاتب كأنه في حلم للهد أو قصة محبوكة^(٢)

ونقدم فيما يلي - على سبيل المثال - نموذجاً لمقال من مقالات الخواطر والتأملات من كتاب (فيض الخاطر) بقلم أحمد أمين بعنوان (سلطة الآباء) .. والمقال في نقد المجتمع الحديث ... يقول الكاتب في بداية مقاله :

" رحم الله زماناً كان الأب فيه الأمر التام ، والحاكم المطلق ، والمملك غير المتروك .. ينادى فيتسابق كل من في البيت إلى ندائه ، ويشير بإشارته أمر ، وطاعته غم .. تحذره الزوجة في خف وحياء ، ويحذره الابن في إكبار وإجلال ، ويرى من سوء الأدب أن يرفع إليه بصره ، أو يرد عليه قوله ، أو يراجع في رأي ، أو يجادله في أمر .. أما البنت فإذا حدثها لف الحياء رأسها ، وغضن الحجل طرفها ، قليلة الكلام ، متحفظة الضحك ، خافضة الصوت ، تتوهم أنها أخطأت في التافه من الأمر فيندى جبينها ويصبغ الحجل وجهها ، وإذا جاء حديث الزوج والزواج فإلى أمها التحدث لا إلى أبيها ، وبالتلويح والتلميح لا بالتصريح ، والأمر إلى الأب فيما يقبل وفيما يرفض ، وفيما يفعل " .. ومضى الكاتب في مقاله على هذا النحو ثم قال "

لقد ودعنا ذلك الزمن بخيره وشره ، وحلوه ومره ، واستقبلنا زماناً صار فيه الآباء آباء " ٥

ثم يقدم الكاتب بعد ذلك عدداً من التماذج التي لا يرضى عنها الآباء بحال من الأحوال ، بل انهم يرون

(١) فيض الخاطر - الجزء الأول من ١٧٩ و ١٨٠ .

(٢) نفس المرجع السابق من ١٧٩ .

فيها الخطر كل الخطر على كيان المجتمع وعلى حياة الأسر . وانظر اليه يقول : " قالت الخطيبة لخطيبها : الناس أحرار ، وأنا انسان وأنت انسان . فإن اعتزّزت بالكسب اعتزّزت بالاتفاق ، وإن اعتزّزت بالرجولة ، اعتزّزت بالاثوثة ، وإن اعتزّزت بأى شىء فأتا اعتزّزته ويغير منه . قاتنا وأنت شريكنا : لاسيد وأمه ، ولا ملك وملك ، لى كل الحقوق التى لك ، وقد يكون بعض الواجبات التى عليك .. يمكنك ان تحصل على المال وعلى الاتفاق ، ولك السلطان التام فى اختيار طرق التحصيل ، ولى الخيار التام فى وجوه التهديد ، وأنت للبيت والبيت لى . وإن كان لك أم فقد شملت سلطة فى الماضى أهام كانت زوجة فلاح لها أن تنعم بسلطانها وسلطان غيرها ، فليس لها الحق إلا أن تاكل ، كما ليس لك الحق فى أن تحبها فالحب كله للزوجة ، إنما لك أن ترجمها ...

وبعد ذلك يقول الكاتب " ورأى الرجل أن الأحكام قاسية ، والشروط فادحة ، وهام يبحث بين الممدنات عمن ترضى به زوجاً على الشروط القليلة فأعياه البحث .. ومضى الكاتب الى أن يقول : " تم الزواج وفرحت الزوجة بالظفر ، فحالت فى الطلب ، وابتدعت كل يوم مطلباً جديداً ، وأرادت أن تنتقم لأمهاتها من إهانه فى شخصه ، فطالما أطمع ، وطالما خضع . فليطع دائماً ، وليخضع دائماً جزاءً وفاقاً على ما جنى آباؤه وإجداده .. قالت : إن رقصت رقصت ، فذلك حقه وحق ، قال : نعم . قالت : بل إن لم ترقص رقصت لآنك إن أضعت حقه لم أضع حقى . وإن خاللت خاللت ، فالجزاء من جنس العمل ، بل إن لم تخالل ربما خاللت ، لأن حياة الزوجية البهتة قد يمتريها الركون والسام والملل ...

فصرخ الرجل ، ولف الغضب وجهه ، وحاول أن ينكل بها فتراجعت وسحبت مطلبها الأخير ، وراى من الحكمة أن تترى بعض الشىء حتى يبلع ريقه من أثر الصدمة الأولى ، ويستمد للصدمة الثانية ، فان لم يسمعها الزمان أوصت بنتاتها بشروطها الجديدة ..

قالت : وسيكون أول ما أوصى به ابنتى أن تأخذ قياس خطيبها ، ثم يكون من أول جهازها أن تفصل له برذعة ولجاماً على قدره ، فتضع البرذعة عليه ، وتركه إذا شئت ، وتشكمه باللجام إذا حاول أن يتحرك ميمناً أو شملاً على غير رغبتها .

وشاء الله أن يبرزقا يتنين وينات وقد راوا أن الأم لأنجبل الأب فلم يجبلوه ، ولم تعره كبير التفات فلم يميروه ، وراوها تبلر فى مال الأب فبلروا ، وراوها حرة التصرف فتحرروا ، وراوها تخرج من البيت من غير إذن الأب فخرجوا خروجها ، وتعود إلى البيت متى شئت ففعلوا فعلها

وقال الأبناء لأبيهم : اننا مخلوقون لزمان غير زمانك فاخضع لحكم الزمان ، وقد نشأنا فى زمن الحرية

فى الآراء ، والحرية فى الأعمال ، والحرية فى التصرف ، لاكما نشأت فى جو من الطاعة والقيء والأسر والتقاليد ، فمحال أن يمس لربك الضيق أبداننا ، وتقاليدك المعتقة البالية نفوسنا .

قال : نعم . قالوا : وأنت الذى سمحت لنا بادیء ذى بدء أن نغشى دور السينما والتمثيل ، وأن نسمع الاغانى البلدية ، وأن نشهد للراقص الاوربية ، فاذا أقررت للمقدمة فلا تهرب من النتيجة ، فانت الذى عودنا الا نضع للبيت (ميزانية) لآئك تعطى راتبك لأمنا تنفق منه من غير حساب ، فان انتهى فى نصف الشهر طلبت منك أن تقترض ، فاقترض ، وان تشتري مالا حاجة لنا به ... فاشترت .. فليس لك أن تطالبنا بالاقتصاد فى الجدول الصغير ، والنهر الكبير ليس له ضابط قال نعم . قالوا : وقد اضعت سيادتك على أمنا ، فلم تفرض سيادتك علينا ؟ وهى أم الحاضر ، وانت أبو الماضى ، ونحن رجال المستقبل قال : نعم وقالت البنات لابیهن : ياأبانا الذى ليس فى السماء : رقصت أمنا فرقصنا وشربت أمنا فشربنا ، وشربت سرأ فلتسمح لنا بحكم تقدم الزمان أن نشرب جهراً . وراينا فى روايات السينما والتمثيل حيا فاحبينا ، وراينا عراً فى الشواطىء فتمرينا ، وتزوجت أمنا باذن أبيها ، فلنتزوج نحن باذننا .

قال : نعم : قلن : وقد أوصتنا أمنا أن نركب الزوج ، ولكتنا أمام مشكلة يشغلنا حلها ، فاننا نرى شباب اليوم متمردین لا يخضعون خضوعك ، ولا يستسلمون استسلامك ..

ياأبانا : هل البيت ضرورة من ضرورات الحياة ؟ أليس نظام الاسرة نظاماً عتيقاً من آثار القرون الوسطى ؟ قال : نعم . قلن : على كل حال يصح أن يجرب جيل النساء الجدید مع جيل الرجال الجدید ، فان وقع ماخشينا عشنا أحرارا وعاشوا أحراراً ، وطالبنا بتسهيل الطلاق ، ويهدم المحاكم الشرعية على رؤوس أصحابها .

قال الأب ؟ وماذا تفعلن بما ترزقن من أبناء وبنات ؟ قلن : لك الله ياأبانا !! إنك لاتزال تفكر بعقل جدنا وجدتنا ، ولقد كنت أنت وأبوك وجدك تحملون أنفسكم عناءً كبيراً فى الأولاد ، وتضحون بانفسكم وأموالكم فى سبيلهم ، وتعيشون لهم لا لكم ، أما عقليتنا نحن أهل الجيل الحاضر ، فان نعيش لأنفسنا لا لغيرنا لقد ضحك عليكم الدين والأخلاق ففهمتم أن الواجب هو كل شىء ، وكشفنا نحن اللعبة ففهمنا أن اللذة هى كل شىء ، فنحن نمنع النسل ، فاذا جاء قسراً فليعيش كما يشاء القدر

قال الأب : وأمر المال كيف يدبر ؟ كيف تعشن أنتن وأولادكن اذا كان طلاق وكان فراق ؟ قلن : هذا ظل آخر طريق من ظلال تفكيرك ، دع هذا ياأبانا ، والبركة أخيراً فيك .

أما بعد ، فقد خلا الأب يوماً إلى نفسه ، وأجال النظر فى يومه وأمسه ، فبكى على اطلال سلطتها المنهارة ، وعزته الزائلة ..

كانت تلك تأملات وخواطر خطرت لكاتب المقال (أحمد أمين) فى النماذج الحديثة للحياة وقد بنى الكاتب مقاله على الموازنه بين حياة الأسرة فى الجيل القديم ، وحياة الأسرة فى الجيل الجديد ، وهدفه من ذلك - بطبيعة الحال - أن يحذر من الأخطار الناجمة عن المبالغة فى التجديد الذى ينخدع به الجيل الجديد .

* * * *

نموذج من الكتابات الحديثة

وفيما يلى نقدم نموذجاً آخر لمقال خواطر وتأملات للكاتب (يوسف عوف) بعنوان (م الأول عشان الحبايب) (١) وهو مقال ساخر حول تلاعب اسرائيل وتعتتها ، فى مفاوضاتها وعلاقاتها مع الدول العربية وخاصة فلسطين ويصور الواقع المعاش بالفعل . وفيما يلى نص المقال ...

****** بعد ضغوط عنيفة تقبل حكومة حزب العمل بإسرائيل قرارى مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، ٣٣٨ بعد تفسيرهما تفسيراً مفتوحاً فيتحول القراران إلى ٣٤٢ و ٢٣٨ .

***** يسقط حزب العمل ويتسلم الليكود الحكم ... ويبدأ التفاوض مع العرب بحضور منسق المناظر الأمريكى .. ويرفض الليكود تنفيذ القرارات .

فلسطين - ليه بامستر بيجين ٠٠٠ دى قرارات دولية أصدرها مجلس الامن ووافقت عليها جولدا مائير .

اسرائيل - مجلس الامن على عينى وراسى يا حبيبى ٠٠٠ والمفروض إن قراراته ملزمة لجولدا مائير . فلسطين : ماتت .

اسرائيل - والى ابقى من الليث . نبتلى بقى من الاول على ميه بيضة ... وصافى يالبن حليب يا قشطة فلسطين (غاضباً) : إحتا لسه حانعيده من تانى ؟!

(١) مجلة الشباب / العدد رقم (٣٣٢) بتاريخ نوفمبر ١٩٩٦ ص ٤٦

امريكا - (هامسا) خذ على اد عقله . خليك انت الكبير / وافق عشان ماتوقشى المراكب السايرة
فلسطين - طيب والاتفاقات اللي فاتت ؟ امريكا - حاتوصلوا لاحسن منها .. دانتو بينكم سلام دلوقتى
ويقيتوا حبايب ... م الاول عشان الحبايب .

* وتبدأ مفاوضات من الصفر مع حزب الليكود وفيها يتنازل الفلسطينين عن بعض حقوقهم فى ٢٤٢
و ٣٣٨ حتى لايقفوا المراكب السايرة إلى أن يصلوا إلى صيغة مدريد ... وفى انتظار التنفيذ .
* أثناء هذا يذهب الليكود ويأتى حزب العمل إلى السلطة .. وتبدأ الاجتماعات بين الجانبين
الفلسطينى والإسرائيلى فى وجود منسق المناظر الأمريكى لتنفيذ اتفاق مدريد .

رابين - هاهاها مدريد ده ايه حياحيبى ؟
أبو عمار - ده الاتفاق اللي تم مع شامير ..
رابين - يبقى شامير ملزوم بتنفيذه فوراً . أبو عمار - يس شامير موش فى السلطة دلوقتى ؟!
رابين - براقو عليك ... إحنا ولاد النهارده .. إنسى بقى وتبتدى على ميه بيضه ... وصافى يالين
حليب ياقشطة ...

أبو عمار - أنا أرفض المبدأ ده .
رابين - ويعد ماتوقض ... حاتعمل ايه ؟!
أبو عمار - ولا حاجة .

روسى - ما احنا عارفين (هامسا) خذ على أد عقله ... خليك انت الكبير ..
وافق عشان ماتوقش المراكب السايه .

أبو عمار - بس المراكب كده وقفت فى وسط البحر .
روسى - موش ممكن تقف مادام انتو الاثنين عاوزين السلام .. دانتو ولاد عم وحبايب . ياللا ياللا
... م الاول عشان الحبايب .

* وتبدأ المفاوضات من الصفر مرة اخرى بين أبو عمار من ناحية ويبريز وراين من ناحية اخرى فى وجود
متعهد التنسيق والتزويق (دنيس روس) وهى مفاوضات عسيرة متعثرة وفيها يتنازل أبو عمار عن
بعض ماتضمنه اتفاق مدريد حتى لايقف المراكب السايرة ويصل الجميع إلى اتفاق أوسلو (١) وأوسلو (٢)
ويبدأ الاستعداد للتنفيذ .. عندئذ يسقط حزب العمل ويتولى الليكود السلطة بقيادة نيتانياهو .

بيبى - (بلهجة استفزازية قاطعة) يكون فى علمكم .. كده من قصره ... مفيش أوسلو ..
أبو عمار - ده اتفاق وقعه رابين ..

بيبى (يسلك اذنه) بتقول جامدين إحنا فعلا جامدين ..

أبو عمار : رابين موش جامدين

بيبى - بنيامين مين ؟! ما هو أنا بنيامين

أبو عمار - زميل شيمون بيريز

بيبى - لا ماياحش الجميع

روسى - (صائحا فى أذن نيتانياهو) يقول لك رابين ويبريز ..

بيبي اللى .. قصدك ايزاك رابين وشيمون بيريز ... أنا سمعت الاسمين دول قبل كده انت عرفت اللى حصل لهم يا عيني؟؟ الاولانى راح فى السما والثانى راح فى الباي باى

أبو عمار - معنى إيه ؟

بيبي - معنى إنسى ... إحنا ولاد النهاردة ... نبتلى بالحلاوة كده على ميه بيضة .. وصافى يالبن حليب يا قشة أبو عمار - (يلتفت لروسى محدثا) هيه !!

أخذه على أد عقله بروضه ..

روسى - لا ... خذنا إحنا الاثنين على أد عقلك ..

أبو عمار - فى شرع مين اللى بيحصل ده ..

روسى - خليك انت الكبير ومشى المراكب السايه ... ده بالذات ولد مراق طامش ومنفرج حبتين ...

بس أنا متأكد إنكم حاتوصلوا لحل مادام انتر الاثنين عاوزين السلام إيش حال إن ماكتروش ولاد عم ..

بيبي - وحبايب ... دانا مرة سلمت عليه ..

روسى - يبقى م الاول عشان الحبايب .

* مرة ثالثة تبدأ المفاوضات من الصفر عشان الحبايب ... وتسير متعثرة جدا ويتم فيها ابتزاز أبو عمار حتى يقدم مزيدا من التنازلات لكى لايقف المراكب السايه .. ويمتلى الدور على التنفيذ .

* فى حله الاثناء يثور المجتمع الاسرائيلى ومؤيدو السلام بقيادة جماعــــــــــــة (السلام الآن) ضد سياسة نيتانياهو التى يسمع من خلالها دقات طبول الحرب وهدير المدافع .. وتطرح الثقة به فى الكنيست فيسقط سقوطا مدويا وتجري انتخابات جديدة يفوز بها حزب العمل ويمتولى السلطة .

أبو عمار - الحمد لله .. غار فى ستين داهية ..

روسى - (يغمز له بعينه) هر احنا بنلعب ؟! ماتنصررش القلق اللى كان عامله الراجل ده لكلينتون والإدارة الامريكية هناك .

* ويبدأ أول اجتماع بين بيريز وعرفات اللى لايمكتم فرحته الشديدة فيرحب ببيريز ويضمه إليه ويحتضنه بقوة وقبله قبله ثلاثية .

أبو عمار - ياهلا بالعمل وببيريز ياهلا بالناس الكمل الحلوة ..

بيريز - وحشتنا أبو عمار

روسى - أنا النهاردة أسعد إنسان فى الوجود لانى حسبت إن المجهود الجبار اللى بذلته أمريكا طول السنين اللى فاتت دى فى الضغط على إسرائيل لتقديم تنازلات أثمر أخيرا وهو اللى وصلنا للنتيجة الحلوة دى .

أبو عمار - انت بتقول فيها .. هات بوسة انت راحر هات (يقبله قبله ثلاثية) .

روسى - شوف مستر بيريز - إحنا عشان موش عاوزين نضيع وقتك أو نحررك قدام الناخبين اللى إدولك أصواتهم موش حاتطلب منك العودة لاوسلو (١) واوسلو(٢) .

أبو عمار - تمام ... إحنا حاتريحك ونقول لك إحنا وصلنا لحاد فين مع مستر نيتانياهو ... معنى حاتجيب من الآخر عشان ننفلد بقى .

بيريز - (يصيح فجأة) نعم نعم !! أخر مين ياروح أمك إنت وهو !! أنا مالى ومال نيتانياهو ... أنسى

يا حبيبي .. إحنا ولاد النهاردة نبتلى بقى على ميه بيضة .

واقرا الصفحة م الاول عشان الحبايب

* * * *

ثم ننتقل بعد ذلك الى الحديث عن نوع آخر من أنواع المقالات الأدبية
وهو المقال الكاريكاتورى . وهذا هو موضوع المبحث التالى

* * * *

المبحث الرابع المقال الكاريكاتورى

ماهو المقال الكاريكاتورى ؟ ..

الاجابة يقدمها الدكتور عبد اللطيف حمزه ^(١) فيذكر أن هذا النوع من المقالات يقوم فى جملته على التماس العيوب الرئيسية فى شخص ما ، وترك القلم يعرضها عرضا كاريكاتوريا ، يزيد فى تشويهها مايرد على ذهن الكاتب فى أثناء كتابته من ضروب التشبيه ، وما يحضره من فنون التمثيل ، ولا يزال الكاتب يتوسع فى الموضوع عن طريق التوليد للمعانى من جهة ، وإيراد النكت الباردة من جهة ثانية ، حتى تستكمل عنده الصورة القلمية الكاريكاتورية كل عناصر الاضحاك والسخرية ، والتندر بالشخص الذى هو موضوع هذه الصورة بالذات

عناصر القلم الكاريكاتورى :

ويحصر الدكتور حمزة فى اجابته عناصر القلم الكاريكاتورى فى أربعة عناصر هى :
أولا : عنصر التجسيم للعيوب ، أو المسخ لصورة الشخص الذى هو موضوع الكاريكاتور .. فالرجل ذو الأنف الكبير يبدو بقلم الكاتب كأن وجهه كله عبارة عن أنف . والرجل القصير يبدو كأنه أقصر من طفل ، والرجل البدين يظهر فى شكل من البدانة والضخامة قل أن يكون له نظير فى الحياة الواقعة نفسها وهكذا ..

ثانيا : عنصر التوليد ، وهو مايتاح للكاتب ولايتاح للرسام ، وبه يعتمد الكاتب الى توليد المعانى ، واستطراد الأفكار ، وكل معنى منها يذكر بآخر ، وكل فكرة

(١) للدخل فى فن التحرير الصحفى / مرجع سابق ص ٢٥٥ - ٢٥٨ .

منها تروحي بأخرى ، وهكذا حتى يستنفد الكاتب كل هذه المعاني والأفكار .

ثالثا : عنصر التندر أو ذكر النكات التى ترد على ذهن الكاتب فى أثناء الكتابة .
وهنا تظهر براعة الكاتب فى طريقة الإيراد ، بحيث تبدو كل واحدة من هذه النكات ، وكأنها لم تذكر إلا فى هذا الموضع الذى يشير إليه الكاتب بالذات ، أو كأنها لم تذكر إلا من أجل هذا الشخص الذى هو موضع السخرية والتندر .
رابعا : عنصر التشبيه والتمثيل : وهو العنصر الذى يستوحى فيه الكاتب خياله ، ويستعين به على عملية (المسخ) التى سبق الإشارة إليها ، وكثيراً ما يتسلق الكاتب فى هذه الحالة على كلام القدماء ، وأهاجى الشعراء ، وحكايات العامة أو نحو ذلك . وأكثر من هذا وذلك أن صاحب القلم الكاريكاتورى يعتمد فى توفير هذا العنصر الأخير من عناصر الصورة على كلام القدماء ، وعلى تحويل هذا الكلام من معناه الأصلي الذى وضع له إلى المعنى الجديد الذى أرادته صاحب القلم الكاريكاتورى .

ومن الأمثلة على ذلك أن الشيخ عبد العزيز البشرى فى سخريته من زيور باشا أحد رؤساء الوزارات المشهورين فى مصر قبل الثورة وكان بدينا جداً ، كان يستشهد ببيت من الشعر لأبى نواس هو (وليس على الله بمستكبر .. أن يجمع العالم فى واحد) والمعروف أن أبا نواس نكر هذا البيت من الشعر فى معرض المدح لخليفة من خلفاء بنى العباس ، ولكن (البشرى) ذكر هذا البيت نفسه فى معرض السخرية وإضحاك الناس من شخصية زيور باشا بسبب ضخامة جسمه .

ويقول الدكتور عبد اللطيف حمزه أيضاً أن هذه العناصر الأربعة المتقدمة متى توافرت فى مقال ما ، بلغ هذا المقال كل ما قصده الكاتب من ورائه ، وفى هذه العناصر السابقة ، وفى كل عنصر منها على حدة ، مجال واسع يتنافس فيه الكتاب وأصحاب الأقلام ، ويظهر نبوغهم ، وتتجلى عبقريتهم أما فى نقد الأشخاص ، وأما فى نقد الأفكار والموضوعات .

وغنى عن البيان أن (المقال الكاريكاتورى) لا يزدهر إلا فى أوقات الأمن ، واستمتاع الناس بكل أنواع الحريات ، فليس من السهل على كاتب

هذا النوع من المقال أن يعرض حياته للخطر الذي يصيبه من الشخصية المرموقة التي هي موضوع المقال الكاريكاتورى . أما فى أوقات الظلم والطغيان ، وأوقات الرقابة المفروضة على الصحف ، فإن الصحافة لا تلجأ إلى القلم الكاريكاتورى بحال من الأحوال .. كما أن القلم الكاريكاتورى لا يوجد إلا فى فترات نهضة الأدب ، وكثيرا ما يكون دليلا من دلائل هذه النهضة الأدبية فى ذاتها ، ذلك أن هذا الفن الأدبى فى ذاته يحتاج إلى قدرة أدبية من نوع خاص ، كما يحتاج إلى قدر من الذكاء من نوع خاص أيضا ، ثم لاغنى له مع هذا وذاك عن قدر من الثقافة يعين الكاتب على توفير العناصر الأربعة المتقدمة للقلم الكاريكاتورى .

كذلك لا يستغنى صاحب هذا الفن الأدبى عن أن تكون له صفات ذاتية يخف بها كلامه على الناس ، ومن هذه الصفات - على سبيل المثال - أن يكون ظريفاً غاية الظرف ، وأن يكون خفيف الظل فى كتاباته كأحسن ما تكون خفة الظل ، وأن يكون فى طبعه مرح ، وفى أفقه سعة وفى ذهنه ذخيرة هائلة من التجارب الانسانية التى خبر بها الناس . وهذه وتلك مواهب تخص بها الطبيعة فريفاً من الناس دون الفريق الآخر ، وفى الصحافة المجال الواسع للاحتفاء الكامل بهذه الميزات أو المواهب فى الانسان .

الجاحظ ومقال الكاريكاتور :

وربما كان الجاحظ - كما يقول الدكتور عبد اللطيف حمزه^(١) - أول كاتب اسلامى عالج فن (المقال الكاريكاتورى) فى تاريخ النثر العربى ولقد ترك الجاحظ أعظم رسالة أدبية كتبت فى هذا الفن وهى (رسالة الترييح والتدوير) وموضوعها هو السخرية من كاتب من كتاب الديوان اسمه (أحمد بن عبد الوهاب) كتب فيه الجاحظ هذه الرسالة التى تزيد على خمسين صفحة من القطع الكبير . وقد تفنن فيها الجاحظ ألوانا كثيرة جداً من التفنن فى السخرية

(١) نفس المرجع السابق ص ٢٥٢ .

والنقد . ويعتبر هذا الكاتب بحق واضعاً لاساس المقال الكاريكاتورى فى الأدب العربى ومنذ ظهرت الصحافة الشعبية فى مصر فى النصف الثانى من القرن الماضى - وكانت الصحافة فى ذلك الوقت مماثلة للأدب فى جمال الأسلوب - نبغ من رجال الأدب والصحافة كثيرون ، من أشهرهم فى فن الكاريكاتور ابراهيم المويلحى صاحب مصباح الشرق . وفى ذلك يقول عبد العزيز البشرى ^(١) " ... ولقد كان هذا من مصباح الشرق الأصل الثابت لهذا اللون من النقد - أعنى النقد الكاريكاتورى فى مصر - كما كانت صحيفة المويلحيين ، المويلحى الكبير والمويلحى الصغير ، راسمها (ابوزيد) أول ما عرف من التصوير الكاريكاتورى فى هذه البلاد " .

وفى القرن العشرين ، فى الفترة التى تقع بين عامى ١٩٢٢ و ١٩٤٢ ظهر المقال الكاريكاتورى على صفحات الصحف المصرية ، ونبغ فيه أدباء وصحفيون منهم : الشيخ عبد العزيز البشرى ، وكان ينشر فى مجلة السياسة الأسبوعية ... وفكرى أباطه وكان يكتب فى مجلة الهلال .. وأحمد حافظ عوض وكان ينشر فى مجلة خيال الظل .. وكاتب آخر كان يوقع بامضاء (م . هـ) فى جريدة الكشكول المصور .

نماذج لمقال الكاريكاتور :

وأول نموذج نقدمه عبارته عن مقال كاريكاتورى بقلم الشيخ عبد العزيز البشرى (*)
يعنــــــــــــران (زيور باشا) (٢) ... قال البشرى فى مقاله عن زيور باشا :
" أما شكله الخارجى وأوصافه الهندسية ، ورسم قطاعاته ، ومساقطه الأفقية ، فذلك كله محتاج فى وصفه وضبط مساحاته الى فن دقيق ، وهندسة بارعة .

(١) راجع كتاب المختار للبشرى ج ١ ص ٢٢١ وكذلك عبد اللطيف حمزة / أدب للقاله الصحفية فى مصر / الجزء الثالث ص ٦٨ و ٩٥ .

(*) عبد العزيز البشرى كاتب ولد بالقاهرة عام ١٨٨٦ وتوفى بها عام ١٩٤٣ وهو ابن الشيخ سليم البشرى شيخ الجامع الأزهر الأسبق ، وقد درس فى الأزهر وتولى القضاء الشرعى مدة ، ثم عين مراقباً إدارياً للمجمع اللغوى بالقاهرة . له أسلوب خاص فى كتابته المقالة ، يقارن بأساليب للتقدميين من أعلام الكتاب فى العصر العباسى ، ويتميز بدعابة مصقولة ، ودقة فى الوصف ، جمعت مقالاته فى عدة مجلدات (فى المرأة) وهى صور لشخصيات مشهورة عام ١٩٢٧ و (المختار) عام ١٩٣٥ و (قطوف) عام ١٩٤٧ . (راجع الموسوعة العربية لليسرة / مرجع سابق ص ٣٧٤) .

(٢) من كتاب (فى المرأة) طبعة دار الكتب المصرية عام ١٩٢٧ ص ٧ وزيور باشا هو أحد رؤساء الرزالات المصرية فى عام ١٩٢٧ عـ

" الواقع أن زيور باشا رجل - ان صح هذا التعبير - يمتاز عن سائر الناس فى كل شىء ، ولست أعنى بامتيازته فى شكله المهور طوله ، ولا عرضه ، ولا بعد مداه ، فان فى الناس من هم أبعد منه وأبعد طولاً وأوفر لحماً ، إلا أن لكل منهم هيكلاً واحداً . أما صاحبنا ، فإذا اطلعت عليه أدركت - لأول وهلة - أنه مؤلف من عدة مخلوقات ، لا تدرى كيف اتصلت ، ولا كيف تعلق بعضها ببعض ، ومنها ما يدور حول نفسه ، ومنها ما يدور حول غيره ، ومنها المتبیس المتحجر ، ومنها المسترخى المترهل ، وعلى كل حال فقد خرجت هضبة عالية مالت من شفافها إلى الامام شعبة طويلة ، اطل من فوقها على الرادى رأس فيه عينان زائفتان ، طلة من يرتقب السقوط إلى قرارة ذلك المهوى السحيق .

وزيور عند الناس مجموعة متباينة متناقضة متشاكسة ، فهو عندهم كريم وبخيل ، وهو شجاع ورعديد ، وهو ذكى وغبى ، وهو طيب وخبيث ، وهو داهية وشهوانى ، وهو وطنى حريص على مصالح البلاد ، وهو مستهتر بحقوق وطنه يجرؤ منها بالطارف والتلاد .

كل أولئك زيور ، وكل هذا قد يضيفه الناس إلى زيور ، فلا تكاد تسمعهم مجالسهم بما يأخذهم فيه من الدهشة والاستغراب ، وإذا كان مما لا يمكن فى الطبيعة أن يستقيم لرجل واحد ، فقد غلط الناس إذ حسبوا زيوراً رجلاً واحداً . والواقع أنه عدة رجال ، وعلى الاصح هو عدة مخلوقات ، لا تدرى - كما حدثتك - كيف اتصلت ، ولا كيف تعلق بعضها ببعض .

فإذا ادحشك التباين فى أخلاقه ، وراعه هذا التناقض فى طباعه ، فذلك لأن هذا المجرم العظيم الذى تحسبه شيئاً واحداً ، مؤلف فى الحقيقة من عدة مناطق ، لكل منها شكله ، وطبعه ، وقصوره ، وحظه من التربية والتعليب . فمنها العاقل ، ومنها الجاهل ، ومنها الحكيم ، ومنها الغر ، ومنها الكريم ، ومنها البخيل ، ومنها المصرى ، ومنها الجركسى ، ومنها الفرنس ، ومنها الانجليزى ، ومنها المالىطى ، وكل منها يجرى فى مذهبه ، ويتصرف فى الدائرة الخاصة به ، فلا عجب إذا صدر عن تلك المجموعة الزيورية كل ما ترى من ضروب هذه المتناقضات !!

والظاهر أن زيور باشا - برغم حرصه على كل هذه الممتلكات الواسعة - عاجز تمام العجز عن ادارتها ، وتوليها بالمراقبة والإشراف ، ومادامت الادارة المركزية فيه قد فشلت كل هذا الفشل ، فأحرى به أن يبادر فيعلن إعطاء كل منها الحكم الذاتى . على أن تعمل مستقلة بنفسها على التدرج فى سبيل الرقى والكمال !! وحسب عقله فى هذا النظام الجديد أن يتوافر على ادارة رجله وحدهما ، ولعله يستطيع أن يسيّرهما فى طريق الأمن والسلام !!

وانى أورد عليك طائفة يسيرة تدلك على ما فى هذه المجموعة الغريبة من ضروب المتناقضات ، التى تجزم منها بأن ذلك الخلق ليس شيئاً واحداً ، وإنما هو فى الحقيقة عدة أشياء !!

وان ظلماً أن يؤخذ البرىء بجريمة الأثم ، وأن عسفاً أن يعاقب البرىء بما أجرم الظالم ، فقد يكون الذى اقترف كل هذه الاثام هو كوع زيور باشا الأيسر ، أو القسم الأسفل من (لفته) أو المنطقة الوسطى من فخله اليمنى ، أو غيرها من تلك الكائنات التى تجمعت فى هيكله العظيم !! فما شأن تلك المخلوقات كلها تجر الى مواطن الاتهام ، وتماقب بما ارتكب بعضها من الجرائم والاثام ؟؟

ان الحق والعدل ليقضيان بأن يؤلف مجلس النواب - ان شاء الله - لجنة تقوم بعمل التحقيق فى جسم صاحب الدولة ، فتسال أعضائه عضواً عضواً ، وتحقق مع أشلائه شلواً شلواً ، حتى يفرق منها بين المحسن والمسىء ، ولا يخلط فى العقوبة بين المجرم والبريء .
" ولعل العضو الوحيد المقطوع بهرامته من كل ما ارتكب من الأقام هو مخ زبور باشا ، فما أحسبه شارك ولادخل فى شئ من كل ما حصل " (انتهى المقال) .

وواضح أن هذا المقال انما قام فى جملة على التماس العيوب الرئيسية فى شخص زبور باشا ، وترك البشرى لقلمه أن يعرضها عرضاً كاريكاتورياً زاد فى تشويهها ، ما ورد على ذهن الكاتب فى اثناء كتابته من ضروب التشبيه وماحضره من فنون التمثيل ، ولأزال الكاتب يتوسع فى الموضوع ، عن طريق التوليد للمعانى وإيراد النكت الباردة حتى استكملت الصورة القلمية الكاريكاتورية كل عناصر الاضحاك ، والسخرية ، والتندر بشخص زبور باشا .
ومعروف أنه كان أحد رؤساء الوزراء المصريين المشهورين وتولى رئاسة الوزارة عام ١٩٢٧ وواضح انه لولا وجود نوع من الحريات فى ذلك الوقت لما كان من السهل ان يعرض البشرى حياته للخطر الذي كان يمكن أن يصيبه من زبور باشا موضوع مقاله الكاريكاتورى ذلك . هذا علاوة على أن عبد العزيز البشرى صاحب هذا الفن الأدبى الرائع ، كاتب له مواهب وصفات ذاتية يخف بها كلامه على الناس ، كما كان ظريفا خفيف الظل فى كتاباته ، وفى طبعه مرح ، وفى أفقه سعة ، وفى ذهنه ذخيره هائلة من التجارب الانسانية التى خبر بها الناس خبرة جيدة .

نماذج من جريدة الكشكول المصور :

وعلى سبيل المثال أيضا كانت (جريدة الكشكول المصور) (*) وهى مشهورة باعتمادها على الكاريكاتور الذى يعتمد على القلم وعلى

(*) جريدة لكشكول المصور ، مجلة كاريكاتورية ساخرة صدرت فى الفترة من عام ١٩٢١ الى عام ١٩٣٤ لصاحبها سليمان فوزى وكانت تناصر اسماعيل صدقى باشا وعدلى يكن وعبد الخالق ثروت وغيرهم وتعادى حزب الوفد على وجه الخصوص (راجع للمؤلف - جريدة الكشكول المصور) رسالة ماجستير خطية مقدمة لقسم الصحافة بكلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧١ .

الرسم أيضا .. كانت هذه الصحيفة تنشر باباً ثابتاً تحت عنوان (فى المرأة) لكاتب كان يوقع بامضاء (م . ه) . وكانت كل حلقة فيه يصاحبها رسم كاريكاتورى مصغر لوجه الشخص الذى تتناوله الحلقة ... بلى ذلك مقدمة يتناول فيها الكاتب الحديث بايجاز عن شىء عاقل أو حيوان أو طائر يرى فيه الكاتب الكثير من الشبه والصفات بما فى الشخصية التى تتناولها الحلقة ويطابق بين الطرفين ، ويوضح مدى الشبه بينهما .. ثم يأخذ بعد ذلك فى الحديث عن الشخصية التى يتناولها بأسلوب كاريكاتورى شديد الهجوم والسخرية على من يعارضهم (الكشكول المصور) من كبار الساسة والشخصيات البارزة فى زمانها ..

وأول حلقة فى هذا الباب (١) كانت عن الزعيم مصطفى النحاس (*) رئيس حزب الوفد - حينئذ - وقد جاءت الصورة الكاريكاتورية القلمية ساخرة مشوهة ، حيث كانت (الكشكول المصور) تعارض حزب الوفد معارضة شديدة .. فهذا هو (مصطفى النحاس) الذى يستوحى كاتب المقال خياله ، فيعتمد الى مسخ صورته ويشبهه بشحاذ اسمه (الشيخ ابراهيم) كان يراه منذ عشرين سنة يجلس عند باب زويلة " أسمر اللون ، مدغم الوجه ، متقوس الحاجبين ، عريض القفا ، له رأس كبيضة الحمامة وجهته كحجر الطاحون ، وله عينان حائرتان كأنما تدوران على لولب ، وانف كناقوس الكنيسة ، لولا أنه أخرس ، وله

(١) جريدة الكشكول للمصور العدد (٢٦٩) الصادر بتاريخ ٩ يوليو ١٩٢٦ ص ١٤ .
 (*) مصطفى النحاس : زعيم سياسي مصري ورئيس حزب الوفد ولد عام ١٨٧٦ وتوفى بالقاهرة عام ١٩٦٥ وقد خدم القضاء المصري مدة طويلة ثم دخل غمار السياسة وانضم الى الوفد المصري برئاسة سعد زغلول باشا بعد أن استقال من الحكومة ونفى مع سعد زغلول الى جزيرة سيبل عام ١٩٢١ وعين وزيراً للمواصلات عام ١٩٢٤ فى وزارة الشعب الاولى برئاسة سعد زغلول فوزيراً بالوزارة الائتلافية عام ١٩٢٦ برئاسة عدلى يكن . وعند وفاة سعد زغلول عام ١٩٢٧ خلفه فى رئاسة حزب الوفد وفى رئاسته مجلس النواب الاتلافى - وقد ألف الوزارة فى عام ١٩٢٨ وفاوض الانجليز عام ١٩٢٩ وفشلت المفاوضات بسبب مسأله السودان . وافتح بعد ذلك فى إبرام معاهدة الزعفران عام ١٩٣٦ مع الانجليز و فيها اعترفت بريطانيا بمصر دولة مستقلة ذات سيادة والغيت الامتيازات الأجنبية والى النحاس الوزارة غنى اعوام : ١٩٢٨ - ١٩٣٦ - ١٩٤٢ - ١٩٥٠ واعتزل الحياة السياسية عقب ثورة يوليو ١٩٥٢ .
 (الموسوعة العربية الميسرة / مرجع سابق فى ١٨٢٦) .

ذقن كقاعدة العمود ، فوقه فم يسع بفضل الله كل هذا الوجود " .

ويلتمس الكاتب عيوب وجه النحاس فيجسمها ويمسخ صورته ، فيقول : " النحاس باشا جميل الطلع إن صح أن الجمال فنون مختلفة ، وأن للألوان فيه شرائع يلتوى بعضها على بعض . فان كان شيء من الجمال فى تتناسب الأجزاء وتشاكلها ، ففى بعض الألوان أن الجمال يسكن الى التناظر وانعدام المشاكلة ، وأى فنان سليم الذوق لايحس الجمال كله فى الجبهة العالية ، تمتد فوق الوجه المسطوح كما يستد (التراس) أمام البناء الفخم ١٩ ويبقى نوع آخر من الجمال تسعد به قوميتنا المصرية ، وينهزم أمامه دعاء (البرانيط) .. نعم جميل أن يستعصى رأس النحاس باشا على البرنيطة لأن بروز جبهته ، واستطالتها من الشرق الى الغرب ، يمنعان البرنيطة أن تستقر فوق هذا الرأس الأفتب الصغير ويعمد كاتب هذا المقال الكاريكاتورى الى توليد المعانى واستطراد الأفكار حول ماضى مصطفى النحاس فيقول ساخراً متحكماً " واذا جئتم الى الماضى ، فاحذروا أن تصيبوا جلائل ماضيه بشيء من الجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين .. كان أعزه الله محامياً ، ثم سئم حرية الحمامة ، فطلب نعمة الوظائف يتخذها محبس هذه الحرية ، وكذلك النفوس الكريمة تابى الضيم حيثما كان مهبطه ، فان مسها ضيم الحرية ، فرت الى باب من أبواب الاستعباد تطمنن إليه ، وان قعد بها ضيم الاستعباد عما تطلب من عظامم الآمال ، هربت الى سبيل من سبل الحرية تستعين به على أمرها ، ولاتجادلوا فى أن الحرية وحدها كانت أمنية النحاس باشا يوم استقال من وظيفته فى القضاء ، ليتقلد وظيفة فى الوفد المصرى " .

وواضح فى هذا المقال الكاريكاتورى ، أن الكاتب قد استخدم العناصر الأربعة للقلم الكاريكاتورى التى سبق عرضها استخداماً جيداً حيث عمد الى تجسيم العيوب فى شخصية الزعيم مصطفى النحاس ومسخ صورته كما عمد الى توليد المعانى واستطراد الأفكار كلما سار فى مقاله ، وظهرت براعة الكاتب فى ايراد عناصر التندر ، وذكر النكات التى ترد على ذهنه أثناء الكتابة .. وكان لعنصر التشبيه والتمثيل مجال واسع فى هذا المقال ، حيث كان الكاتب يستوحى خياله ويستعين به فى عملية (المسخ) .. وانظر إليه عندما يشبه مصطفى النحاس . بشحاذا اسمه (الشيخ ابراهيم) كان يراه منذ عشرين سنة يجلس عند باب زويلة .. ورأس النحاس " كبيضة الحمامة وجبهته كحجر الطاحون " وأنف النحاس " كناقوس كنيسة لولا أنه أخرس " وأن له فماً " يسع بفضل الله كل هذا الوجود " .. وان جبهته بارزة " واستطالتها من الشرق الى الغرب " ... الخ .

ونكتفى بهذا القدر من الحديث عن (المقال الكاريكاتورى) لننتقل الى
الحديث عن نوع آخر من أنواع المقالات الأدبية ، قريب الشبه لهذا
النوع الكاريكاتورى ، وهو (المقال النزالى) الذى نفرده له المبحث
التالى ...

المبحث الخامس المقال النزالى

ماهو المقال النزالى ٩٩

الاجابة يقدمها الدكتور حسنين عبد القادر^(١) فيقول : " ان المقال النزالى يكون لأسباب شخصية ، أو للنزاع حول فكرة ، أو مبدأ ، وفى هذا المقال نجد نزالا ، وصراعاً ، وقتالاً ، وطعناً ، وصدأ لهذا الطعن . وفى العادة يكون المقال شديد اللهجة ، عنيفاً إلى أقصى حدود العنف . وكثيراً ما يذهب المقال النزالى إلى السباب ، وكثيراً أيضاً ما يندفع الكاتب - دون أن يدري - إلى الخروج عن تقاليد الكتابة ، أو ينسى نفسه ككاتب ، أو أديب ، أو صاحب فكرة ، حتى يصل الأمر الى أن يقطر قلمه السم الزعاف " .

ومن حق الكاتب المنازل - كما يقول الدكتور حسنين أيضاً - ان يهزأ من الشخص الذى ينازله ، وأن يسخر من أفكاره ، ويهزه هزأ عنيفاً يفقده شخصيته واحترامه بين الناس .

وللنزال أسلحة ، يقدمها الدكتور حسنين كذلك . ومنها التدليل المنطقى ، بمعنى أن يكون الانسان عالماً بقواعد المنطق . وطرق استخدامها ، وكيف يبدأ بالمقدمات ليصل إلى النتائج .. وبجانب هذا يجب أن يلجأ الكاتب الى وسائل التهكم ، (التنبيط) حتى ينال من الخصم بمقدار . وعندما يبدأ الكاتب فى الدخول فى ميدان النزال يجب أن يضع أمامه موضوع النزال والخصم الذى سينازله ويدرس الموقف دراسة دقيقة وافية ، ويبحث كيف كانت سيرة حياته ، وهل له فضائح يمكن استغلالها فى التشهير به والخط من قدره بين الناس .

ويقول الدكتور حسنين عبد القادر أخيراً ان المقال النزالى يجب أن يهدف أول ما يهدف الى محاولة اقناع الخصم حتى يكف عن المضى فى النزال ، وفى الوقت نفسه يحاول اقناع الجمهور حتى ينضم إلى صف الكاتب ضد غريمه . ولذلك يسمح فى مثل هذه المقالات بالخروج نوعاً ما عن الحقائق .

المقال النزالى الألبسى :

والمقالات النزالية فى مصر لها طريقان هما : طريق الأدب من ناحية ، وطريق

(١) الصحافة كمصدر للتاريخ (القاهرة ٨٥٩١) ص ١٦١-١٦٢

السياسة من ناحية ثانية... ففي الأدب ظهرت معركة حامية الوطيس بين القديم والجديد ، وهي المعركة التي بدأت على صفحات (الجريدة) لمحررها أحمد لطفي السيد (*) ، وتناظر فيها رجلان هما : مصطفى صادق الرافعي (**) عن القديم ، وطه حسين عن الجديد .. ثم ما لبثت هذه المعركة أن انتقلت إلى صحيفة (السياسة الأسبوعية) لمحررها محمد حسين هيكل (***) وأستمرت ذبول تلك المعركة سنوات بعد ذلك في الصحف المصرية الأخرى

ومن النزال الأدبي كذلك تلك المعركة التي دارت رحاها مرة أخرى بين الدكتور / طه حسين وعباس محمود العقاد (****) ، حول موضوع الأدب السكسوني ، تشبع فيها الدكتور طه حسين للثقافة اللاتينية ، وتشيع فيها العقاد للثقافة السكسونية وأستمر الأمر مسجلاً بينهما فترة ليست بالقصيرة .

(*) أحمد لطفي السيد : مفكر وفيلسوف مصري ورائد من رواد الحركة الوطنية ، ولد في برفين بالدقهلية عام ١٨٧٧ وتوفي بالقاهرة ١٩٦٣ وق حصل على ليسانس الحقوق عام ١٨٩٤ والتحق بخدمة القضاء واستقال عام ١٩٠٥ واشتغل بالسياسة وشارك في تأسيس حزب الأمة ، وتولى رئاسة تحرير الجريدة ١٩٠٦ إلى عام ١٩١٤ حيث عاد إلى خدمة القضاء . وعين مديراً لدار الكتب المصرية من عام ١٩١٥ إلى عام ١٩١٨ فمديراً للجامعة المصرية عام ١٩٢٥ فوزيراً للمعارف عام ١٩٢٨ وعاد إلى إدارة الجامعة عام ١٩٣٠ واستقال عام ١٩٣٢ ثم عاد للمرة الثالثة مديراً للجامعة في يوليو ١٩٣٨ وعين عضواً بجمع اللغة العربية عام ١٩٤٠ ف رئيساً له ١٩٤٥ إلى عام ١٩٦٣ ، وعين وزيراً للخارجية عام ١٩٤٦ فثائباً لرئيس الوزراء عضواً بمجلس الشيوخ وأسهم في عدة مجامع وجمعيات علمية ونال جائزة الدولة للتقنية في العلوم الإجتماعية عام ١٩٥٨ [الموسوعة العربية للميرة ، مرجع سابق ص ٦٢]

(ج) مصطفى صادق الرافعي أديب مصري ولد عام ١٨٨٠ وتوفي عام ١٩٣٧ وقد بدأ حياته الأدبية شاعراً في مدرسة البارودي فأخرج عدة دواوين ظهر أولها عام ١٩٠٢ وتحول في الشطر الثاني من حياته إلى النشر فكتب عدة كتب من نوع النثر الشعري : (حديث القمر ١٩١١) و (المساكن ١٩١٧) وله كتاب (تاريخ آداب العرب) و كتاب (أعجاز القرآن) وكتب في السنوات الأخيرة من حياته مقالات في موضوعات متفرقة ينحو في بعضها النحر القصصي جمعت في (وحي القلم ١٩٣٦) ودارت بينه وبين الجديدين معارك نقدية حامية كتب فيها (تحت راية القرآن ١٩٢٦) رداً على كتاب (في الشعر الجاهلي) لطه حسين ، وكتاب (علي السford ١٩٣٠) وهو نقد عنيف لشعر العقاد [الموسوعة العربية للميرة ، مرجع سابق ص ١٨٥] .

(***) محمد حسين هيكل : كاتب سياسي مصري ، ولد في قرية هيكل بمركز السنبلوين بالدقهلية عام ١٨٨٨ لأسرة موسرة وتوفي عام ١٩٥٦ وقد تخرج في مدرسة الحقوق ، وأتم دراسته في باريس حيث حصل على دكتوراه القانون ، واتصل اتصالاً وثيقاً بأحمد لطفي السيد وانضم إلى حزب الأحرار الدستوريين وتولى تحرير جريدة (السياسة) اليومية الأسبوعية وأصبح رئيساً للحزب ورئيساً لمجلس الشيوخ وولي وزارة المعارف عدة مرات وكتب في مطلع حياته الأدبية عام ١٩١٤ رواية (زينب) وكتب سيرة (جان جاك روسو ١٩٢١) و (تراجم مصرية وغربية ١٩٢٩) و (حياة محمد ١٩٣٥) و (الصديق أبو بكر ١٩٤٢) و (القاروق عمر ١٩٤٤) وجمع كثيراً من مقالاته النقدية وكتابه (في أوقات الفراغ ١٩٢٥) و (ثورة الأدب ١٩٣٣) [الموسوعة العربية للميرة/ مرجع سابق في ١٩٢٩] .

(****) عباس محمود العقاد : شاعر وكاتب مصري ولد في أسوان عام ١٨٨٩ وتوفي بالقاهرة ١٩٦٤ وبعد =

المقال النزالي السياسي :

وفي الطريق الثاني من طرق النزال السياسي كثرت معارك شتى بين الأحزاب المصرية التي ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى ، وأخذت تتزايد شيئاً فشيئاً فيما بعد ، وقد انزلت بعض هذه المعارك السياسية أو الحزبية الي مستوي الخوض في الأشخاص والأعراض وكان من هذه الأخيرة تلك الحملات الصحفية العنيفة التي حمل فيها العقاد علي الرئيس السابق مصطفى النحاس ، وذلك بمنذ خرج العقاد من حزب الوفد وانضم الي حزب السعديين .

ومن الحملات الصحفية الأولى في مجال المقال النزالي الصحفية المصرية نجد الحملة التي اقترنت بأسم (الشيخ علي يوسف) (*) صاحب جريدة (المؤيد)

= ١ اتم تعليمه الابتدائي عمل في وظيفة كتابية لم يلبث أن تركها واشتغل بالصحافة وأقبل علي تثقيف نفسه ثقافة واسعة ، بدأ انتاجه الشعري قبل الحرب الأولى وظهر ديوانه عام ١٩١٦ في أربعة أجزاء وتوات بعد ذلك مجموعات الشعرية بعناوين مختلفة : (وحي الأربعين) و (هدية الكروان) و (عابر سبيل) وقد اتخذ من البيئة المصرية ومشاهد الحياة العادية مصادر للإلهام .. وقد غلب فن المقالة علي انتاج العقاد النثري الأول : (الفصول) و (مطالعات في الكتب والحياة) و (مراجعات في الآداب والفنون) ثم كتب سلسلة سير لأعلام الإسلام بطريقة خاصة أشبه برسم الشخصيات (عبقرية محمد) و (عبقرية عمر) وغيرهما برواية واحدة (سارة) واتجه الي الفلسفة والدين (الله) و (إبليس) و (الفلسفة القرآنية) و في عنفوان نشاط حزب الوفد المصري كان العقاد يكتب الأفتتاحيات السياسية في جرائده مثل (البلاغ) و (الجهاد) وكتب سيرة للزعيم سعد زغلول عام ١٩٣٦ وصدرت عنه عدة بحوث أهمها كتاب بقلم تلاميذه (الموسوعة العربية الميسرة مرجع سابق ص ١٢٢٠) .

(*) الشيخ علي يوسف : صحفي وسياسي وقطب ديني مصري ولد عام ١٨٦٣ وتوفي عام ١٩١٣ وقد تعلم بالأزهر ، واتصل بجمال الدين الأفغاني . وأصدر عام ١٨٨٧ جريدة الآداب بالأشتراك مع الشيخ أحمد ماضي ، وكانت تصدر أسبوعياً ثم فقدت انتظامها حتى عطلت عام ١٨٨٩ ثم انشا جريدة (المؤيد) عام ١٨٨٩ وظل يحررها ٢٣ سنة ثم تخلى عنها لاسناد منصب ديني إليه ، وقد أصدر (المؤيد الأسبوعي) في طبعتي انجليزية وفرنسية ، وكان أول مصري أستورد مطبعة دارة (روتاتيف) لطبع جريدته . وأسس جمعية الهلال الأحمر ، واشتهر بقضيته (التلغرافات) و (الزواج من ابنة السيد السادات) وله ديوان شعر بعنوانه (نسيم السحر) ومقالات مجموعة [الموعة العربية الميسرة / مرجع سابق ص ١٢٢٢] .

وفيه أشهر الشيخ قلماً على (اللورد كرومر) (*) جبار الاحتلال الإنجليزي فى مصر ، وكان ذلك فى النصف الأخير من سنة ١٩٠٧ فى الفترة البسيطة السبقت سقوط كرومر عن عرش الوكالة البريطانية والفترة البسيطة التى أعقبت هذا السقوط - وقد عرفت المقالات النزالية التى تألفت منها حملة (الشيخ عيسى يوسف) ، وعددها أربع عشرة مقالة باسم مقالات (قصر الدويارة بعد يوم الأربعاء) (١) .

وقد نشرت (جريدة الكشكول المصور) (٢) العديد من المقالات النزالية التى ينطبق عليها تمام الانطباق كل خصائص وأهداف المقال النزالى التى سبق عرضها .. ومن أهم تلك المقالات ، منازل مع شتى صحف حزب الوفد الذى كانت تعارضه وكذلك مجلة (اللطائف المصورة) ومجلة (روز اليوسف) .

(*) اللورد كرومر : هو الابن التاسع لهنرى بيرنج : ادارى ودبلوماسى بريطانى ولد عام ١٨٤١ وتوفى عام ١٩١٧ وقد خدم فى مصر ، وهو الابن التاسع لهنرى بيرنج عضو مجلس العموم البريطانى . وعين ضابطاً عام ١٨٥٨ وياروراً للمندوب لسامى البريطانى للجزر الأيونية عام ١٨٦١ وأمينا خاصاً لحاكم الهند العام (١٨٧٢ - ١٨٧٦) والمندوب البريطانى بصندوق الدين الذى ألفه الخديوي إسماعيل لى يطعمن الأجانب على أموالهم فى مصر التى اقترضوها له ثم مندوب بريطانيا فى المراقبة الثانية عام ١٨٧٩ واختير وزيراً للمالية بالهند (١٨٨٠ - ١٨٨٣) واختارته الحكومة البريطانية عام ١٨٨٣ عقب الاحتلال البريطانى لمصر ليكون الوكيل البريطانى والقصل العام بمصر ، بدرجة وزير مفوض فى السلك الدبلوماسى . ومنذ ذلك الحين حتى استقالته عام ١٩٠٧ كان الحاكم الحقيقى لمصر ، وكان تاريخ البلاد أبان هذه الحقبة هو تاريخ السياسة التى انتهجها . ولم يكن يعين رئيس للوزارة المصرية إلا بموافقة . واضطرت الحكومة المصرية الى الأنصياع لمشورته باخلاء السودان - بعد فشل حملة مكس عام ١٨٨٣ وقصر التعليم فى مصر على تخريج صفار الموظفين فى الحكومة المصرية واستقال فى ١٠ أبريل ١٩٠٧ بعد قضية ننشواي عام ١٩٠٦ وكافاته حكومة بلاده بمبلغ خمسين ألف جنيه على أثر استقالته ، وله كتاب (مصر الحثيثة ١٩٠٨) و (الاستعمار القديم والحديث) الموسوعة العربية الميسرة مرجع سابق من ١٤٥٧ .

(١) راجع المدخل فى فن التحرير الصحفى / مرجع سابق من ٢٢٩ و ٢٣٠ وكذلك أدب المقالة الصحفية / مرجع سابق ج ٤ ص ٤٦ و ٧٦ .

(٢) راجع للمؤلف (الكشكول المصور) رسالة ماجستير مرجع سابق من ٢٢١ - ٢٣٢ .

بين الكشكول واللطائف المصورة

وقد بدأت المنازلة بين (سليمان فوزي) صاحب جريدة الكشكول المصور وبين (أسكندر مكاربوس) صاحب مجلة اللطائف المصورة ، بأن بعث أسكندر مكاربوس الي صاحب الكشكول خطابا أنتقد فيه نشر إعلان معين ، وعلق الكشكول علي ذلك متهمكا علي (أسكندر مكاربوس) الذي جعل من نسه قيما " علي الصحف التي تزاحمه " و أعرب عن سخريته من أن يتحقق للبلاد " أمنية الاستقلال التام علي يده " (١)

وهنا تبدأ المنازلة تسخن وتزداد لهجتها عنفا وترد (اللطائف المصورة) علي تهكم (الكشكول المصور) وتوضح اللطائف انها لم تطق " ان تترك جبل هذه المجلة (أى الكشكول) على غاربه لأنها تريا بالصحافة المصرية العربية أن تستعمل أداة (وسخة) منحطة للطعن فى مشاهير رجال مصر (٢) .

ويرد (الكشكول المصور) على ذلك فيهزأ من صاحب اللطائف ويسخر منه ويأخذ فى نبش سيرته وتاريخه بغرض التشهير به ، فيذكر أن مكاربوس أفندى يخدم الاستعمار الذى تربى فى حجره وتغذى من فضله .. وأن والده سورى مسيحى من أولئك الذين هاجروا بلادهم بعد مقاتلة الوطنية " ثلاثة وثلاثين عاما بشهادة الشهود . (٣)

وتمضى المنازلة بين المجلتين ، وتزداد عنفاً على عنف ، وتذهب إلى حد السباب عندما تذكر (اللطائف) أنها لا تطيق أن ترى البلاد تنوء " تحت بلايا صحافة مصورة قذرة " وأنه لا يتفق مع مصالحها " الابقاء على طائفة من مدعى الصحافة المعروفين بسفالة أخلاقهم ودناءة آدابهم ، ونريد بهم أولئك الذئاب الذين لبسوا ثياب الحملان وظهروا بمظهر الصحافيين وأخذوا يعيثون فسادا بين

(١) الكشكول المصور العدد الخامس الصادر فى ٢١ يونيه ١٩٢١ ص ٣

(٢) اللطائف المصورة العدد ٣٣٣ الصادر فى ٢٧ يونيه ١٩٢١ ص ٦

(٣) الكشكول المصور العدد السادس الصادر فى ٢٨ يونيه ١٩٢١ ص ٦ و ٧

طبقات هذه الأمة على صفحات وريقاتهم المصورة القذرة " (١) .

ويرد (الكشكول المصور) بعنف أشد ويزداد فى طعنه ونزاله ، وفى الرقت نفسه يبذل جهده لاقتناع الجمهور حتى ينظم الى صفه ضد عظيمه ثم يعلن برامته من المصريين ومن الوطنية " إن كانت تروج فى هذه البلاد دعوة أن صاحب اللطائف مصرى ابن مصرى وغير - وهو ابن أحد أصحاب المقطم - على مصر اكثر من المصريين " (٢)

وتتوقف المنازلة بين المجلتين نحو عام إلا قليلا ثم يعاود (الكشكول المصور) الهجوم على (اللطائف المصورة) لأن صاحبها " شرع فى نشر رواية عنوانها " قهرة الغلبانيين " ، ضمنها الفاظاً وعبارات قد لا تتدنى اليها أحط مومس فى عيش الترجمان ويبر جمص " (٣) .

ولم ترد (اللطائف المصورة) على ذلك إلى انتهزت فرصة اعتداء شخص يدعى (محمد بكري المهندس بمصلحة المساحة) على صاحب الكشكول سليمان فوزى بضربه فى محل صولت الحلوانى بالقاهرة على مرأى ومسمع من الناس وقالت أن سليمان فوزى " كان قد ذهب لياكل الحلوى فذاق العلقم "

ورداً على ذلك نشر (الكشكول المصور) كلمة بتوقيع (قارىء) وصف فيها نفس صاحب اللطائف بأنها " نفس منحطة بتأجج فيها نار الحقد ولظى الحسد " ووجه اليه النصيح بأن يكف عن مهاجمة الكشكول فى عريضة " وليتأكد أن خيبته فى المدرسة وخروجه منها خالى الوفاض ، لاعلم ولا معرفه ، لم تكن بيد الكشكول فيحقد عليه ، بل خيبته جاءت من تحجر مخه ، وحماقته المتأصلة فى

(١) اللطائف المصور العدد ٣٣٤ بتاريخ ٤ يوليو ١٩٢١ ص ١٢ .

(٢) الكشكول المصور العدد السابع بتاريخ ٥ يوليو ١٩٢١ ص ٦

(٣) الكشكول المصور العدد ٥٢ الصادر بتاريخ ١٤ مايو ١٩٢٢ ص ١٣

نفسه والقاعدة العامة (أن النار تخلف رمادا) كذلك يكون خلف الدكتور صروف (خيبة الأمل) فلاعجب أن أنجب الدكتور جحشا اليوم ، وغداً يكون حمارا " ^(١) وبعد ذلك بدأت المنازلة بين المجلتين تخف حدتها شيئا فشيئا إلى أن توقفت تماما ، وأصبح كل منهما ينشر عن الآخر الانتقادات الفاترة التي لاتندرج تحت نطاق (المقالات النزالية) بصورتها السابق عرضها .

* * * * *

بين الكشكول وروز اليوسف :

أما المقالات النزالية بين صاحب (الكشكول المصور) وبين صاحبة مجلة (روز اليوسف) فقد كانت عديدة واستمرت فترة طويلة ، وبلغت من سلاطة اللسان من الطرفين درجة فاقت كل حد ... كما أسرفت أيما إسراف في التدخل في الشؤون الشخصية ، والتعرض للمسائل الخاصة ، والانزلاق الى نهش الأعراض والتناوب بالالقاب ، دون مراعاة أو نظر إلى قانون الأخلاق أو الذوق العام والآداب العامة . حتى وصل الأمر الى أن محمد محمود باشا رئيس الوزراء حينئذ في الوزارة التي ألفها في ٢٧ يونيو ١٩٢٨ أئذر المجلتين على السواء ، بصفته وزيرا للداخلية تطبيقاً للمادتين (١٣ و ١٤) من قانون المطبوعات الصادر في ١٩ ديسمبر ١٨٨١ " حيث أن الوزارة لاحظت في بعض أعداد الكشكول الأخيرة اسفافاً في المهاترة ، ونزولا في مناهج النقد ومذاهب الخصومة يجب أن تتنزه عنهما الصحافة وهي بمكان الهادي المؤدب " ^(٢) وكذلك لان مجلة روز يوسف " مازالت تسن بفاحش القول ومنكر الأقاصيص ، وبالإمعان في الكذب

(١) الكشكول المصور العدد ٦٧ الصادر بتاريخ ٢٧ أغسطس ١٩٢٢ ص ١١

(٢) الكشكول المصور العدد ٢٨٠ الصادر بتاريخ ٤٢ أغسطس ١٩٢٨ ص ٢

والإختلاق ، سنة مزرية بشرف الصحافة مفسدة للأخلاق والآداب " (١)
ان تلك المقالات النزالية بين (الكشكول المصور) وبين مجلة (روز اليوسف)
لم تبدأ فجأة من العدم ... بل سبقتها انتقادات ومهاجمات وجهها (الكشكول
المصور) الى شخص السيدة فاطمة اليوسف (روز اليوسف) عندما كانت
تشتغل بالفن والتمثيل قبل أن تنشئ مجلتها (روز اليوسف) التى صدر
عدها الأول فى ٢٦ أكتوبر ١٩٢٥ . وكانت تلك المجلة تعنى فى أول الأمر
بالفنون والآداب ، ثم أصبحت تعنى الى جانب ذلك بالسياسة والمسائل العامة
بعد الشهور الأولى من بداية عام ١٩٢٦ وكانت سنتها الثالثة مرحلة انتقال فى
تحولها من صحيفة فنية الى صحيفة سياسية (٢) .

ولقد واصل (الكشكول المصور) هجومه على (روز اليوسف) وخاصة بعد
أن انضمت الى معسكر خصومة الوفديين ، وأصبحت من صحف حزب الوفد
التى تدافع عنه وعن سياسته . وقد ذكر الدكتور ابراهيم عبده أن
(روز اليوسف) أخذت جانب الوفد منذ مات سعد زغلول ، وولى الأمر
مصطفى النحاس باشا (٣) .

وبدأت (روز اليوسف) تهاجم (الكشكول المصور) وتدافع عن نفسها ،
وأخذت ترد له الصاع صاعين ، وتسقيه من نفس الكأس التى طأها سقاها
منه العلقم ، وكان ذلك ابتداءً من عددها رقم (١٠٥) الصادر بتاريخ ١٠
نوفمبر ١٩٢٧ .

وفى الحق أن أحداً من خصوم (الكشكول المصور) لم يسلم من قلمه اللاذع
المقذع على حد تعبير الدكتور ابراهيم عبده - حتى انبرت له (روز اليوسف)
فأذاقته من معينه أشكالا وألوانا ، فاذا الصحيفة الشتامة المبرزة فى هذا

(١) مجلة روز اليوسف العدد (١٤١) الصادر بتاريخ ٢٨ أغسطس ١٩٢٨ ص ٣ .

(٢) ابراهيم عبده / روز اليوسف سيرة وصحيفة (القاهرة مارس ١٩٦١) ص ٨٥ - ١٠٦ .

(٣) نفس المرجع السابق ص ١٠٧ .

لميدان ، تجرى إلى النيابة تشكو السيدة روز اليوسف (١) .
وحول ذلك تتهكم (روز اليوسف) على (الكشول المصور) وهريشكو
خصومه الى القضاء بينما له " تاريخ عريض فى الكذب والتضليل " وصفحاته
" اذا لم تكن قد احمرت خجلا لكثرة ما حملت من ألفاظ الفحش (الشريف) فقد
احمرت إذن لكثرة ما سال عليها من دماء الأعراض " (٢) .

وتعود (روز اليوسف) إلى الماضى تفتش فيه عــــن تاريخ
(سليمان فوزى) صاحب الكشكول المصور ، وتخرج بطبيعة الحال عن الحقائق
ساخرة متهمكة عليه لتخدم غرضها فى المنازلة ، وتشهر بخصمها ، وتحط من
قدره بين الناس ، فتدعى ان سليمان فوزى كان " منذ ثمانية عشر عاماً "
مجرد شماعة أدمية عند باب لطفى السيد محرر الجريدة وكل عيذاته " تجارة فى
الملق والرياء والغش ، بلا رأسمال . . وبراعة لاتساجل ، وكفامة لاتبارى ، فى
صيد السمك الأحمر من الماء الرائق السلسل " (٣) .

وتزيد (روز اليوسف) فى نزالها وطعنها للكشكول المصور وصاحبه ،
وتشتد فى هذا الطعن والنزال ، وتكثر منه بدرجة ملحوظة ، حتى لتكاد أغلب
صفحاتها قمتلىء وتفيض بالحديث عن ماضى سليمان فوزى الذى هو " ماض
منتان منقبح " وحياته كلها " شلقاً على الوطنيين وبعض من لم يدفع ضريبة
الكشكول من الرجعيين سواء بسواء " وأن هذا التشليق " يدر عليه الخير
والبركات " (٤)

وتذكر (روز اليوسف) أيضا أن سليمان فوزى يظن وهو فى ظل الوزارة
الحاضرة ، وهى وزارة محمد محمود باشا " أن فى وسع الكلب أن يستأسد أو يمد

(١) نفس المرجع السابق ص ١٠٨ .

(٢) مجلة روز اليوسف العدد (١٢٤) الصادر بتاريخ ٢٤ ابريل ١٩٢٨ ص ٤ .

(٣) مجلة روز اليوسف نفس العدد ص ٦ .

(٤) مجلة روز اليوسف العدد (١٣١) الصادر بتاريخ ١٢ يونية ١٩٢٨ ص ٩ .

لسانه كما يشاء " .. وتوجه اليه القول زاجرة مهددة بالكتابة عن خروجه من
دارة فى بلدته منشية سلطان مركز منوف " عزق الثياب حافى القدمين تشييعه
لعنات امرأة محلولة الشعر ، ممزقة الثوب عارية النهدين .. " ثم حضوره للقاهرة
الى بيت خاله فى العباسية حيث اتخذ " بوابو حى الوايلى صديقاً ورفيقاً " ثم طرده
من بيت خاله ، وزواجه من فتاة سنراء مليحة كانت ترقص فى دار بغشاها
السرور (١) .

* * * *

كان ماتقدم بعضاً من كل ، وقليلاً من كثير ولمحات ومقتطفات يسيرة من
مقالات عديدة نازلت (روز اليوسف) بها خصمها سليمان فوزى صاحب
(الكشكول المصور) والتي لاحظت عليها وزارة الداخلية كما سبق ذكره انها
" مازالت تسن بفاحش القول ومنكر الأقاصيص وبالامعان فى الكذب والاختلاق
سنة مزرية بشرف الصحافة مفسدة للأخلاق والآداب " ثم ماذا كان على الجانب
الآخر من المنازلات ... جانب (الكشكول المصور) الذى لاحظت عليه وزارة
الداخلية " إسفافاً فى المهاترة ونزولاً فى مناهج النقد ومذاهب الخصومة " .

لقد كان لسان (الكشكول المصور) فى هذه المنازلات أكثر من سليط ، وقلم
كاتبه يقطر السم الزعاف ... نهش فى الأعراض ... تشنيع وسب مكشوف
بالفاظ خارجة يندى لها الجبين .. حديث عن تاريخ روز اليوسف يريد به أن يهزها
هزا عنيفاً ، ويفقدها احترام الناس لها .. وقد امتلأ (الكشكول المصور) بالكثير
من مثله .. ولكن ماتضمنته تلك المقالات النزالية بالذات يعتبر غاية ما وصل
اليه (الكشكول المصور) من الاسفاف فى المهاترة ، والانحطاط فى فاحش القول
ومنكر الأقاصيص على حد قول وزارة الداخلية .

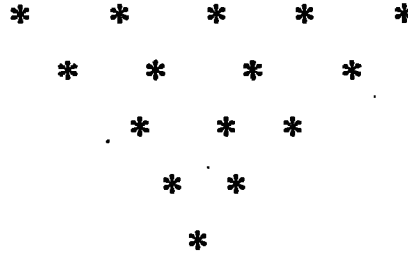
فقد نشر (الكشكول المصور) فى مقالين اثنين فقط مايتضائل بجانبه كل
ماكتبته عنه (روز اليوسف) فى العديد من أعدادها .. فهذا (تاريخ ماأهمله

(١) مجلة روز اليوسف العدد ١٣٦ الصادر بتاريخ ٢٤ يولييه ١٩٢٨ ص ٩ (وراجع كذلك أعداد مجلة روزال
يوسف فى هذه الفترة ففيها الكثير من السباب والهجوم العنيف الموجه إلى سليمان فوزى صاحب الكشكول
المصور

التاريخ / طريدة حصبيا وصحفية اليوم (^(١)) وعلى نفس الوتيرة ، بل وأكثر ،
واصل (مؤرخ) هجومه بأسلوب فاضح والفاظ مكشفره على (روز اليوسف)
مستكملا استعراض (تاريخ ما أهمله التاريخ) ومتحدثا عن (روزه .. خادمة
فى الكشف) (^(٢)) .

وهنا أمتنع عن نقل أى نصوص مماورد فى تلك المنازلات أو (المشاتمات) أو
(الردح والتشليق) لأنها مخجلة ، ولا أدرى كيف لم تجد أى من الصحيفتين
حرجاً فى عرضها على صفحاتها ، التى كانت تدخل كل بيت ، ويقرأها الكبار
والصغار من الجنسين ... وقد تدنى النزال فيها إلى أسفل درجات الاسفاف
والانحطاط ، وكل ذلك نتيجة لحصومات حزبية عمياء عقيمة ، لم يستفد منها
غير أعداء البلاد من المحتلين وأذنابهم .. وقد جاءت مقالات الكشكول
واللطائف السابق عرضها بجانب تلك المقالات النزالية صفراً على الشمال كما
يقولون .

ومع الانتهاء من عرض المقال النزالى .. نكون قد وصلنا إلى نهاية هذا الفصل
الثانى حول المقال الأدبى وأنواعه ... وننتقل بعد ذلك إلى تناول قسم (المقال
العلمى) باعتباره القسم الثانى من أقسام المقال ... وهذا هو موضوع الفصل التالى .



(١) الكشكول المصور العدد (٣٧٥) الصادر بتاريخ ٣٠ يوليو ١٩٢٨ ص ٥ .
(٢) الكشكول المصور العدد (٣٧٨) الصادر بتاريخ ١٧ أغسطس ١٩٢٨ ص ١٥ .

الفصل الثالث

المقال العلمى وأنواعه (*)

يوجد نوعان من (المقال العلمى) : نوع يكتب للمتخصصين ونوع يكتب لغير المتخصصين من القراء .. والنوع الأول ينشر فى الكتاب العلمى أو المجلات العلمية التى تصدرها الهيئات والمؤسسات التى توفرت على نشر العلم .. والنوع الثانى تنشره الصحف بنوعيتها من جرائد ومجلات . والأول ليس مجال دراستنا ، والثانى هو الذى يهمنى التركيز عليه فى مجال هذه الدراسة .

والمقال العلمى الذى تنشره الجرائد والمجلات العامة ، يحقق ثلاث وظائف أساسية من بين الوظائف العديدة التى تحققها الصحف وهى وظائف : التعليم والتثقيف .. والتوجيه والإرشاد ، والتسلية والامتناع .. وذلك لأن الناس فى حاجة الى من يعلمهم ويثقفهم ، ويرشدهم ويوجههم ، ويسليهم ويمتعهم ، وخاصة فيما يتصل بحياتهم العقلية . وكل هذا يتم لهم من خلال المقال العلمى بأنواعه المختلفة الذى تنشره الصحف العامة . فإلى جانب المتخصصين فى مجالات العلوم المختلفة ، فإنه لاغنى للمثقفين فى الأمة عن الأخذ من كل علم من العلوم الانسانية بطرف . وقد أدركت الصحافة منذ نشأتها هذه الحقيقة ، فأخذت تقرأها من حين لآخر بتلك الفصول العلمية المفيدة والمقالات الطريفة التى يتعلمون منها حيناً ، ويتثقفون ويتسلون بها أحياناً ،

(*) اعتمدنا فى هذه الجزئية بصفة أساسية على كتاب (المدخل فى فن التحرير الصحفى .. مرجع سابق ص ٢٦٩ - ٢٨٢ وكذلك بعض المراجع الثانوية الأخرى سيتم الإشارة إليها فى موضعها مع بعض النماذج من الكتابات العلمية الصحفية ، المنشورة فى الصحف .

وترشددهم وتوجههم فى أحيان كثيرة إلى ما فيه مصلحتهم وفائدتهم ..
شروط المقال العلمى :

وينبغى أن تتوافر فى المقال العلمى الذى تنشره الصحف عدة شروط منها :
أولاً : الاقلال جهد المستطاع ، من المصطلحات العلمية المعروفة عند أهل هذا العلم أو ذاك من العلوم التى يتعرض لها المقال . ومعروف أن لكل علم منها العديد من المصطلحات التى يعرفها المشتغلون بهذا العلم معرفة جيدة ، وكلما جد جديد من هذه المصطلحات ، يادروا إلى معرفته وأخذوا فى تداوله ... أما غيرهم من غير المتخصصين فلا علم لهم بهذه المصطلحات ، ولهذا وجب على كاتب المقال العلمى لغير المتخصصين أن يقتصد - ما أمكنه - فى ذكر هذه المصطلحات فى كتاباته .

ومع هذا ينبغى لكاتب المقال العلمى أن يدرك أن القارئ قد لا يضيره أن يقرأ لفظاً علمياً غريباً عليه إذا دعت الضرورة إلى استعماله فى المقالة ، ولا ينبغى للكاتب العلمى فى هذه الحالة أن يعتذر عن استعمال هذا اللفظ ، ولا أن يحاول شرحه بنظرية علمية شرحاً مستفيضاً .. فله مثلاً ، أن يستخدم لفظ الوحدة الحرارية ، ولكن ليس عليه أن يشرح هذه الوحدة الحرارية من الوجهة العلمية ، بل يقول مثلاً : ان ثلاث قطع من السكر ، أو قطعة صغيرة من الزبد تولد مائة وحدة حرارية ، وأن الإنسان يحتاج إلى مائة وحدة حرارية فى الساعة عادة ، وإلى مائة وستين وحدة إذا كان يقوم بعمل مجهد ^(١) .

ثانياً : تبسيط المعلومات التى يقدمها الكاتب العلمى للقراء ، مراعاة منه لهذه الحقيقة السابق الإشارة إليها ، وهى أنه إنما يكتب لغير المتخصصين من القراء .. والكتاب العلميون فى مجال التبسيط درجات ، ومنهم من وهب المقدرة على شرح المادة العلمية الصعبة بطريق سهلة تعرف طريقها إلى الأذهان .

ثالثاً : اصطناع القوالب الأدبية - كلما أمكن ذلك - فى التعبير عن المادة العلمية .. ومن هذه القوالب - على سبيل المثال - قالب القصة ، وبها يستطيع الكاتب أن يحيل هذه المواد العلمية الجافة ، إلى قصص حية يحسن

(١) كارل وارين / كيف تصبح صحفياً - ترجمة عبد الحميد سرايا ص ٢٦٠ .

فيها القارئ كائنها تتكلم وتتحرك ، أو كأن الحقائق العلمية ذاتها أشخاص تذهب وتجيء وتؤدي أدوارها المنوطة بها كأحسن ما يكون الاداء .

رابعا : ربط المعلومات الطريفة التي يأتى بها الكاتب العلمى فى مقاله بحاجة من حاجات القراء ، أو رغبة من رغباتهم ، حتى ولو كانت هذه النزعة مجرد التأمل فى قدرة الخالق سبحانه وتعالى ، وكثيرون من القراء تحفزهم هذه النزعة إلى القراءة .

خامسا : عدم طغيان الصفة الذاتية على الصفة الموضوعية ، وإن كان ذلك لا يمنع من وجود مسحة ذاتية صريحة ، تبث فى المقال شيئا من الحيوية والاشراق فى الصحف المصرية :

ومهما يكن من شئ ففى مجال المقال العلمى تتنافس الصحف بشتى أنواعها على تثقيف القارئ بشتى صنوف المعارف العلمية . ومن أجل هذا كان للصحافة المصرية منذ نشأتها عناية كبيرة بالمقال العلمى الذى يهدف إلى تزويد القراء بالمعلومات فى شتى ألوان المعرفة .. فقد عُنيت بالمقال العلمى صحف : الوقائع المصرية ، وروضة المدارس ، ووادي النيل ، وروضة الأخبار ، ويعسوب الطب ، ومصباح الشرق ، والمؤيد واللواء ، والأهرام ، والجريدة ، وغيرها .. ومازال اهتمام الصحافة المصرية مستمرا بهذا الفرع من المقالات العلمية الى الآن .. ولكن من الحق أن يقال ان من أكثر المجلات المصرية اهتماماً بالمقال العلمى كانت مجلات : المقتطف ، والهلal ، والرسالة ، والثقافة ... غير أن أكثرها تفوقاً فى هذا المجال كانت مجلة المقتطف بالذات .. ثم تليها مجلة الهلال التى انشئت عام ١٨٩٢ ، ومازالت تخدم العلم والثقافة والأدب الى اليوم ... فقد اعتادت (الهلال) أن تنشر فى كل عدد مقالا علمياً طريفاً فى مجال الموضوعات العلمية الدقيقة ، وكثيرا ما تنقل تلك المقالات اما عن كتاب معروف فى الاوساط العلمية ، وإما عن إحدى المجلات الأجنبية .. وقد يكون المقال من تأليف كاتب من العلماء فى مصر أو عضو من أسرة تحريرها ..

نموذج من مجلة الهلال :

وفيما يلي نقدم نموذجاً لمقال علمي بقلم الدكتور محمد رشاد الطربسي بكلية العلوم بجامعة القاهرة منشور في مجلة (الهلال) بالعدد الخامس من المجلد الثامن والخمسين بعنوان (الأذن السحرية) وقد ربط الكاتب مقاله بالأوضاع السائدة التي تدخل في إطار اهتمام القراء قال الكاتب في مقالة :

" كلما اكفهر جو السياسة الدولية ، وتلبدت فيه الغيوم منلورة باحتمال وقوع الحرب ، نشطت السلطات المختصة في كل دولة لتجنيد الرجال العسكريين والعلماء معاً . والواقع ان تجنيد العلماء للبحث والاختراع لا يقل أهمية من الوجهة الحربية عن تجنيد العسكريين ، وما زالت معركة بريطانيا الجوية ماثلة في الأذهان ، اذ جند الألمان ما لا يحصى عدده من الطائرات لكي يقضوا على إنجلترا القضاء الأخير . ولكنهم لم يستطيعوا أن يكسبوا تلك المعركة رغم استعدادهم الضخم الرهيب ، وأحكامهم وضع الخطط لتتفيله ، وما كان فشلهم غير المنتظر إلا نتيجة اختراع (الرادار) أو (الأذن السحرية) الذي استطاع الانجليز بها معرفة الطائرات المعادية قبل وصولها ، وبذلك فقدت هذه الطائرات عنصر المفاجأة .

ويضع المختصون آمالهم الآن في جهاز (الرادار) لدفع خطر القنبلة الذرية التي ينتظر أن تكون هي السلاح الأول في أية حرب قادمة . وللرادار جهاز لاسلكي يبعث موجات لاسلكية قوية يسيرها بسرعة عظيمة في اتجاه محدد ، فإذا اصطدمت هذه الموجات بجسم صلب ، كطائرة تشق عنان السماء أو باخرة تمخر عباب الماء ، أنعكست وعادت إلى الرادار ثانية ، ويمعرفة الزمن الذي استغرقت في ذهابها وعودتها ، يعرف موقع الطائرة أو البخرة ، وتعرف المسافة بينهما وبين محطة الرادار .

ومن المدهش أن الخفاش أو (الوطواط) سبق إلى أسلوب جهاز الرادار منذ أزمان بعيدة ، وقام باستخدامه بنجاح عجيب قبل أن يدرك الانسان من أمره شيئاً . فالمعروف أن الخفاش يختفي بالليل ، فإذا أقبل الليل خرج للبحث عن الغذاء ، طائراً بسرعة كبيرة في الظلام الحالك ، دون أن يصطدم بتاتاً بالأشجار أو بالآبنية التي تعترض طريقه . وكثيراً ما يخترق الغابات الكثيفة التي تمتلئ بالأشجار المتقاربة ، والأغصان المتشابكة ، فيمرق بينها مروق السهم في سهولة وأمان !! .

وقد كانت هذه الظاهرة العجيبة - ونعني بها تحاشي الخفاش تلك العوائق المتقاربة وعدم اصطدامه بها - مما أثار دهشة الباحثين زمنياً طويلاً ، لما ثبت من أنه لا يستطيع أن يراها في الظلام ، فهو إذن لا يعتمد في تجنبها على حاسة النظر ، بل هناك - ولا شك - حاسة أخرى هي التي تنير له السبيل ، وتجنبه الاصطدام بتلك العقبات .

وقام كثير من الباحثين بإجراء تجارب عدة أظهرت في وضوح تام أن الخفاش لا يعتمد على الإبصار في طريقه ليلاً ، فقد احضر العالم (سبالانزاني) عدداً من الخفافيش وفقاً عيونها ، لم تركها بعد ذلك تطير في الهواء ، فتبين له من حركتها للترنزه أنها لم تتأثر على الإطلاق بفقد الإبصار !! ووضع بعض الباحثين خفاشاً في غرفة كبيرة ، ولبت في جميع أركانها أسلاكاً متقاطعة على شكل شبكة ، وعلق في تلك الأسلاك أجراساً صغيرة تدق إذا لمس أي جسم هذه الأسلاك ، لم اطلقت أنوار الغرفة ، ووقف الباحثون في ركن منها لا يرون شيئاً ، ولكنهم يسمعون ويحسون بما يجري فيها ، وظلوا كذلك حوالي نصف ساعة والخفاش يطير من مكان إلى مكان ، متنقلاً بين فتحات تلك الشبكة دون أن يمس أي جزء فيها ، وكان في بعض الأحيان يقترب من وجوههم حتى ليحسون بحركة الهواء الذي تدفقه الأجنحة . وحينما أضيت الأنوار انقطع الخفاش عن الطيران .

وتراجع إلى أعمق مكان في الترفة ، حيث قبع ساكناً لا يبلى أى حراك .

وبدا الباحثون يملكون هذه الظاهرة بشتى التعليلات ، دون أن يهتدوا إلى الدليل الكافى الذى تدعمه التجارب والملاحظات العلمية ، وكان التعليل الذى قدمه العالم (هارتردج) سنة ١٩٢٠ أول تعليل استساغهُ أغلب الباحثين ، وقد رجح فيه استخدام الحفاش موجات صوتية لا تدرکها أذن الإنسان ، ثم أهدت الأبحاث الحديثة صحة هذا التعليل .

ولتفسير ذلك نقول : إن الأصوات المختلفة التى نسمعها تنتقل فى الهواء على صورة موجات صوتية ، ويدرك الإنسان تلك الأصوات فور وصولها إلى طبلة الأذن ، ولا يستطيع أذنه أن تدرك من الأصوات إلا ما كانت اهتزازاتها تتراوح بين ٢٠ و ٣٠ ألف اهتزازة فى الثانية ، وهى تعرف " بالأصوات المسموعة " أما الموجات الصوتية التى تزيد اهتزازاتها على هذا فلا تدرکها الأذن ، وقد أطلق عليها العلماء اسم " الأصوات فوق السمعية " .

وأثبت بعض العلماء الأمريکین حديثاً أن الحفاش لا يصدر الأصوات المعروفة التى نسمعها فحسب ، بل يصدر كذلك أصواتاً أخرى " فوق السمعية " كما أثبتوا أن فى استطاعته سماع تلك الأصوات التى لا تدرکها أذن الإنسان ، فهو يقوم بإصدار هذه الأصوات التى تنتقل فى الهواء ، حتى إذا اعترض طريقها بعض العوائق كالأشجار وغيرها انعكست كما تنعكس أشعة الشمس على سطح مرآة ، فإذا ما وقعت تلك للموجات الصوتية للانعكاس على أذنه أمكنه أن يدرك وجود تلك العوائق . ويستخدم الحفاش فى تقدير المسافة التى بينه وبين السطح الذى ينعكس منه الصوت على الزمن الذى يستغرقه الصوت فى الذهاب إلى هذا السطح والعودة منه بعد انعكاسه وهذا ما يحدث تماماً فى جهاز الرادار .

" ومن بين التجارب التى أجريت للآيات وجود تلك الأصوات الخاصة التى لا نسمعها ، أتهم وضمو " ميكروفونات " بالقرب من الحفاش الطائرة ووصلوا هذه الميكروفونات بأجهزة دقيقة تقوم بتحويل الاهتزازات الصوتية التى لا نسمعها إلى اهتزازات كهربائية يمكن أدراكها بطريقة خاصة ، فاثبتت هذه التجارب أن الحفاش تصدر أصواتاً تتراوح بين ٣٠ و ٧٠ ألف اهتزازة فى الثانية ، أى أنها فوق القدرة السمعية للأذن البشرية ، وفى الوقت نفسه قام هؤلاء العلماء الباحثون بفحص أذن الحفاش ، فظهر لهم أن لها من الميزات ما يجعلها قادرة على سماع مثل تلك الأصوات .

" وقال إن الحاسة التى يتفادى بها الحفاش جميع الحواجز التى تعترضه تتركز فى لسانه . فقد لجأ الملماد إلى قطع عصب تحت لسانه فاكشفوا أنه يصدر أصواتاً يتعرف بها على الحواجز التى أمامه بواسطة حركات لسانه .

" من ذلك نرى أن الطبيعة قد وضعت سراً من أدق أسرارها فى مخلوق ضعيف لا يملك بميرة الإنسان ماهر جدير به من تقدير وإعجاب ، فقد استخدم هذه الطريقة المجدبة فى كفاحة من أهل الحياة ، وتغلب على الصعوبات التى تعترض طريقة الفناء تجواله الليلى الذى يمارسه بحثاً عن الغذاء " .

* * * * *

وهكذا انتهى هذا المقال العلمى بعنوان (الأذن السحرية) فى شرح نظرية من أدق نظريات العلم . وهى نظرية (الرادار) واستخدم الكاتب فى مقاله هذا لغة سهلة تجنب فيها الاكثار من المصطلحات العلمية التى يشق فهمها على القارئ العادى ... وسردنى سبيل ذلك طائفة صالحة من التجارب التى قام بها العلماء ، وشرح هذه التجارب بأسلوب يمتاز بالوضوح والبساطة ، كما يمتاز بربط ما أشتمل عليه من المعلومات الطريقة بحاجة من حاجات القراء ، وهى الرغبة فى السلام وغريزة من غرائزهم ، هى غريزة حب الاستطلاع ، وفى ذلك ما أغنى الكاتب عن استخدام سبيل (القصة) أو (الحوار) أو غيرها من الوسائل الأدبية التى تحيل تلك المادة الجافة الى قصص حية .

المخ سنترال عظيم :

وهذا نموذج آخر لمقال علمي منشور في الصحافة الحديثة كتبه الدكتور مصطفى محمود في مجلة الشباب بعنوان (المخ سنترال عظيم)^(١) قال فيه : من الثابت بالتشريح ان مخنا تضاعف في الحجم والوزن في العشرة ملايين سنة الاخيرة منذ جدنا الاول للزعم " القرد البشرى " الذى كان يعيش في الترنسفال منتصب القامة .. وكانت نتيجة تضخم المخ ان تضخمت الجمجمة معه على حساب الرجة التى ظل يتضائل في المساحة كلما زحف المخ عليه حتى لم يعد هناك مكان لضروس العقل (لان المخ احتل مكانها) فأصبحت لا تثبت احيانا أو تثبت بصعوبة ... ومع استخدامنا للشوك والسكاكين وطهى الطعام وتفضيل المهليات والاملاطيات التى بلا مضغ فإن أسناننا سوف تنقرض ويأكلها السوس فى المستقبل لقلّة استعمالها وسوف تهبط من ٣٢ الى ٢٨ سنة ، هكذا يقول لنا العلماء إذا لم نكتشف وسيلة لصيانتها وتشغيلها .

والسؤال اللئير .. هو لماذا تضخم حجم المخ ؟

ولنعرف الجواب لابد ان نسأل أولا .. ماهو المخ ؟

المخ هو سنترال عظيم فيه اكثر من أربعة عشر الف مليون خط عصبى قادمة إليه من مختلف أماكن الجسد ، والعصب البصرى وحده فيه مليون خط عصبى قادمة اليه من العين .. ونس على ذلك باقى الاعصاب .

وكل هذه الخطوط تلتقى فى الدماغ حيث يقوم المخ بتحليل رسائلها والرد عليها بأجوبة وانعالم قورية بالإضافة إلى هذه الخطوط نجد الاف ملايين الخطوط الاخرى التى تقوم بدور الترابط فى داخل السنترال نفسه بين مختلف المراكز حيث يقوم المخ بدور آخر هو التفكير وبالإضاة أيضا إلى ردود الفعل التى يجيب بها على كل صنوف التنبيهات .

والحواس الهامة فى المخ لها مراكز محددة وسنترالات أصغر خاصة بها . فالمركز البصرى يقع فى مؤخرة الدماغ ، ومراكز اللمس والسمع على الجانبين ، ومراكز الحركة فى المنتصف ، ومراكز التوازن أسفل الدماغ فى فصوص صغيرة خاصة بها اسمها " المخيخ " ومراكز التنفس والدورة الدموية فى أعلى الجبل الشوكى عند اتصاله بالمخ ، أما التفكير والخيال والتصور والذاكرة وإدراك المستقبل والإحساس بالكيان والتدبر والمزم والتخطيط فلها فص امامى هائل (خلف الجبهة) خاص بها ولا مثيل له فى الحيوان . وهكذا كل نشاط له مركز خاص ، حتى العاطفة والغريزة والجنس واللذة والنوم لها مراكز .. وفى كل مركز ملايين الخلايا ساهرة كموظفى السويش فى حالة يقظة دائمة يجيب وتستجيب لأدق الهمسات العصبية .

وفى كل لحظة تتدفق الآن ملايين الإشارات والرسائل العصبية من الجلد والعين والأذن والاثف ومن الأحشاء ومن القلب ومن الأوعية الدموية والكبد والرئتين وكل مكان بالجسد ، حاملة للمعلومات والتنبيهات إلى المخ ، هذا بالإضافة إلى خطوط الترابط الداخلية فى المخ نفسه بين المراكز المختلفة ، وهى الخطوط التى تقوم بالتنوير الضرورى بين مختلف المراكز .

(١) مجلة الشباب العدد (٢٢٨) بتاريخ يوليو ١٩٩٦ ص ٢٥ .

ونفى نفس اللحظة تحمل ملايين الخطوط العصبية الصادرة عن المخ ردود الأفعال على هذه التنبيهات على شكل أوامر بالحركة إلى العضلات وتعليمات بالإفراز للغدد المختلفة وإشارات باتخاذ إجراءات سلوكية معينة لكل عضو هذا النشاط المعقد هو عمل المخ ودوره .

ولهذا كان ازدياد حجم المخ هو الاستجابة الطبيعية لضغط العمل المتزايد عليه .. تماما كما ننشئ سنترالا كبيرا من ٨٠ ألف خط بدلا من السنترال القديم ذو العشرة آلاف خط نتيجة تزايد الضغط وكثرة عدد المشتركين في منطقة السيدة زينب مثلا.

وفى بدء الخليقة حينما كان الكائن الحى خلية واحدة وكانت أغراضه بسيطة .. كانت المادة الحية ذاتها تقوم بالاستجابة فتنبض الخلية مبتعدة عن الخطر بدون حاجة إلى جهاز عصبى . ولكن بنشأة الكائن الحى المتعدد الخلايا والواقع النشاط تخصصت بعض الخلايا فى نقل إشارات الخطر ، وكانت هذه الخلايا هى بداية المخ .. ويتعقد الكائن الحى وتعدد وظائفه وأغراضه ونشاطاته ، ازدادت الخطوط فى هذا المخ البدائى فبدأ يزداد فى الحجم (تماما كما يحدث أن تستعمل عضلات ذراعيك بإسراف فى رفع الأثقال فتتضخم هذه العضلات) .

وكانت هناك دواع كثيرة لأن يكون القرد البشرى ومن بعده الإنسان أكثر اجناس الحيوان أغراضا ونشاطا ، وبالتالي لأن تكون هناك دواع أكثر لكى يتضخم ذلك الجهاز الخاص الذى يهيمن على تلك الأغراض . فالإنسان كان أطول الحيوانات عمرا (لا يفوقه فى هذا العمر إلا بعض السلاحف وبعض أنواع الأشجار) وهو أيضا يمتلك أطول فترة حضانة وطفولة وشباب (بين ستين سنة متوسط عمرة يقضى أربعين سنة فى الحضانة والطفولة والشباب) وطوال هذه المدة يتعلم ويجمع الخبرات والمهارات ، وبالتالي يحتاج إلى نشاط عصبى لمزاولة هذه الخبرات وتخزينها .

ثم انقرد الإنسان بعد ذلك بنشاطات خاصة معقدة .. مثل استخدام الأدوات (منذ مليون سنة) . واختراع الكلام والتفاهم ، والحياة فى أسرة ومجتمع . واكتشاف النار وتسخيرها (منذ نصف مليون سنة) ، ثم صراع مستمر مع عصور جليدية متعاقبة منذ مليون سنة مضت إلى عشرة آلاف سنة . ثم ممارسة الزراعة وتربية الحيوان . وممارسة الصناعة . والاشتغال بالعلوم والرياضيات البحتة والفنون والفلسفة (ظهر الرسم منذ ثلاثين ألف سنة) . ثم ادراك الموت وما أثاره من إبهامات وما يبعثه من خيال . كل هذه الخبرات كان معناها أن يتضخم الجهاز الخاص بها وهو المخ . وما يدل على أهمية الخبرات وصلتها بالمخ والذكاء أن الموت مخه أكبر من مخ الإنسان وأكثر منه تجاعيد ، ولكن مرتبة الموت من الذكاء والمقل أقل من الإنسان بكثير لأن المسألة ليست تضخما فى المخ فقط وإنما هى تضخم مصاحب فى الخبرات والمهارات أيضا ...

والنتيجة هى انفراد الإنسان بشخصية مختلفة عن أسلافه الحيوانات .. فهو وحده الذى يستطيع أن يتصور ويتخيل ويتدبر ، وبالتالي يدرك بعدا زمتيا شاملا للماضى والحاضر والمستقبل ويسأل عن الموت وما بعده ، أما اذكى القردة فإنه لا يستطيع أن يتخيل ولا أن يدرك شيئا اسمه مستقبل ، وإدراكه لماضى محدود ، فهو يحزن لأنه الميت طالما أنه يراه أمامه ، فإذا أخذه من أمامه ودفنته فإنه ينسى أمره تماما إن الذاكرة بمعناها العميق الشامل الباقي شئ لا يملكه إلا الإنسان . وكانت نتيجة نمو الذاكرة عند الإنسان أنه استطاع أن يخزن الخبرات والمهارات والمعارف ، ويستفيد بها فى الحكم والتقرير والسلوك .

وربما كانت وسيلة المخ الى الذاكرة هي ملايين الخطوط والكابلات العصبية التي اسمها خطوط الترابط التي تربط مختلف المراكز بعضها ببعض .

وفى النهاية فإن ما يهدف إليه الإنسان بأعمال المخ والفكر شيء أكثر من مجرد تكديس المعارف وتحقيق المصالح الجسدية العاجلة والتكيف مع بيئة متغيرة .. انه يهدف الى ما هو أخطر من هذه الغايات القريبة . إنه يحاول أن يفهم . إن أرقى وظائف العقل هي محاولته الدائبة لربط الظواهر حوله فى علاقات منسقة لاستنباط القوانين الخافية وراءها وللمعرفة النظام الكامن فى الاشياء واكتشاف السبب والعلل والمعنى .. وفى كلمه واحدة الفهم . أن يفهم معنى كل هذا .

ولكن التفكير للنفع قبل الفهم مازال هو الغالب ومازال يقعد بالعقل عن بلوغ اسمى اهدافه .. إننا نفكر للكسب ونفكر للحرب ونمارس ذكائنا فى سبيل اللزيم من السيطرة والنفوذ والقوة والمادية ... ولانفكر لفهم انفسنا وازممتنا الحقيقية .. والنتيجة ان الانسانية تخطر إلى خرابها دون أن تدري . فالإنسان الذى امتلك القنبلة الذرية ورعى لنفسه عضلات من فولاذ مازال طفلاً أنانياً فى عواطفه وقرداً بدائياً فى أخلاقه .. إنه لم يرتفع إلى مستوى القوة والمسئولية التى بلغها .

وهو لا يفهم هذا لأنه لا يستعمل عقله ليفهم وإنما ليرى مزيداً من القوى للمادية وليقع أكثر وأكثر فى ذلك التناقض القتال بين قوته وخلقه .. وهو يقترب شيئاً فشيئاً من ساعة الصفر حينما لا يعود الفهم مجدياً .

لقد تكيفت الطيور والحشرات مع ظروفها المتغيرة واستطاعت أن تعبر العصور الجليدية فى سلام ولكننا لا يبدو أننا نتكيف مع هذه القوة التى تنمو بسرعة مذهله فى أيدينا ، لاننا لانحاول ان نفهم انفسنا .

وبين لحظة وأخرى قد تقع الرائعة ويغنى جنسنا فى حرب مدمرة ونصبح مجرد صفحة فى تاريخ وحفريات ينقب عنها الجنس الذى باتى بعدنا فى ثنانيا الصخور .. الا يجب أن نتوقف لحظة لنحاول أن نفهم انفسنا .. [انتهى المقال] .

أنواع المقال العلمى :

ومثل تلك المقالات كثير من الكتابات العلمية التى يسعى فيها الكتاب الى تبسيط العلم ، وتقريبه إلى أذهان عامة القراء سعياً وراء الغاية التى تهدف اليها الصحافة وهى تثقيف القارئ بمختلف الثقافات ، وتزويده بشتى المعلومات .

وتتنوع المقالات العلمية بتنوع العلوم ذاتها وما أكثرها ، غير أن أشهر ما عانيت به الجرائد والمجلات المصرية الى الآن من أنواع المقال العلمى ما يلى : ١ - المقالة النقدية : ومن أشهر كتابها العقاد والمازنى وطه حسين .

٢ - المقالة الفلسفية : ومن أشهر كتابها أحمد لطفى السيد ، والدكتور منصور فهمى ، والدكتور زكى نجيب محمود .

٣ - المقالة التاريخية : وهى كثيرة الورد فى الصحافة المصرية ، ولها كتاب عديدون .

٤ - المقالة العلمية : ومن أشهر كتابها الدكتور صروف ، والدكتور احمد زكى والدكتور مصطفى محمود وغيرهم .

٥ - المقالة الاجتماعية : وكتابها كثيرون أيضا فى الصحف فى الوقت الحاضر وكل ذلك تنشره المجلات أكثر مما تنشره الجرائد اليومية .

* * * * *

والى هنا ينتهى حديثنا عن المقال العلمى وأنواعه .. وننتقل إلى الحديث عن القسم الثالث من أقسام المقال وهو القسم الخاص بالمقال الصحفى وأنواعه .. وهذا ما نتناوله فى الفصل التالى:

* * * * *
* * * * *
* * *
* *
*

الفصل الرابع

المقال الصحفي وأنواعه

اعتاد الباحثون فى الفن الصحفى ، على أن يشبهوا المقال الصحفى بعقل الانسان ، ومعنى ذلك أن مهمة المقال فى الصحيفة كمهمة العقل سواء بسواء .. والعقل البشرى هو القادر على تفسير المحسوسات ، وشرح المؤثرات وتحليلها ، وربط الأحداث بعضها ببعض ، ولذلك فإن كاتب المقال له أن يستنبط أو يدخل فى موازنات ، ليخرج فى النهاية بالقدر من الصواب ، الذى يرشد ويروجه القراء والرأى العام الوجهة الصحيحة .

والمقال الصحفى ، هو الأداة الصحفية التى تعبر بشكل مباشر ، عن سياسة الصحيفة ، وعن آراء كتابها سواء كانوا من جهازها الصحفى أو من خارجها فى الأحداث اليومية الجارية ، وفى القضايا التى تشغل الرأى العام . يقوم المقال الصحفى بهذه المهمة من خلال شرح الأحداث الجارية ، وتفسيرها والتعليق عليها ، بما يكشف عن أبعادها ، ودلالاتها المختلفة . كذلك فإنه فى بعض الحالات يمكن أن يطرح كاتب المقال فكرة جديدة ، أو تصوراً مبتكراً ، أو رؤية خاصة تشكل فى حد ذاتها قضية تشغل الرأى العام ، وخاصة إذا كانت تمس مصالح القراء ، أو تثير اهتمامهم لأى سبب من الأسباب . ويصفة عامة فإن الصحافة الحديثة أصبحت موسوعية فى اهتمامها ومقالاتها ، حيث أنها تغطى السياسة والاقتصاد والاجتماع ، والفن ، والأدب ، والثقافة ، والرياضة وغيرها (١)

(١) فن الكتابة الصحفية - مرجع سابق ص ١٧٩ وكذلك دراسات فى الفن الصحفى - مرجع سابق ص ٢٠٦ .

أولاً : وظائف المقال الصحفي :

مما تقدم تتضح لنا وظائف المقال الصحفي ، وهى عديدة من أهمها مايلي (١) .

(١) الاعلام : وذلك بتقديم المعلومات ، والأفكار الجديدة عن الأحـــــــــــــــــد أو القضايا ، أو المشكلات التى تشغل رأى العام . ولكن ليس معنى ذلك أن يكون الاعلام هو الغرض الأول من أغراض المقال الصحفي ولاينبغى أن يهدف الى تحقيق سبق الصحفي .

(٢) الشرح والتفسير : وذلك عن طريق شرح الأخبار ، وتفسير الصلة التى بينها وبين الأفراد والمجتمعات ، والتعليق على هذه الأخبار بما يوضح للقراء مغزاها وأبعادها ، وجوانبها المختلفة ، وخاصة بالنسبة للقارئ العادى الذى تشرح له أموراً يصعب عليه فهمها ، لعدم امتلاكه للوقت وللقدرة الكافية لمعرفة التفاصيل المعقدة للحوادث اليومية .

(٣) التوجيه والارشاد : وذلك على أساس من العلم والمعرفة التامة بموضوع التوجيه ، وإيراد الشواهد القوية من واقع الحياة ، ويمكن لكاتب المقال ، وخاصة فى الصحف الكبرى أن يوجه السياسة العامة ، لكى تتبعها دولته .

(٤) التثقيف : وذلك عن طريق نشر المعارف الإنسانية المختلفة .

(٥) الدعاية السياسية : وذلك بنشر سياسة الحكومات والأحزاب ، ومواقفها المختلفة من قضايا المجتمع .

(٦) تعبئة الجماهير : وذلك لخدمة نظام سياسى ، أو اجتماعى معين ، أو للمساهمة فى التنمية الوطنية وغيرها .

(٧) تكوين رأى العام : وذلك عن طريق التأثير على اتجاهاته سواء بالسلب أو الايجاب فى القضايا المختلفة ، وحض القراء على اتخاذ قرارات مباشرة تجاه قضايا معينة .

(١) المرجع الأول السابق ص ١٨٠ وكذلك المدخل فى فن التحرير الصحفى مرجع سابق ص ٢٨٤ .

(٨) التسلية والامتناع : وهذا الأمر تحققه المقالات الترفيهية ، أو الضاحكة ، أو الساخرة ، أو المقالات المسلية الطريفة التي تستأثر باهتمام القراء ، وتجذب التفاتهم .

ثانياً : لغة المقال الصحفي :

والمقال الصحفي له لغته الخاصة ، ذلك الأسلوب الذى وصفه الكاتب الانجليزى ديفو بقوله : " اذا سألنى سائل عن الأسلوب الذى اكتبه ، قلت انه الذى اذا تحدثت به الى خمسة آلاف شخص ، ممن يختلفون اختلافاً عظيماً فى قواهم العقلية - عدا البله والمجانين - فأنهم يفهمون ما أقول " (١) .

وعلى ذلك فالمقال الصحفي ينبغى أن يكتب بلغة الحياة العامة ، أى لغة القارئ العادى ، التى يفهمها اكبر عدد ممكن من القراء ، مهما اختلفت أذواقهم وأفهامهم ، وبيئاتهم ، ومستوياتهم التعليمية والثقافية والاجتماعية .. وهذه اللغة تمتاز بالسهولة والبساطة والوضوح . وهذا لايعنى أن تكون لغة المقال الصحفي هى اللغة العامية ، وإنما يجب أن تكون لغة عربية فصحية سليمة تمتاز بالبساطة والوضوح والايناس واللفظ والرشاقة . وتبتعد عن صفات التعالى على القراء ، أو الغرابة فى الأسلوب ، أو المبالغة فى التعمق الذى لا تقبله طبيعة الصحف (٢) .

ثالثاً : أنواع المقال الصحفي :

والمقال الصحفي أنواع مختلفة أخذت تتطور حتى صار كل منها يشكل فناً صحفياً مستقلاً بذاته ومنها : المقال الافتتاحى ... والعمود الصحفى .. واليوميات ... والمقال التحليلى وغيرها .. ونتناول كل نوع من تلك الأنواع السابق ذكرها فى مبحث مستقل من المباحث التالية، الى جانب تخصيص مبحث أخير بعنوان (الاسمية واللا اسمية فى الصحافة) فيما يتعلق بتوقيع الكتاب على مقالاتهم من عدمه ..

(١) المدخل فى فن التحرير الصحفى ، مرجع سابق ص ٢٢٣ وكذلك دراسات فى الفن الصحفى ، مرجع سابق ص ١٩٧ .

(٢) المرجع الاول السابق ص ٢٨٩ وكذلك فن الكتابة الصحفية / مرجع سابق ص ١٨١ .

المبحث الأول

المقال الافتتاحي

Leading Article - Editorial Article

يعتبر المقال الافتتاحي أهم فنون المقال الصحفي ، وهو المقال الرئيسي للصحيفة ويطلق عليه الانجليز والأمريكيون "Leading Article" أو "Editorial Article" .

والتعبير الأول يجوز ترجمته - كما يقول رشدي صالح^(١) - بأنه " المقال القائد " أو المقال المقدم على غيره فنفس التعبير يعنى السلعة الجيدة رخيصة الثمن فتتقدم غيرها من السلع من حيث الرواج ، غير أن كلمة Lead (كاسم تجرى فى الاستعمال الصحفى بمعنى مقدمة الخبر ، أى أنها ذلك الجزء من الخبر الذى يتقدم غيره من حيث تصنيف أجزاء الخبر ، ومن حيث الدلالة عليه . وكلمة (Editorial) تنتسب الى المحرر (Editor) ، لأنه من المفترض أن رأى الصحيفة يقوله رئيس التحرير أو يكتبه ، نظراً لمسئوليته ومعرفته بسياساتها وتثيله لها .

ويقال (Editorial) هى مقال يكتبه رئيس التحرير يعبر فيه عن رأى الصحيفة ، وقد يكتبه بنفسه ، أو بكل كتابته الى غيره من كبار كتاب الصحيفة ، أو من يثق فيهم ، لكن تحت مسئوليته ، أو تحت مسئولية أصحاب الصحيفة . لأن الافتتاحية هى صوت الصحيفة كمؤسسة ، وهى منسوبة الى الصحيفة التى يمثل قمة تحريرها رئيس التحرير ، وهذا المقال لا يوقع بأسم كاتبه حالياً ، لأنه يمثل - كما قلنا - رأى الصحيفة لا رأى كاتبه ولو كان رئيس التحرير .

(١) جلال الدين الحمامسى / الصحيفة للقالية (القاهرة - دار المعارف ١٩٧٢) ص ٢١٠ و ٢١١ وكللك فن الكتابة الصحفية - مرجع سابق ص ١٨٤ .

والمقال الافتتاحى يقوم على شرح وتفسير أهم الأخبار ، والأحداث اليومية البارزة ، والتعليق عليها بما يكشف عن سياسة الصحيفة تجاه تلك الأخبار ، والأحداث ، والقضايا الجارية ، سواء على الصعيدين المحلى والعالمى . ويربط بين القراء والصحيفة من ناحية ، وبالأحداث الجارية من ناحية أخرى كما يدفع القارئ الى المشاركة فى مواجهة القضايا والمشكلات التى تهم المجتمع (١) .

ويعتمد نجاح المقال الافتتاحى الى حد كبير ، على اختيار الموضوع الذى يكون حديث الساعة ، ويهم القراء . وقد يسهل مهمة اختبار الموضوع ذلك الاجتماع الذى يعقده مجلس التحرير فى الصحيفة كل يوم ، لتحديد الموضوع المقترح للمقال الافتتاحى ، ويعهد بكتابته الى المتخصص فى ذلك المجال .. وأحيانا يتسرك لكاتب المقال الافتتاحى حرية اختبار الموضوع الذى يعتقد أنه أكثر أهمية بالنسبة للقراء ، بشرط ألا يتعارض مع سياسة الصحيفة (٢) .

ومن ثم فإن كاتب هذه المادة الصحفية ، يجب أن يكون سريعاً فى تفكيره ، سريعاً فى تعبيره عن رأى الصحيفة فى الأحداث والقضايا الهامة الجارية ، ويجب عليه دائماً أن يكون واسع الاطلاع ، قادراً على ربط الحاضر بالماضى ، متصلاً على الدوام بشتى الصحف والدوريات ، وعلى صلة دائمة بالصفوة المختارة من العلماء ، والأدباء ، والمفكرين فى عصره . ويمكن فى بعض الأحيان أن تكل الصحيفة الى أحد هؤلاء الصفوة المختارة كتابة المقال الافتتاحى فى المجال الذى تخصص فيه مادام يتفق مع سياستها ويعبر عن رأيها . ثم انه لاغنى لكاتب المقال الافتتاحى فى أحيان كثيرة عن " الارشيف الصحفى " يرجع اليه كلما أراد الوقوف على الحوادث السابقة والشواهد الماضية ، ويفيد منه فى تقوية المقال . وتكون محتويات الارشيف الصحفى فى المجال الذى يدور حوله المقال الافتتاحى ، أشبه شئ بالوثائق والشهود على صدق مايقول (٣) وغالباً لا تزيد مساحة المقال الافتتاحى عن عمود ، أو

(١) المرجع الثانى السابق ص ١٨٣ .

(٢) محمود فهمى / الفن الصحفى فى العالم (القاهرة - دار المعارف ١٩٦٤) ص ١٣٤ .

(٣) المدخل فى فن التحرير الصحفى مرجع سابق ص ٢٩٠ و ٢٩١ .

نصف عمود ، بعد أن كان يحتل قبل الحرب العالمية الثانية مساحة صفحة كاملة ، وأحيانا أكثر عندما كانت الصحافة ماتزال صحافة رأى ، وكان فى تلك الفترة الماضية يحتل الصفحة الاولى من الجريدة ، ثم تراجع فى الصحافة المعاصرة الى الصفحات الداخلية ، وخاصة صفحة الرأى . وقد يكون فى هذا العمود مقال افتتاحى واحد حيناً ، أو مقالان أو ثلاثة حيناً آخر . وقد عمدت الصحافة الحديثة الى كتابة المقال الافتتاحى على هذا النحو ، لكى تفسح المجال لبقية المواد الصحفية الاخرى التى لم تكن تعرفها الصحافة القديمة ، أو كانت معرفتها بها قليلة ^(١) .

وكان للمقال الافتتاحى - فى غير هذه الأيام التى نعيشها الآن - شأن عند جميع الأمم الناهضة ، أكبر من شأنه فى الوقت الحاضر . بل ان المقال الافتتاحى كان ينظر اليه دائماً على أنه الاداة الاولى للتقدم ، والوسيلة الوحيدة للارشاد ، والطريق الصحيح للأخذ بيد الأمة ، التى تريد لنفسها صيانة الشعب من جميع المؤثرات الضارة به ، وبأفكاره ، وتقاليد مادام فى صيانتها صمام الأمن والسلامة من هذه الأضرار .

وهناك من يقلل من أهمية المقال الافتتاحى فى الصحف المعاصرة ، بحجة أن غالبية القراء لا يقبلون على قراءته . وفى احصاء قام به معهد جالوب (Gallub) بأمريكا ظهر أن ١٩ ٪ فقط من الرجال و ١٠ ٪ فقط من النساء يعنون بقراءة المقال الافتتاحى ، وفى بحث للامريكى روبرت راند Robert Rand حول دراسة لميول القراء بالنسبة لموضوع المقال الافتتاحى لثلاثين صحيفة أمريكية ، خرج الباحث بأن قراء المقال الافتتاحى لا يتجاوزون ٨ ر ١٨ ٪ وأن ٩ ر ٧٨ ٪ منهم يلقون نظرة عجلية على المقال دون قراءته من أوله لآخرة . ويتوقع بعض العرب المختصين بشئون تدريس الصحافة بأن نسبة قراء المقال الافتتاحى فى العالم العربى لن تزيد على ٥ ٪ على أكثر تقدير إذا تم اجراء بحوث لقياس ميول القراء العرب ، ورغبتهم فى قراءة المقــــــــــــــــال الافتتاحى (٢) .

(١) نفس المرجع السابق ص ٣٠٤ وكذلك فى الكتابة الصحفية - مرجع سابق ص ١٨٥ .

(٢) المدخل فى فن التحرير الصحفى - مرجع سابق ص ٣٠١ و ٣٠٢ .

وقد يكون التقليل من أهمية المقال الافتتاحى صحيحاً ، بالنسبة للصحف عديمة الأهمية ، ولكن المقال الافتتاحى يقرأ بعناية من جانب غالبية القراء بالنسبة للصحف المؤثرة فى الرأى العام ... وان افتتاحيات صحف مثل التايمز اللندنية ، والنيويورك تايمز الأمريكية والليوموند الفرنسية ، يقبل عليها القراء لأنهم يعرفون مدى تأثيرها على الحكومة والرأى العام فى الوقت نفسه ، وكثيراً ما استطاعت إفتتاحيات هذه الصحف ، أن تفرض على الحكومة تغيير سياسات ، أو قرارات معينة ، أو تفرض عليها تبنى مواقف معينة ، سواء فى السياسة الداخلية ، أو السياسة الخارجية (١) .

أولاً : خصائص المقال الافتتاحى

يتميز المقال الافتتاحى بعدة سمات خاصة يعرف بها ، وخصائص فنية تتوافر له ، ومن بينها ما يلى (٢) .

(١) التعبير عن سياسة الصحيفة والثبات على التعبير عن هذه السياسة ، سواء كانت هذه الصحيفة مستقلة ، أو تابعة لحزب من الأحزاب ، أو معبرة عن اتجاه سياسى ، أو اجتماعى ، أو فكرى فى البلد الذى تصدر فيه . ولذلك يراعى فى المقال الافتتاحى ألا يكون مذبذباً بتوقيع كاتبه ، لأنه مقال منسوب الى الصحيفة بوصفها هيئة من هيئات الاعلام ، لها سياستها وهدفها من وراء هذه الاعلام . ومادام كاتب المقال الافتتاحى لا يعبر عن رأيه الشخصى ، بل يعبر عن رأى الصحيفة ، فان عليه أن يتوخى الحذر والحيلة فيما يكتبه باسم الصحيفة ، حتى لا يعرضها للخطر .

(٢) التبسيط فى الحديث : ومعنى ذلك أن حديث الكاتب فى المقال الافتتاحى ، لا يجوز أن يأتى عن طريق الاستعلاء ، الذى يحسن به

(١) فن الكتابة الصحفية - مرجع سابق ص ١٨٦ .

(٢) المرجع السابق ص ١٨٣ و ١٨٤ وكذلك المدخل فى فن التحرير الصحفى مرجع سابق ص ٢٩٢ و ٢٩٥ .

القارئ عند القراءة ، بل ينبغى أن يأتى عن طريق شعور الكاتب والقارئ معاً بأنهما صديقان ، يتحدثان حديثاً يهم كل واحد منهما بقدر ما يهم الآخر ، وليس المقال الافتتاحى فى الواقع الا محاولة هادئة لجذب القراء ، واشعارهم بأنهم شركاء فى حل المشكلات العامة (٣) متابعة الأحداث اليومية ، والاهتمام بالقضايا التى تهم الرأى العام وتشغل أذهان القراء ، سواء فى النطاق المحلى أو الدولى .

(٤) إبراز الخلفية التاريخية للأحداث والقضايا التى يتناولها المقال الافتتاحى بالشرح والتفسير ، وإقناع القارئ بالقضية أو الرأى الذى تنادى به الصحيفة ، بما يقدمه الكاتب من حجج منطقية ، وأدلة كافية ، وشواهد وأمثلة مشتقة من الأحداث الجارية فى الحاضر ، والتى جرت فى الماضى ، والتجارب الانسانية التى يختزنها الكاتب فى ذاكرته ، إما بطريق الممارسة أو بطريق الاطلاع . ولهذه الشواهد والأمثلة والأدلة حيز كبير فى المقال الافتتاحى ، وهى مجال واسع يتبارى فيه كتاب المقالات الافتتاحية ، وتظهر علمهم واطلاعهم ، ووقوفهم على التاريخ العام ، والتاريخ الخاص . ومهما يكن من شئ فلا ينبغى أن يحش المقال الافتتاحى بحقائق يزحم بعضها بعضاً ، أو تتراكم تراكم يحول دون فهم الرأى الذى بسطه الكاتب ، أو الفكرة التى كتب من أجلها المقال الافتتاحى .

(٥) الجدة الزمنية ، أو مساهمة المقال الافتتاحى للأحداث الجارية . ومعنى ذلك أنه ينبغى للمقال الافتتاحى أن يعالج موضوعات الساعة ومشكلات اليوم ، ويهتم بالافكار التى تشغل أذهان الناس وقت ظهور الصحيفة .

(٦) التوجيه والارشاد ، على أن يختفى ذلك دائماً وراء أسلوب الكاتب . فلا ينبغى أن يكون فى شكل موعظة أو نصيحة ، أو أمر ، أو نهى ، أو تعليمات يلقى بها الكاتب من فوق منبر الصحيفة ، ليحاول أن يؤثر بذلك فى الرأى العام . فالمقال الافتتاحى له قيمة كبرى فى توجيه

القراء وفئات الرأي العام على اختلافها ، وأكثر مايكون ذلك وضوحاً بالنسبة للصحف الكبرى واسعة الانتشار ، أو بالنسبة للصحف ذات النفوذ لدى أهل النفوذ .

(٧) استخدام لغة سهلة مبسطة ، وأسلوب واضح محدد يتلالم وطبيعة قراء الصحيفة الذين تختلف مستوياتهم الثقافية والتعليمية .

(٨) التسلية والامتناع ، فلا يقتصر المقال الافتتاحي على المسائل الكبيرة وحدها ، بل يتناول كذلك بعض المسائل الخفيفة والموضوعات الطريفة .

ثانياً : صفات كاتب المقال الافتتاحي (١)

وإذا كان المقال الافتتاحي هو الذي يتقدم غيره من مختلف المواد الصحفية - كما سبق ذكره - فإن من يكتبوه هم أيضاً من يتقدمون غيرهم من حيث التخصص ، والكفاءة والخبرة بسياسة الصحيفة - فرييس التحرير لم يعد هو المحرر الذي يكتب كل ما هو هام للغاية ، وإنما هو أهم من يقود زملاءه من المحررين القادرين على أن يكتبوا ما هو هام للغاية . ويعنى آخر لم يعد فى استطاعة رئيس تحرير صحيفة كبرى أن يكتب افتتاحياتها المتنوعة ، بل أصبح من واجبه أن يقود أكفأ كتاب المقال العاملين فى صحيفته ، الى كتابة الافتتاحيات حسب تخصصاتهم . وتأخذ معظم الصحف بنظام " مجلس تحرير الافتتاحيات " الذى يتألف من عدد من كبار المحررين ، وينعقد يومياً ، ويحدد الموضوعات التى تتناولها الافتتاحيات ، ليقوم كل كاتب أو محرر كفاء ومتخصص ، بتحرير الموضوع الذى يقع فى دائرة تخصصه . ومن البديهي أن تتوفر بين أيدي هؤلاء ، أقصى الامكانيات من مراجع ودوريات وقصاصات ، ومعلومات ، وبيانات فى أرشيف الصحيفة ... الخ وقد قيل ان كاتب مثل هذا المقال يقضى ٩٠٪ من وقته فى القراءة ، والدراسة ، والاطلاع و ١٠٪ فى تحرير المقال .

(١) الصحيفة الغالية - مرجع سابق ص ٢١٤ و ٢١٥ وكذلك المدخل فى فن التحرير الصحفى مرجع سابق ص ٢٩٧ و ٢٩٨ .

وعلى أى حال فإن كاتب المقال الافتتاحى ، يجب أن يكون متمتعاً بـعدة صفات هامة ، منها مايلى :

(١) أن يكون ذا حاسة صحفية دقيقة ، يتذوق بها الأحداث الجارية فى محيطه ، والأحداث الجارية فى خارج هذا المحيط ، وعلى قدر حفظه من هذه الحاسة يكون نجاحه فى كتابة المقال الافتتاحى ، وخاصة اذا كان فى المجال السياسى .

(٢) أن تكون له حاسة تاريخية كذلك يستطيع بها ربط الماضى بالحاضر ، ويستطيع أيضا توقع المستقبل . ومن ثم كان التاريخ عنصراً هاماً من عناصر ثقافة الصحفى .

(٣) أن يكون ذا ثقافة عريضة ، ولا بأس بأن تبدو عميقة فى بعض مواضعها ، وبذلك يستطيع الصحفى أن يقف على المعلومات التى تمكنه من الحكم الصائب ، والنظر الصادق ، والتوجيه السليم ، وما يجدر ذكره فى هذا المقام - مع الأسف - أن أهم مايميز الصحف الأجنبية عن بعض الصحف العربية ، صحيفة أجنبية عن الصحف العربية ، إنما هو صفة التخصص . . . فالمقال الافتتاحى فى صحيفة أجنبية ، إنما يكتبه رجل مختص فى نوع الموضوع الذى يخوض فيه المقال الافتتاحى ، فإن كان المقال اقتصادياً كتبه شخص اقتصادى ، وإن كان سياسياً كتبه شخص سياسى وهكذا . بينما أكثر الافتتاحيات فى الصحف العربية يكتب فور البديهة ، وكأنه رد فعل جاهز ، وفى معظم الحالات لاتعدو أكثر من سطور سطحية ... وذلك أمر يدعو الى ضرورة إعادة النظر فى هذا الصدد .

(٤) وهو خلاصة ماتقدم من الصفات ، حيث ينبغى أن يكون كاتب المقال الافتتاحى ذا حاسة اجتماعية مرهقة ، أو قدرة بالغة على الانغماس فى المجتمع ، وموهبة الحديث ، وغير ذلك من الخصال التى تمكنه من الوقوف على حقيقة الرأى العام . وكل ذلك مع مراعاة تامة لسياسة الصحيفة التى يكتب فيها .

ثالثا : كتابة المقال الافتتاحي (١)

يصاغ المقال الافتتاحي على هيئة الهرم القائم أو المعتدل ، بمعنى أنه يتألف من ثلاثة أجزاء هي :

- (١) التقديم أو الفكرة المثيرة لاهتمام القارئ .
- (٢) الحقائق والشواهد والأدلة المؤيدة للفكرة .
- (٣) النتيجة أو الخلاصة التي يخرج بها القارئ .

(١) : مقدمة المقال الافتتاحي : وهي تحتوى على مدخل يثير الانتباه الى أهمية القضية ، أو المشكلة ، أو الفكرة التي يدور حولها المقال . ويمكن أن تتضمن النقاط التالية :

- (١) عرض فكرة مثيرة لاهتمام القراء .
 - (٢) طرح قضية هامة تمس مصالح القراء .
 - (٣) إبراز خبر هام يشغل الرأي العام .
 - (٤) وصف مشكلة هامة صارت حديث الناس في المجتمع .
- وتقوم المقدمة بعدد من الوظائف منها :

- (١) تهيئة ذهن القارئ لموضوع المقال .
- (٢) إعادة تذكير القارئ بالقضية أو المشكلة موضوع المقال . مع مراعاة عدم الاغراق في ذكر هذه التفاصيل .
- (٣) جذب اهتمام القارئ ، ودفعه الى قراءة المقال عن طريق الطرح الجيد والشيق للموضوع .

(ب) جسم المقال الافتتاحي : وهو الجزء الذي يحتوى على المادة الجوهرية في المقال . وقد يحتوى على النقاط التالية .

- (١) البيانات والمعلومات والحقائق الكافية عن الموضوع لاشباع رغبة القارئ .

- (٢) الأدلة والحجج والأسانيد المنطقية ، التي تؤيد وجهة نظر الصحيفة .
- (٣) الخلفية التاريخية للموضوع الذي يعالجه المقال .

(١) فن الكتابة الصحفية ، مرجع سابق ص ١٨٦ - ١٨٩ وكذلك المدخل في فن التحرير الصحفى ، مرجع سابق ص ٢٩١ وكذلك الفن الصحفى فى العالم ، مرجع سابق ص ١٣٥ و ١٣٦ .

(٤) أبعاد الموضوع ودلالاه السياسية ، أو الاجتماعية ، أو الاقتصادية ، أو الفكرية ... الخ لاقتناع القارئ بموقف الصحيفة ، أو سياستها تجاه موضوع المقال .

(ج) خاتمة المقال الافتتاحي :

وهذا الجزء يتوقف عليه مدى اقتناع القارئ ، أو عدم اقتناعه بموضوع المقال ، وغالباً ماتضم الخاتمة النقاط التالية :

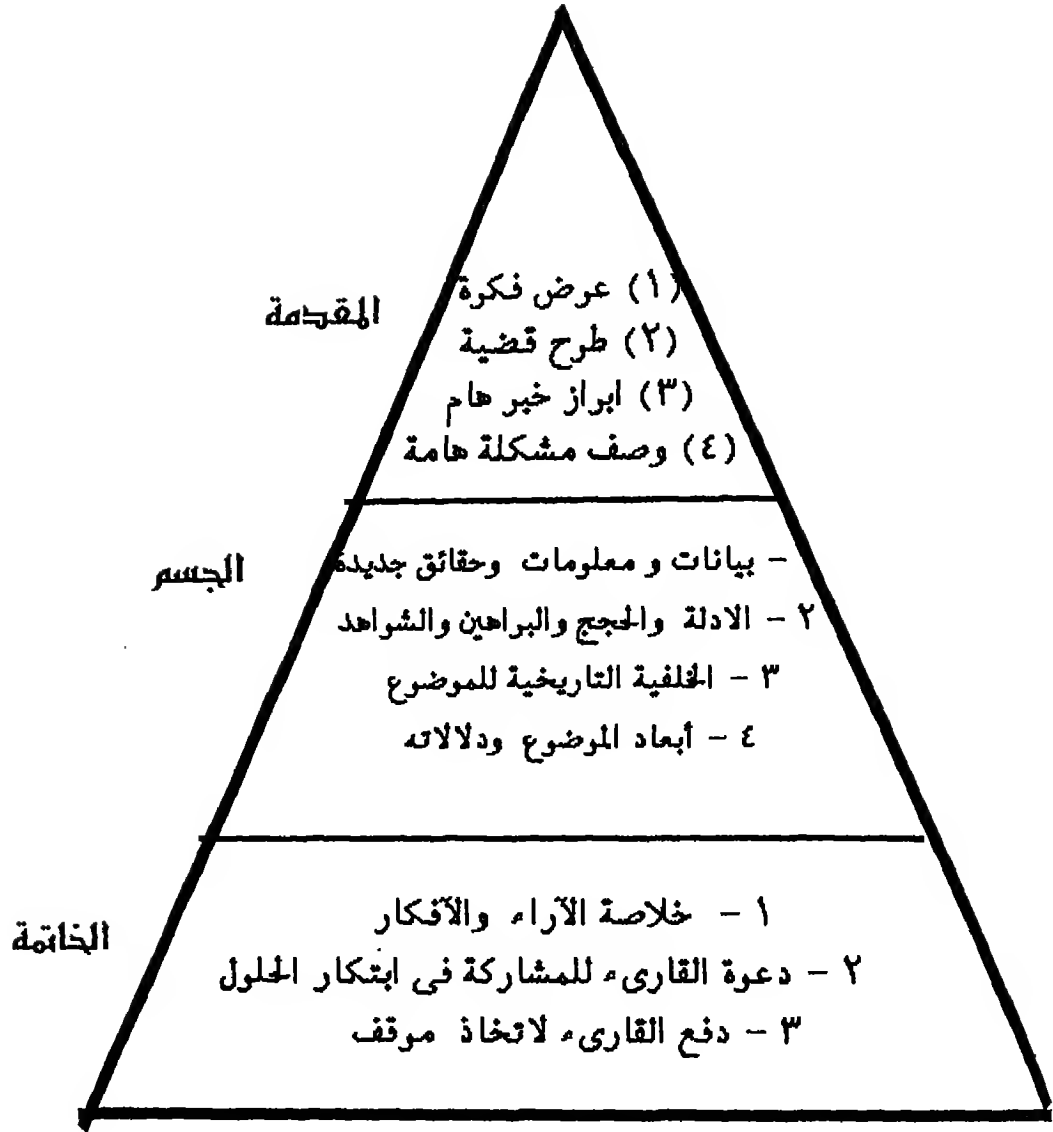
(١) خلاصة الآراء ، والأفكار التي يصل إليها كاتب المقال .

(٢) دعوة القارئ للمشاركة في إيجاد حلول للقضية المطروحة ان كان الأمر يفترض مشاركة القارئ ، أو تعبئته لتحقيق هدف معين ، أو تنفيذ خطة معينة .

(٣) دفع القارئ الى اتخاذ موقف معين تجاه قضية معينة .

* * * *

ويوضح الشكل التالي طريقة كتابة المقال الافتتاحي المبني على قالب الهرم المعتدل .



شكل رقم (١) البناء الفني للمقال الافتتاحي المبني على قالب الهرم المعتدل ونماذج المقال الافتتاحي لاحصر لها في الصحف من جرائد ومجلات .. ويمكن الرجوع اليها لتطبيق ما تقدم على تلك النماذج ... وننتقل بعد ذلك الى المبحث التالي الذي يتضمن استعراض ما يتعلق بالعمود الصحفي ..

المبحث الثانى العمود الصحفى Column

نلاحظ فى السنوات الأخيرة ، وجود الأعمدة الصحفية المتعدده فى الصحف العربية بصفة عامة . وذلك لأن الصحف منذ انتشارها الى أوائل القرن الحالى ، كانت تعتمد على المقال الافتتاحى ، الذى كان طويلا فى البداية ، ثم أخذ يقصر شيئا فشيئا ، كما كانت موضوعات هذا المقال تدور حول موضوعات جادة فى أغلب الأحيان . والمتأمل فى تطور الصحافة فى العالم ، يجد علاقة كبيرة بين ظهور العمود الصحفى ورغبات القراء . كما تظهر فى اضطرابهم الى السرعة فى القراءة ، وإثارة المواد القصيرة ، التى تعطىهم الشئ الكثير فى الزمن القصير ، ثم ترددهم سريعا إلى مشاغلهم ، أو الى أعمالهم العادية اليومية (١)
أولا : مفهوم العمود الصحفى (٢)

لكن ماهو مفهوم العمود الصحفى ؟ وما المقصود به ؟ وماهى الصورة التى كان عليها عند نشأته ؟ وكيف تنوعت أشكاله ؟

كان العمود الصحفى فى نشأته عبارة عن فكرة ، أو رأى ، أو خاطر يرد على ذهن الكاتب ، فيكتب فيه سطورا قليلة .. وكثيرا ما كان هذا الرأى أو الخاطر يدور حول واقعة أو ظاهرة وقع عليها نظر الكاتب فى المحيط الذى يعيش فيه ومعنى ذلك أن العمود الصحفى فى بداية الأمر ، كان لا يتعدى المحيط الاجتماعى ثم سرعان ما أصبح العمود الصحفى موزعا فى الصحيفة على أبواب كثيرة . فهناك العمود السياسى فى صفحة السياسة الخارجية ، وهناك العمود الرياضى فى صفحة الرياضة ، والعمود الاقتصادى فى صفحة الاقتصاد ، والعمود الأدبى فى صفحة الأدب ، والعمود الدينى فى الصفحة الدينية ، والعمود الذى يعالج الشئون النسائية

(١) دراسات فى الفن الصحفى - مرجع ساق ص ٢١٤ وكذلك المدخل فى فن التحرير الصحفى مرجع سابق ص ٣٠٥ .

(٢) راجع فى ذلك للمرجع الثانى السابق ص ٣٠٦ و ٣١٠ وكذلك فن الكتابة الصحفية - مرجع سابق ص ١٩٣ وكذلك الفن الصحفى فى العالم - مرجع سابق ص ١٣٨ و ١٣٩ .

فى صفحة المرأة وغير ذلك من الأعمدة .

والعمود الصحفى هو مساحة محدودة من الصحيفة لاتزيد على (نهـر) أو (عمود) تضعها الصحيفة تحت تصرف أحد كبار الكتاب بها ، يعبر من خلاله على ما يراه من آراء وأفكار ، أو خراطر ، أو انطباعات فيما يراه من قضايا ، وموضوعات ، ومشكلات ، بالأسلوب الذى يرضيه ، ويتسم بطابع صاحبه أو كاتبه .

وغالبا ما يحتل العمود الصحفى مكاناً ثابتاً لا يتغير على احدى صفحات الجريدة وينشر تحت عنوان ثابت ، وقد يصحبه عنوان آخر متحرك ... ويظهر فى مرعد ثابت ، وقد يكون التوقيع بالاسم كاملا ، وهو السائد فى الأعمدة الصحفية ، وقد يكون بالاسم الأول فقط ، أو بالاسم الأخير فقط ، أو بالحروف الأولى فقط من أسمائهم أو من أسماء مستعاره ، وقد يكون التوقيع بالرموز ، أو اشارات ، أو صفات عامة ... الخ .

وتعطى الصحف حرية أكثر لكاتب العمود الصحفى للتعبير عن وجهة نظره وأفكاره بالطريقة التى يراها . وليس من الضرورى أن يلتزم كاتب العمود الصحفى بسياسة الصحيفة ، وإن كان من المتعارف عليه أن لا يكون معاوضاً لهذه السياسة . ومن حيث الطباعة فإن العمود الصحفى غالباً ما يتميز عن غيره ، من مواد الصحيفة حتى يلفت اليه انظار القراء ، ويكون بحروف سوداء من (بنط) خاص وقد يوضع داخل اطار أو يرواز خاص .. ومهما يكن من شىء فالمهم فى العمود الصحفى ، أن يكون له مكان ثابت ، وعنوان ثابت ، وتوقيع ثابت . وفى هذه المميزات الثلاثة ما يكفى لكى يلفت اليه انظار القراء ، فيعودوا عليه ، ويمثروا عليه فى يسر وسهولة .

ثانياً : موضوعات العمود الصحفى :

ليست هناك حدود ، أو قيود على المجالات ، والموضوعات التى يطرفها كاتب العمود الصحفى . فمن حقه أن يكتب فى السياسة ، أو الاقتصاد ، أو فى مشكلات الحياة الاجتماعية أو قضايا الفكر والثقافة والأدب ... الخ ولكن من الضرورى أن يهتم كاتب العمود الصحفى ، أثناء تناوله لمثل هذه القضايا ، بالتركيز على كل ما يهم القراء وأن يخاطب قلوبهم ومشاعرهم وأحاسيسهم ، بحيث يخرج من تناوله لمثل هذه

الموضوعات بالحكمة ، وبالعبره ، وبالموعظة الحسنه (١)

ثالثاً : خصائص العمود الصحفى :

يتميز العمود الصحفى بعدة خصائص هامة ، منها مايلى (٢)

(١) الجمع بين بساطة اللغة الصحفية ، وسهولتها ، ووضوحها ، وبين جمال اللغة الأدبية ذلك أن العمود الصحفى أشبه بالمقال الأدبى ، من حيث العناية باختيار الالفاظ والاحتفاظ بحلاوة الأساليب ، إلا أن ذلك ليس شرطاً مطلقاً فى لغة العمود الصحفى ، ولكنه جائز فى هذه المادة الصحفية ، حيث لا يجد خبراء الصحافة بأساً من أن يستخدم كاتب العمود الصحفى ، أحياناً ، الأسلوب الأدبى فى كتابته ، على أن يكون أسلوبه متميزاً بالجمال ، وذلك باختيار الالفاظ الجذابة والعبارات الرقيقة التى تعبر عن الفكرة تعبيراً جميلاً .

(٢) التعبير عن التجربة الذاتية للكاتب ، لأن العمود الصحفى أقرب الى الأدب ، والأدب ذاتى ، ولذلك فإن محرر العمود الصحفى يعطى حرية كاملة ، بقدر المستطاع ، فى التعبير عن آرائه ، بشرط ألا يتعارض ذلك مع سياسة الصحيفة .

(٣) يقوم العمود الصحفى على أساس وجود رابطة قوية ، وعلاقة حميمة بين كاتب العمود وقرائه . ولذلك يجب عليه أن يهتم ، قبل كل شئ بمشكلات الأفراد ومعالجة تلك المشكلات ، وعلى هذا الوتر الحساس يؤدى كتاب الأعمدة الصحفية دورهم فى الصحف ، فيجلبون القراء اليهم ، كما تعتمد الصحف لزيادة التوزيع ، على الصلة التى تنشأ بين القراء وكتابها ، من خلال كتاباتهم ، فإذا زادت هذه الصلة متانة وقوة ، وكانت أقرب الى حياة القراء ومشكلاتهم ، كلما حرص القراء على اقبالهم على الصحيفة ، والارتباط بها ، وعدم تركها الى غيرها من الصحف الأخرى المنافسة .

(٤) يجوز أن يتناول العمود الصحفى موضوعاً خفيفاً جذاباً . ويباح لكاتبه السخرية فى

(١) فن الكتابة الصحفية - مرجع سابق ص ١٩٣ و ١٩٤ .

(٢) المرجع السابق ص ١٩٥ و ص ١٩٦ وكذلك المدخل فى فن التحرير الصحفى - مرجع سابق ص ٣١٢ و ص ٣١٣ وكذلك الفن الصحفى فى العالم - مرجع سابق ص ١٣٩ و ١٤٠ .

العرض ، اذا وجد ذلك ضروريا ، ويكون أسلوبه أشبه بلسعة العقرب ، أو وخزة الابهة ، حيث يتأثر القراء بسخرية العمود الصحفى من أقصر طريق .

(٥) كثيرا مايكون العمود الصحفى على شكل رسائل من بعض القراء الى الكاتب ، الذى ييسط شكواهم ، ويرجه خطابه الى المسئولين ، بعد تقديم الحجج والشواهد ، لكى يزيلوا أسباب هذه الشكوى . وقد يتخذ العمود الصحفى شكل سؤال وجواب ، وفى هذه الحالة ينبغى مراعاة أن تكون الاسئلة والاجوبة ، ذات صفة عامة غالباً ، أو انسانية ، حتى يجد القارئ أنها ذات فائدة له .

(٦) على الرغم من أن العمود الصحفى لايتسع لأكثر من الكلام عن فكرة واحدة ، أو خاطرة واحدة ، فان كاتبه مضطر كذلك - بحكم الحيز الصغير الذى يخصص للعمود - أن يوجز فى عبارته ، وألا ينجح الى الاسهاب فى هذه العبارة ، أو استخدام المعانى ، والافكار الاستطرادية التى تحتاج الى حيز أوسع من حيز العمود الصحفى - ولذلك يقوم العمود الصحفى على تطبيق القاعدة الصحفية التى تقول : اكثر قدر من المعانى والمعلومات فى أقل قدر ممكن من الالفاظ .

رابعاً : كتابة العمود الصحفى (١)

يكتب العمود الصحفى مثلما يكتب المقال الافتتاحى ، على شكل الهرم المعتدل الذى يتكون من ثلاثة أجزاء هى (مقدمة - وجسم - وخاتمة)

(١) المقدمة : وتشتمل على مدخل ، أو زاوية يمهذ بها الكاتب لموضوع العمود الصحفى ، ويمكن أن يشتمل المدخل على النقاط التالية :

(١) خبر من الاخبار ، أو حدث من الاحداث الهامة الجارية ، بشرط أن يركز الكاتب على زاوية معينة ، أثارت اهتمامه ، ويرى أنها تهم القراء فى الوقت نفسه .

(٢) فكرة أو خاطرة ، أو لمحة أو انطباع ، يرى الكاتب أنه يحتاج إلى شرح ، وتوضيح ، أو تفسير وتعليق ، أو استخلاص العبرة منه .

(١) راجع فى ذلك فن الكتابة الصحفية مرجع سابق ص ١٩٦ - ١٩٩ .

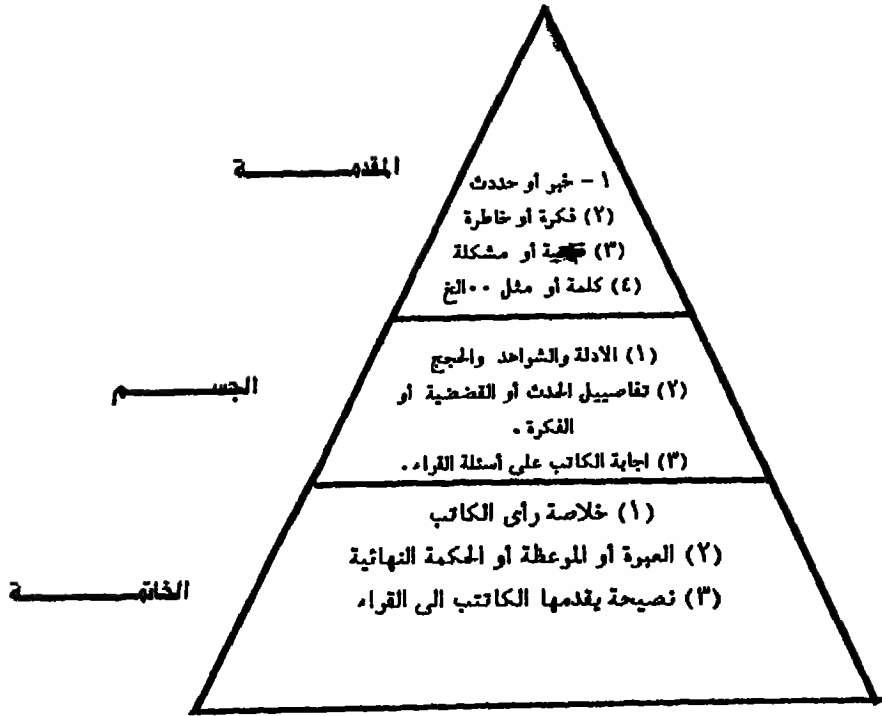
(٣) قضية أو مشكلة أو حدث يرى الكاتب أنه يمس مصالح القراء ، أو يثير اهتمامهم وللكاتب وجهة نظرية يريد الإفصاح عنها .. ولكن يشترط أن تكون الزاوية التي يتناولها الكاتب أقرب الى اهتمام الناس وتفكيرهم ، أو قد تكون الزاوية هي تجربة الكاتب الذاتية مع الحدث أو القضية نفسها .

(٤) آية قرآنية ، أو جزء من آية ، أو حديث نبوي شريف ، أو جزء منه ، أو ربما بيت من الشعر أو حكمة مأثورة ، أو مثل شعبي معروف ، أو قول لمفكر أو كاتب مشهور الخ .

(ب) **حسم العمود الصحفي :** ويضم جوهر المادة التي يحتويها العمود الصحفي . وتتضمن رأى الكاتب ، وخلاصة ما يريد قوله للقراء ، وقد تشتمل على النقاط التالية :

- (١) خلاصة رأى الكاتب فى الحدث أو القضية ، أو المشكلة التي يعرضها .
- (٢) العبرة أو المرعظة ، أو الحكمة التي يخرج بها الكاتب .
- (٣) النصيحة التي يقدمها الكاتب للقراء ، بعد أن يجيب على سؤال قدمه له القارئ ، ويوضح الشكل التالي طريقة كتابة العمود الصحفي المبني على قالب الهرم المعتدل .

(١) راجع فى ذلك فن الكتابة الصحفية مرجع سابق ص ١٩٦ - ١٩٩



شكل رقم (٢) يوضح البناء الفني للعمود الصحفي المبني على قالب الهرم المعتدل

نماذج تطبيقية :

وفيما يلي نقدم عددا من النماذج الخاصة بالعمود الصحفي .. ومنها يتضح أنها تتناول مجالات عديدة لا حصر لها وكلها يراعى فى كتابتها أو تتكون من مقدمة ... وجسم ... وخاتمة ...

فهذا نموذج يتناول قضية دينية تناولها الكاتب ببراعة فائقة وجاء العمود محكما بدأ فى المقدمة بطرح قضية أو فكرة يريد أن يوجه للمسلم اليها ولكن فيها بعض الغرابة التى تشد القارىء إلى ضرورة متابعة العمود حتى آخره.. حيث انتقل الكاتب الى صلب العمود فحشد فيه العديد من الأدلة والبراهين التى تدعم القضية التى تطرحها فى المقدمة ، وتقود الى الوصول الى خاتمة العمود فى يسر وبراعة ثم كانت الخاتمة التى تضمنت النتيجة والخلاصة التى هدف اليها الكاتب ..

وهذا العمود الصحفي كان عنوانه الثابت (كلمات مضيفة) بقلم الدكتور مصطفى عبد الواحد ، وعنوانه المتحرك هو (فان لم تكن قمرأ فكن شمساً) . وجاء العمود على النحو التالى .

قال ابو سليمان الداراني يوما لتلميذه " احمد بن ابي الحواري : يا احمد كن كوكبا فان لم تكن كوكبا فكن قمرا فان لم تكن قمرا فكن شمسا " .
فقال له احمد : يا ابا سليمان ان القمر أضوا من الكوكب والشمس أضوا من القمر فكيف عكست الترتيب ؟!

قال ابو سليمان : يا احمد انما أردت كن مثل الكوكب طلع من أول الليل الى الفجر فقم لعبادة ربك أول الليل الى آخره فإن لم تقو على قيام الليل كل ليلة فكن مثل القمر يطلع في بعض الليالي حتى يصيبة المحاق فقم بعض الليالي في عبادة ربك فان لم تقو على قيام الليل فكن مثل الشمس تطلع أول النهار الى آخره فان لم تقو على قيام الليل فلا تعص الله بالنها .

وكان اسلافنا يعتبرون بما يرون من ظواهر الكون ويتخلون منها أمثلة للاقتناع والامضاح وقد اراد ابو سليمان رحمه الله ان يعلم تلميذه درسا في الطاعة والانقياد بهذه الكواكب والنجوم المسخرة بأمر الله فلا تعصى ولا تتعثر كما قال الحق سبحانه : والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون " . والمؤمن العابد لربه يطمح الى الانتظام في عبادته والدوام في عبادته فاذا قام لعبادة ربه من أول الليل الى آخره فانه يشبه النجم الساطع الذي يظهر للابصار من بداية الليل ويستمر في سطوعه حتى يطلع الفجر انه حينئذ نجم ينير لنفسه بعبادته افاق الطريق ويضرب المثل للانسانية في الطاعة والانقياد والحب لرب العالمين إذ يترك للمنام لاسهرا في لذة ولا منادمة لخلان ولا استجابة لنوازع الشيطان بل انتصابا لعبادة الرحمن وتلذذا بمناجاة بايات القرآن فمن لم يتسطع بلوغ هذه المرتبة فيأمكنه ان ينزل الى ما هو دونها في الدوام فيكون كالقمر الذي يطلع في بعض الليالي فيضيء الافق ويبدد ظلمة الليل لكنه يتضاءل شيئا فشيئا حتى يغيب ثم يطلع في منزله .

اما اذا لم يستطع بلوغ هذه المرتبة ايضا فحسبه ان يكون كالشمس التي تطلع من أول النهار الى آخره تضيء الدنيا وتزود النبات بالطاقة وتبخر مياه البحر لتنزل بعد ذلك مطرا يحيي الارض بعد موتها .

(١) جريدة المدينة المنورة (السعودية) العدد رقم (٨٢٠٦) بتاريخ ٢٩ أكتوبر ١٩٨٩ .

وهكذا فان المؤمن الذى يقصر عن درجة قيام الليل يستطيع ان يعوض ذلك بالطاعة والاستقامة ونفع العباد فى نهاره اما اذا فاته خير الليل وخير النهار فلا خير فيه ولا دليل على صدق انتمائه الى هذا الدين العظيم .
هل رخصت دماء المسلمين ؟

وهذا نموذج آخر لعمود صحفى بعنوان (هل رخصت دماء المسلمين ؟) ^(١) بقلم الصحفى المصرى احمد أبو زيد بداء فى المقدمة بطرح قضية اسلامية تاريخية وقارن بينها وبين ما يحدث للمسلمين فى الأيام الحاضرة ، ودعم صلب العمود بالأدلة والشواهد المنطقية التى تدعم رأيه .. وتوصل الى الخاتمة التى تضمنت رأى الكاتب فى هذا الصدد ..
وفيما يلى نص هذا العمود

يقارن المسلم دائماً بين موقف المعتصم بالله من الجارية التى لطمها أحد الملحين فى عمورية فاستغاثت بالمعتصم قائلة " وامعتصمها " وبينها وبين المعتصم فى ذلك الحين الاف الاميال - لكن الشعور بمسئولية الولاية تربط بين القلوب مهما تباعدت وتلغى الحدود والاميال - فما أن وصل خبرها الى المعتصم حتى جهز جيشاً جراراً قوامه اثنا عشر ألف فارس وذهب الى عمورية ملبياً ومجيباً لاستغاثة هذه الجارية المسلمة وفتح المدينة وخلصها من هذا العدوان وأزال عن امرأة المسلمة هذا اليأس والمهانة .

واليوم يقارن المسلم بين هذا الموقف وبين ما يحدث للأقليات المسلمة .. ومنذ سنوات طويلة فى دول الشرق والغرب من تعذيب واضهاد وتكيد وحرب شعواء فى الدين والعقيدة على مرأى ومسمع من كافة الشعوب والدول خاصة المسلمين .

لقد سمعنا جميعاً ما حدث للمسلمين فى بلغاريا على يد النظام الشيوعى هناك حيث ارغمهم على تغيير اسمائهم الى أسماء غير اسلامية ومنعهم من إقامة شعائرهم الدينية وقام بطردهم من أرضهم وديارهم لا لشيء الا انهم قالوا ربنا الله ، ورأينا وسمعنا ايضاً ما حدث لمسلمى اذربيجان حيث القتل والاعتقال والتعذيب ، ومن قبل سمعنا ما حدث للمسلمين فى بلاد أخرى على يد البوذيين والهندوس ..

فالمسلمون فى هذه الدول يعيشون محنة حقيقية دبرها ورسم خيوطها أعداء الاسلام من

(١) مجلة الرابطة الاسلامية العدد (٣٠٦) بتاريخ أغسطس ١٩٩٠ ص ٦٤ .

المسيحيين والصليبيين واليهود . محنة يذهب ضحيتها كل يوم العديد من الأرواح والدماء

المسلمة حيث المذابح والمجازر التي تقام للمسلمين المستضعفين في هذه الدول .

وهذا يجعلنا نتساءل بحزن وأسى : هل رخصت دماء المسلمين الى هذا الحد الذي تقام فيه المذابح الجماعية لهم فيقتلون ويملبون ويضطهدون دون ان يتحرك أحد لنصرتهم والاخذ بيدهم ورفع الظلم عنهم ؟!

نعم لقد سمعنا ونسمع جميعا عن أنباء هذه المذابح التي تحدث للمسلمين في فلسطين ولبنان والهند وسريلانكا والفلبين وغيرها ... فماذا فعلنا لهم؟

ان اليهود والامريكان يغضبون ويسخطون عندما يصاب يهودى أو أمريكى واحد فى أية منطقة من العالم فهل دم اليهودى أو الأمريكى أغلى من دم المسلم ؟ أم اتنا وصلنا الى حالة من الرهن وأصبحنا كغناء السيل ؟

صفارة وماء وبطارية

وهذا نموذج آخر لعمود صحفى عنوانه الثابت باسم (مجرد رأى)^(١) وعنوانه المتحرك (صفارة وماء وبطارية) بقلم الصحفى صلاح منتصر . وقد تناول فيه الحديث عن شىء طريف يتعلق باقتراح قدمه خبير زلازل فى شكل نصيحة للناس وقد كتب صلاح منتصر هذا العمود بمناسبة حدوث الزلزال الكبير الذى ضرب مصر فى اكتوبر عام ١٩٩٢ وفيما يلى نص هذا العمود الصحفى ...

صفارة ووعاء ماء لاينكسر وبطارية : هذه هى نصيحة خبير زلازل لما يمكن ان يفعله المواطنون تحوطا عند وقوع الزلزال وقد قال هذه النصيحة فى حوار اذاعى اجراه معه مذيع مشهور !

اما الصفارة فلكى " يصفر " بها وهو تحت الانقاض ويساعد الباحثين فى الوصول اليه ، وأما وعاء الماء الذى لاينكسر فلكى يستخدمه للشرب اثناء الحصار تحت الانقاض ، وأما البطارية فللإتارة طبعاً !!

هل هذا معقول ؟!

تصور لو ان كل واحد جلس فى بيته وهو يلف حول رقبته سلسلة بها صفارة وربط حزاما حول وسطه يتدلى منه زمزمية وبطارية ؟! مثل هذه النصائح تثير المواطنين اكثر مما تريحهم و

(الاحرام العدد (٣٨٦٩٠) بتاريخ ٠١ نوفمبر ١٩٩٢ ص ٩ .

هى فذكرنى بالعرض الملل الذى تقوم به مضيفة الطائرة وتشرح فيه للركاب طريقه ارتداء القميص الاصفر الموضوع تحت الكرسي واحاطته بالعنق ، وجذب طرفى جبلين صغيرين فى هذا القميص فيمتلىء بالهواء فاذا حدث ولم يعمل اتوماتيكيا قام الراكب بالنفخ وملأء بالهواء .. وكل هذا اذا حدث وسقطت الطائرة - لا قدر الله - وجاء السقوط فوق احد البحار او المحيطات ، وعليك ان تتخيل برود اعصاب الراكب وهو يبحث تحت كرسيه - والطائرة تهوى الى الارض - عن طوق النجاة الاصفر لينفخ فيه ويملاء بالهواء لكى يطفو فوق سطح الماء !

قالت لى زوجة : انها اعدت مخبأ تحت المائدة للجوء اليه لحظة الزلزال ، ولكن المشكلة ان هناك مواطنين كثيرين اهتزت اعصابهم باكثر مما تستحق واصبحت اى هزة صغيرة يتصورونها زلزالا خصوصا بعد ان اصبحت الزلازل خبرا يوميا يتكرر حدوثه فى اماكن مختلفة من العالم ، واصبحنا نرى من خلال التليفزيون اخبار هذه الزلازل التى لم نكن نسمع عنها من قبل .

والحقيقة ان هذه الزلازل سواء التى وقعت او التى ستقع ليست جديدة على العالم ، ولم تقع بعد ما حدثت فى مصر وانما اهتمامنا بالزلازل هو الذى زاد وهو الذى جعلنا نهتم بها ، ولولا ما حدث لنا ما اهتممنا بما يحدث من زلازل فى اى مكان .. والحقيقة العلمية تقول انه سنريا يحدث مليون زلزال ولكن معظمها يحدث تحت المحيطات والبحار الواسعة ولهذا لا يدري بها أحد ، اما القليل فهو الذى يحدث تحت اليابسة والذى بدائنا نعانى منه ويطلبون منا أن نستعد له بصفارة ووعاء ماء لا ينكسر وبطارية !!

الاسرار الكبرى

وهذا عمود صحفى عنوانه الثابت (آخر عمود)^(١) وعنوانه المتحرك (الاسرار الكبرى) تناول فيه كاتبه ابراهيم سعده رذيس تحرير اخبار اليوم قضية هواة التردد على السفارات الاجنبية لحضور حفلاتها ، وطالبهم بضرورة إعادة النظر فى هذه العادة التى يمكن أن يترتب عليها ما لا يحمد عقباه بالنسبة لهم وفيما يلى نص هذا العمود الصحفى ...

هواة التردد على السفارات الاجنبية الذين يسعدهم حضور حفلاتها وتناول مشروعات وتلوق اكلاتها ، لابد أن يعيدوا النظر فى هذه العادة خاصة إذا عرفوا ماذا يمكن أن يحدث لهم من وراء توليق صلة التعارف والصداقة مع الدبلوماسيين الاجانب الذين يفترض فيهم انهم من صفوة البشر

(١) اخبار اليوم العدد (٢٧٣٨) بتاريخ ٢٦ إبريل ١٩٩٧ ص ٢ .

أدباء ، وذوقا ، وثقافة ، ودبلوماسية !

فى الأسبوع الماضى تم فى الولايات المتحدة الكشف عن أسرار وملفات وزارة الخارجية التى يرجع تاريخها الى ٢٥ سنة ماضية ، قبل هذا الكشف كانت هذه الملفات تعتبر " بالغة السرية " ويحظر معرفتها أو تداولها .

من بين هذه الملفات ، واحد يتعلق بالتقارير التى كانت السفارة الأمريكية فى باريس ترسلها بصفة دورية الى وزارة الخارجية فى واشنطن وتتضمن " حصيلة المعلومات " التى حصل عليها الدبلوماسيون وعلى رأسهم كبيرهم : السفير الأمريكى !

مجلة " نوفيل أويفاتور " عكفت على قراءة هذه الأوراق " وقامت بنشر العديد منها وبالذات تلك التى تتعلق بأراء السفارة الأمريكية فى العديد من رموز فرنسا وحكام وقادة فرنسا السابقين منهم والحاليين . وتعالوا بنا نقرأ بعض ماكتبه الدبلوماسيون الأمريكيون عن الفرنسيين :

* فى ١٣ ديسمبر ١٩٥٤ ويعد أن تناول السفير الأمريكى - دوجلاس ديلون - طعام الغداء مع السياسى الاشتراكى الكبير فرانسوا ميتران - وكان وقتها يشغل منصب وزير الداخلية فى حكومة بيير مندس فرانس - عاد السفير الى مكتبة ليكتب رسالة سرية إلى وزارة الخارجية الأمريكية فى واشنطن تتضمن انطباعاته عن هذا السياسى الفرنسى الذى أصبح - فيما بعد - رئيسا لجمهورية فرنسا لمدتين متواصلتين . قال السفير الأمريكى عن ميتران : إنه فوجئ به يظهر ماييطن ولا أعتقد أنه يؤمن بأى فلسفة اشتراكية ، ولا يميل الى أى فكر سياسى معين ! إن كل مايؤمن به فرانسوا ميتران ، وكل مايفخطط له هو كيف يحقق طموحاته السياسية وأنه على استعداد لعمل أى شئ مقابل هذا الهدف ، ولم يكتف السفير الأمريكى بذلك وإنما اختتم تقريره عن ميتران بوصفه بأنه شديد الخطورة ، وطالما بقي فى منصبه وزيرا لداخلية فرنسا ، فائتى - أى السفير الأمريكى - لن أكون مطمئنا ومرتاحا وماقاله السفير الأمريكى عن ميتران قال أكثر منه عن الجنرال ديغول . فالمعروف أن الولايات المتحدة لم تكن تحب هذا " الجنرال " الذى أراد أن يعيد الزعامة الفرنسية إلى سابق مجدها لتصبح فرنسا المنافسة الاولى لأمريكا !

جميع سفراء الولايات المتحدة فى فرنسا - الواحد بعد الآخر - لم يتركوا مناسبة - فى تقاريرهم السرية عن الجنرال ديغول - إلا انتهزوها لإبداء أملهم والإعراب عن أحر أمانيتهم فى ابتعاد ديغول عن الحكم باعتباره عدو أمريكا الاول فى أوروبا !

هذه الامنية نراها واضحة فى التقرير الذى أرسله السفير الأمريكى دوجلاس ديلون - فى ٢١ إبريل

١٩٥٥ - عن استقبال دييجول له فى منزله فى مسقط رأسه ولم يستطع السفير أن يكتم عواطفه فعبّر عن سعادته الفائقة لمجرد أن وجد دييجول فى " أسوأ حالته ، وبدأ عجزاً ، وضعيفاً ويائساً " .

* وفى العام التالى بعث السفير الأمريكى رسالة سرية أخرى عن انطباعاته فى اعقاب الزيارة التى قام بها لدييجول جاء فيها " بعد أن استمعت لحديث دييجول الذى استغرق عشرين دقيقة ، فهمت أن الجنرال لا يزال غير مهتم بما يجرى فى الحياة السياسية داخل بلاده ! " .

وخابت أحلام السفير الأمريكى بعد شهر قليل عندما فوجئ بأن الجنرال دييجول بدأ يهتم بالسياسة ، ويبحث عن دور فى حكم بلاده . ففى لقاء جديد معه فوجئ السفير بدييجول يهاجم الولايات المتحدة ويتهمها بأنها تبذل كل مافى وسعها من أجل الإبقاء على النظام الحاكم الحالى فى فرنسا ، لأن الإدارة الأمريكية تريد - كما قال دييجول - أن تتعامل مع حكومة فرنسية ضعيفة ، بدلاً من التعامل مع نظام حاكم قوى - يقصد نفسه - وأضاف دييجول محذراً : على العموم فإن استثمار أمريكا فى مساندة الجمهورية الحاكمة الحالية فى فرنسا لن يحقق لها النجاح فى المستقبل القريب .

وبالفعل تحققت تخمينات دييجول ، وسقطت الجمهورية الفرنسية الرابعة ، وهبت فرنسا كلها تنادى بالجنرال الذى سارع وأعلن فى ١٥ مايو ١٩٥٨ قبوله الدعوة ، والموافقة على حكم البلاد ، مما أحنن السفير الأمريكى وكتب يعزى وزارة الخارجية الأمريكية ويعزى الإدارة والشعب الأمريكيتين بقرب وصول عدو أمريكا الى مقعد الحكم فى فرنسا !

* أما تقرير السفير الأمريكى فى باريس - بوهلين - عن جاك شيراك الذى كان يشغل فى سنة ١٩٦٧ منصب وزير دولة لشئون العمل فكان طريفاً ، ومن المؤكد أن نشره اليوم لن يوجب الكثير من الفرنسيين فمن رأى السفير الأمريكى - وقتذاك - أن هذا الشاب - شيراك - يتميز بالذكاء والديناميكية ، وبالصرامة ويعتبر من أشد المؤيدين للولايات المتحدة ، ليس هذا فقط بل إنه - بهيئته وأفكاره وتصورات السياسية - أقرب من الأمريكيتين منه إلى الفرنسيين أو الأوربيين إنه - أى شيراك

الذى أصبح الآن رئيساً لفرنسا - يجب أن ننظر إليه نظرنا إلى أى مواطن أمريكى ! ولم ينس السفير الأمريكى أن يذكر فى نهاية تقريره أنه ليس صحيحاً أن شيراك يسير على خطى وهدى الجنرال دييجول بذليل أن شيراك لم يذكر اسم دييجول مرة واحدة خلال اللقاء الطويل معه !

* وإعجاب الأمريكيتين بشيراك لم يتوقف ، ففى سنة ١٩٦٨ أرسلت السفارة الأمريكية تقريراً سرى إلى دين رسل - وزير خارجية أمريكا حينذاك - بقائمة تتضمن أهم المرشحين لقيادة فرنسا مستقبلاً

بعد ديجول ، وجاء اسم شيراك على رأسها . حقيقة ان هذا الترشيح لم يتحقق إلا بعد أكثر من عشرين سنة ، ولكن حقيقة أيضا أن شيراك أصبح - كما كان السفير الأمريكى الأسبق يتمنى - رئيسا لفرنسا !

* وهناك قصص أخرى كثيرة أرسلها سفراء أمريكا فى فرنسا عن العديد من السياسيين الفرنسيين الذين تشينهم هذه القصص وتهز صورتهم كثيرا امام الراى العام المخدوع فى بعضهم ، فمثلا قال أحد سفراء أمريكا : إن الزعيم الفرنسى السابق - جى موليه - طلب من السفارة الأمريكية مساعدة مالية قدرها ٨٠٠ ألف فرنك ، وعلق السفير بقوله : انه من المعتاد أن تطلب بعض الأحزاب السياسية الفرنسية مساعدات مالية من السفارة ! وكشفت التقارير السرية أن شارل هيرنو - وزير الدفاع الفرنسى الأسبق - لم يكن عميلا للاتحاد السوفيتى فقط وإنما كان عميلا - أيضا - للولايات المتحدة الأمريكية ، كما أكد أكثر من سفير لأمريكا فى باريس !

ترى ٠٠ ماذا كتب السفراء والدبلوماسيين الأمريكيون الذين عملوا فى القاهرة - قبل ٢٥ سنة عن مصر وقادة مصر ، والمصريين الذين التقوا بأعضاء السفارة الأمريكية فى المناسبات والأعياد ؟!

* * * * *

ونكتفى بهذا القدر من نماذج الأعمدة الصحفية .. وننتقل بعد ذلك الى الحديث عن نوع آخر من أنواع المقال الصحفى وهو قريب جداً من العمود الصحفى .. وهذا النوع يتعلق باليوميات الصحفية .. وهو موضوع المبحث التالى ..

* * * * *

المبحث الثالث

اليوميّات الصحفيّة (١)

اليوميّات الصحفيّة : هى فى حقيقة الأمر مجموعة من الأعمدة الصحفيّة ، يكتبها كاتب واحد ، مرة واحدة فى الأسبوع ، فالموضوعات التى تضمها اليوميّات اذا فصلت كل واحدة منها على حدة لما اختلفت كل منها عن العمود الصحفى فى شىء ، سواء فى مضمونها أو لغتها ، أو بنائها الفنى القائم على الهرم المعتدل .

فموضوعات اليوميّات الصحفيّة يمكن أن تستوعب السياسة ، والاقتصاد ، والاجتماع وقضايا الفكر والثقافة والفن والادب ، وكذلك مشكلات الناس وهمهم وغير ذلك .. ولغة اليوميّات تجمع - شأنها شأن العمود الصحفى - بين بساطة اللغة الصحفيّة وجمال اللغة الادبيّة ، كما تقوم على التجربة الذاتية للكاتب .

وقد انتشرت اليوميّات الصحفيّة فى الصحافة العالميّة والعربيّة فى النصف الاول من القرن العشرين ، وخاصة فى اوقات ازدهار صحافة الرأى .. ولكن كثيراً من الصحف بدأت تخلى صفحاتها من هذا الفن الصحفى مع بداية الربع قرن الاخير ، حيث أصبح من النادر أن تفرد صحيفة مساحة من صفحاتها لهذا الفن ، ويعد أن كان فن اليوميّات باباً رئيساً من أبواب الصحف والمجلات العربيّة - وغالباً ماتفسح له صفحاتها لآخيرة - أصبح من النادر أن تجد جريدة أو مجلة عربيّة مازالت تحتفظ بهذا اللون من الألوان الصحفيّة . وعلى سبيل المثال فان الجريدة اليوميّة الرجيدة فى مصر التى ماتزال تحتفظ بنشر اليوميّات هى جريدة الأخبار القاهريّة ، والتى ماتزال تفسح له مساحة كبيرة من صفحاتها الآخيرة . ويمكن أن ترجع ظاهرة انحسار فن اليوميّات الى عاملين :

أولهما : أن فن العمود الصحفى ، أصبح يؤدى جميع وظائف اليوميّات ، بالإضافة الى تميزه بصغر المساحة التى يشغلها من الصحيفة .

وثانيهما : تراجع صحافة الرأى وغلبه صحافة الخبر على الصحافة المعاصرة . وتوجد نماذج لليوميّات الصحفيّة فى جميع أعداد جريدة الأخبار المصريّة ، وتنشر فى صفحاتها الآخيرة لمن يريد الرجوع اليها ... ثم ننتقل الى تناول المقال التحليلى فى المبحث

الآتى --

(١) راجع فى ذلك فن الكتابة الصحفيّة / مرجع سابق ص ٢٠٩ .

المبحث الرابع

المقال التحليلي (١)

قام المقال التحليلي بدور متميز في تاريخ الصحافة العربية ... بل ان تاريخ الصحافة هو في واقع الامر تاريخ كتاب المقال التحليلي منذ رفاعة رافع الطهطاوي ، وأحمد فارس الشدياق في النصف الأول من القرن التاسع عشر وحتى الآن ... وطوال تلك الفترة برزت عشرات الأسماء اللامعة في كتابة المقال التحليلي في الصحافة العربية ، وفي مقدمتهم : الشيخ محمد عبده ، وعبد الله النديم ، وأديب اسحق ، ورشيد رضا ، ومصطفى كامل والشيخ علي يوسف ، وأحمد لطفى السيد ، وأمين الرافعي ، وعبد القادر حمزه ، والدكتور محمد حسين هيكل ، والدكتور طه حسين ، وعباس محمود العقاد ، ومحمد حسنين هيكل ، وأحمد بهاء الدين ، وفهمي هويدي ، وإبراهيم سعد . وغيرهم ..

مفهوم المقال التحليلي :

والمقال التحليلي من أكثر فنون المقال الصحفي تأثيراً ... ويقوم على التحليل العميق للأحداث ، والقضايا ، والظواهر وغيرها من الشئون التي تشغل الرأي العام ... ويتناول الوقائع بالتفصيل ، ويربط الكاتب بينها وبين غيرها من الوقائع التي تتصل ببعضها البعض من قريب أو بعيد ، ثم يستنبط منها ما يراه من آراء واتجاهات ولا يقتصر المقال التحليلي فقط على تفسير أحداث الماضي ، أو شرح الوقائع الحاضرة وإنما يربط الكاتب بين الاثنين ليستنتج أحداث المستقبل ... وحيث أن المقال التحليلي يقوم في أساسه على التحليل العميق والمدرّس للأحداث ، فهو غالباً ما يكون أسبوعياً ، حتى وإن كان ينشر في جريدة يومية ... وليس هناك حجم معين للمقال التحليلي ، ولكنه قد يشغل مساحة صفحة كاملة من الجريدة ، أو عدة صفحات من المجلة .

وهناك فارق جوهري بين المقال التحليلي وبين المقال الافتتاحي - غير الفارق في الحجم والمساحة والمكان الثابت - وهو أن المقال التحليلي قد لا يعبر عن سياسة الصحيفة ، وإن

(١) راجع في ذلك المرجع السابق ص ٢٢٩ - ٢٣٢ .

كان يشترط ألا يختلف معها ... فهناك مساحة كبيرة من الحرية تمنح لكاتب المقال التحليلي
تسمح له بالتميز عن رأى الصحيفة .

وظائف المقال التحليلي :

- للمقال التحليلي عدة وظائف هامة ، فى مقدمتها الوظائف الثلاثة التالية :
- ١ - عرض الأحداث الجارية ، وتحليلها ، والكشف عن أبعادها ، ودلالاتها .
 - ٢ - مناقشة وطرح القضايا والظواهر التى تشغل الرأى العام المحلى أو الدولى ،
ومساعدة القراء على فهمها ومتابعتها .
 - ٣ - التعبير عن السياسات ، والاتجاهات السائدة فى المجتمع ، وطرح وجهات نظر
القوى السياسية والاجتماعية فى البلد الذى تصدر به الصحيفة .

موضوعات المقال التحليلي :

يتسع المجال أمام كتاب المقال التحليلي - شأنهم شأن كتاب العمود الصحفى -
للخوض فى مختلف مجالات النشاط الانسانى من سياسة ، واقتصاد ، واجتماع ،
وثقافة ، وفكر الخ ولكن ينفرد النشاط السياسى بالاستحواذ على غالبية
ما يكتب من مقالات تحليلية ، بينما تغلب المسائل الاجتماعية على ما يكتب فى العمود
الصحفى .

كذلك يغلب على المقال الافتتاحى طابع (التعليق السريع) على الأحداث الجارية ، فى
حين يغلب على المقال التحليلي طابع (التعليق العميق) على نفس الأحداث . لذلك كان
فى امكان الكاتب أن يكتب المقال الافتتاحى كل يوم ، فى حين لا يستطيع غالباً أن يكتب
المقال التحليلي إلا كل اسبوع .

كتابة المقال التحليلي:

يكتب المقال التحليلي - شأنه في ذلك شأن جميع أنواع المقال الصحفي - على هيئة قالب الهرم المعتدل ٠٠ أى يتكون من : مقدمة ، و صلب ، وخاتمة ٠٠٠ ولكن المقال التحليلي يتميز عن كل من المقال الافتتاحي ، والعمود الصحفي - كما سبق ذكره - بكبر حجم مساحته في الصحيفة . مما يسمح لكاتبه بأن يحشد في جسم المقال أكبر قدر من التفاصيل ، والحجج المنطقية ، والأدلة ، والشواهد التي تشرح موضوع المقال وتؤيد رأى الكاتب ، هذا بالإضافة الى حشد قدر كبير من المعلومات الخلفية التي تتصل بموضوع المقال .

(أ) المقدمة : يمكن أن تحتوى على العناصر التالية :

- (١) إبراز حدث من الأحداث الهامة الجارية .
- (٢) طرح قضية تشغل الرأى العام وتمس مصالح الجمهور .
- (٣) تقديم اقتراح جديد يثير اهتمام القراء .

(ب) الصلب : يتضمن العناصر التالية :

- (١) المعلومات الخلفية للموضوع الذى يناقشه المقال .
- (٢) حشد الأدلة ، والشواهد ، والحجج التي تؤكد وجهة نظر الكاتب
- (٣) كشف أبعاد الموضوع ودلالاته المختلفة .
- (٤) عرض الآراء المؤيدة أو المعارضة لوجهة نظر كاتب المقال والرد عليها .

(ج) الخاتمة : تحتوى على العناصر التالية :

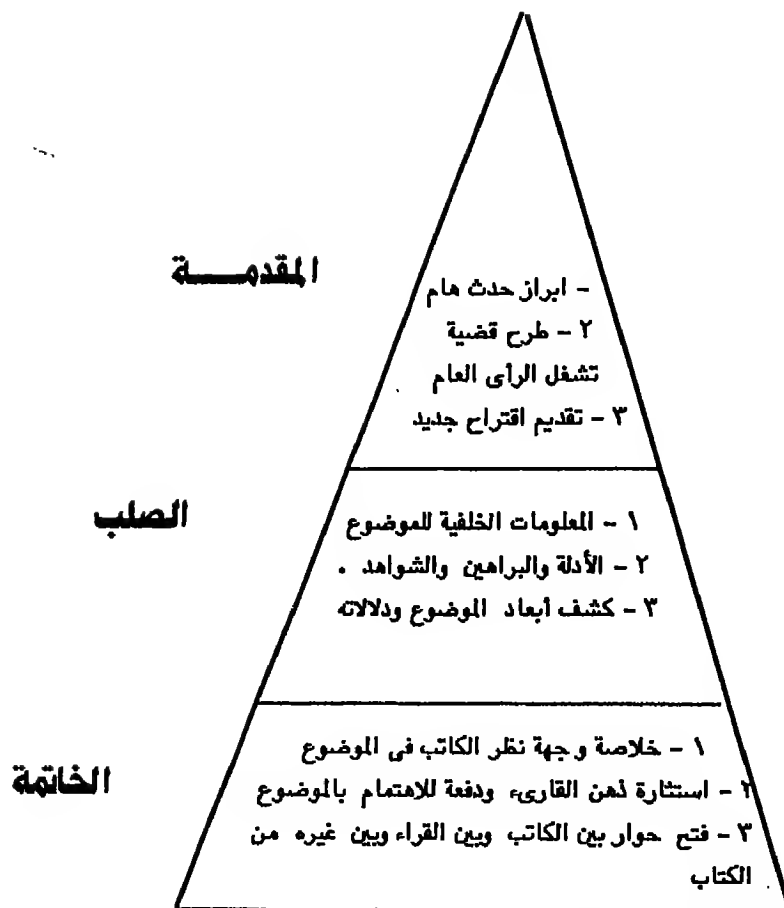
- (١) خلاصة وجهة نظر الكاتب فى الموضوع .
- (٢) استثارة ذهن القارئ ، ودفعه للاهتمام بالقضية التي يطرحها الكاتب .

(٣) فتح حوار بين الكاتب والقراء من ناحية ، وبينه وبين غيره من

الكتاب من ناحية ثانية حول موضوع المقال .

ويوضح الشكل التالى طريقة كتابة المقال التحليلي المبني على قالب

الهرم المعتدل .



شكل رقم (٣) يوضح البناء الفني للمقال التحليلي المبني على قالب الهرم المعتدل .

” فضيحة العلمانية في تركيا :

وفيما يلي نقدم نموذجاً تطبيقياً لمقال تحليلي ، بقلم الكاتب الصحفي (فهمي هويدي) بجريدة الاهرام تحت عنوان (فضيحة العلمانية في تركيا ، (١) .. وقد تناول الكاتب تلك القضية بالتحليل التفصيلي العميق ، في محاولة منه لمساعدة القراء على فهم حقيقة تلك الأوضاع المقلوبة ، القائمة

(١) الأهرام العدد (٤٠٢٧) بتاريخ ١١ مارس ١٩٩٧ من ١١

فى دولة تزىء نسبه المسلمين فىها على ٩٥ فى المائه من سكانها . وقء رىط الكاءب فى مقاله الأءلىلى بىن الوقائع الأءىمة والواقء الأاضرة الأى أأصل بألك القضىة من قرىب أو بعىء الأهرام ، وأن كانت لأأألف معها ، وذلك انألاقا من أن كأب مقاله الأءلىلى " يعطى أائما مساة كبىرة من الأرة ، مما ىسمح له بالأمىز عن رأى الصأىفة الأى ىكأب فىها وقء رأى الأقىء بالأالب الفنى لكأابة مقاله الأءلىلى القائم على الهرم المأءءل ، والأى ىأكون من مقءمة : أبرز فىها مشكلة قائمة فى أركىا وأهم الرأى العام الأركى بصفة أاصة والرأى العام الاسلامى بصفة عامة .. ثم أقء فى صلب مقاله المأل المألومات الألفىة للموضوع الذى ىناقشة فى مقاله ، وأشء أءراً كبىراً من الأءلة والشواهء والبراهىن والأأع المنطقىة الأى أؤكد وأةة نظره ، وعرض لوأهات النظر المأرضة وناقشها وكشف زىفها بالأأة والنطق ، وأضأ أهافتها وىطلانها .. وفى آخر مقاله أاءت الأائمة أأضمنة وأةة نظر الكأب فى الموضوع الذى عأله ، واستأار أهن القارىء ، وءفعه للأهأام بالقضىة الأى أأرحها ..

وفىما ىلى نص مقاله الأءلىلى بقلم الكأب الصأفى فهمى هوىءى .. رىما كان مبكرا الأءىث الآن عن أهم القضاأ السىاسىة فى عام ٩٧ ، لكنى أأازف بأأرشىع المشهء العلمانى فى أركىا للفوز بألك اللقب ، مطمئنا الى انه ىملك رصىءا من المقومات والنقاط أمكنه من " اكأساح " أى منافس آخر ىأظهر الى نأاية العام ، الا اذا شاء رىك أن رىئنا ما هو أءء وأأعس !

فالأأزاب السىاسىة أقامت الأنىا ولم أأعءها منذ أربعة أسابىع ، بءعوى ان العلمانىة مهءءة ، وأن موارىئها وأقالىءها أصبأ فى أطر أاهم . أما أبواقها الاعلامىة من صأف وأأاعة وألفىزىون فأء ملأت الأنىا صىأا ، وأرفأ انهأارا من الأموع وهى أأباكى على العلمانىة والأىمقراطىة ، الأمر الذى اسأأفر قىاة الأىش ومألس الأمن القومى ، وسط شائعات كأىرة أأرءء حول أأأمالات وقوع انألاب عسكرى من أانب الأىش الذى فعلاها ألاث مرأ من قبل ، انألاب ىرء للعلمانىة أعأارها وىصوب " الانأراف " البأى من مسارها . أىر أن الانألاب لم ىقع ، أأى الآن ، وأأابأ البىانات والأأصرىأات السىاسىة والعسكرى مأأرة من أأورة

التهديدات الناشئة عن تصاعد " الاصولية " فى تركيا ، وتنأى مظاهر " التشدد " الدينى ، فى الوقت ذاته خرجت مظاهرات لبعض النسوة حاملة صور كمال اتاتورك ، مؤسس الدولة العلمانية التركية ومنندة بالاصولية والرجعية ، وداعية الى انقاذ العلمانية من المخاطر التى أصبحت تحيق بها .

اللقطة المثيرة فى المشهد تمثلت فى اجتماع مجلس الأمن القومى التركى الذى يضم رئيس الجمهورية ، ورئيس الوزراء ، والوزراء المسئولين عن الأمن والدفاع ، غير قادة الجيش والمخابرات ، هذا الحشد الكبير والمهيّب اجتمع لمدة تسع ساعات متصله ، لأول مرة فى تاريخه بعدها أعلن أن الجيش قدم عشرين مطلباً الى رئيس الوزراء نجم الدين اريكان ، زعيم حزب الرفاه الاسلامى ، انطلاقاً من موقفه التقليدى كحارس للعلمانية فى تركيا وحسبما ذكرت صحيفة " الحياة " اللندنية فى ٣ / ٣ فان ابرز مطالب الجيش تمثلت فيما يلى : عدم السماح بالزى الاسلامى الذى اعتبر متعارضاً مع المبادئ العلمانية . تحويل المدارس الدينية المتخصصة فى تخريج أئمة المساجد الى مدارس مهنية . اغلاق مدارس تحفيظ القرآن الكريم الأهلية ، منع اقامة المسجد المقترح فى حى " تقسيم " الذى يعد احد معاقل العلمانية فى مدينة اسطنبول ! هذه الطلبات سربت الى الصحافة التركية من جانب الجيش ، ولم يذكرها البيان الصادر عن مجلس الأمن القومى ، الذى اكتفى باعلان اشارات تحذيرية لنجم الدين اريكان ، كان منها مثلاً : ان المجلس درس كل الملفات الخاصة بالحركات الرجعية التى تستهدف النظام الديمقراطى العلمانى ، واسس النظام الاجتماعى القائم على الأفكار الكمالية والوطنية التى أقرها الدستور ، مدركاً ان تلك الحركات الرجعية تحاول تهيئة الجو لاقامة نظام خارج افكار العصر .

قوبل بيان مجلس الأمن القومى بارتياح كبير فى الأوساط العلمانية كما ذكرت " الشرق الأوسط " ، فى اليوم التالى اعتبرت تلك الاوساط أن الديمقراطية هى التى ربحت فى هذا الاجتماع " . أضاف مراسل الصحيفة فى اسطنبول ان المراقبين يتوقعون تراجع اريكان عن مطالباته السابقة حول الحجاب وجلود الاضاحى ومسجد " تقسيم " والسفر برا الى المملكة السعودية .

وكانت هذه المطالبات بالغة التواضع ، هى التى فجرت المشكلة فى تركيا ، واثارت قلق الاحزاب العلمانية والجيش واعتبرت اصولية وتشدداً وتطرفاً ، وخطراً يهدد العلمانية والديمقراطية فى البلاد !

الحجاب ممنوع والبغاء مشروع ! ليست هذه كذبة ولا مزحة ، ولكنه كلام جاد

يردده سياسيون كبار وجنرالات صارمون منتفخو الأوداج ، ظهروا على شاشات التلفزيون ليؤكدوا ان عرش العلمانية سوف يسقط من عليائه وأن شعلة الديمقراطية ستنطفئ وان شمس الحرية ستغيب ، وان المشروع الكمالى القابض على السلطة منذ ٧٥ عاما سينهار وتطوى صفحته الى الأبد ، اذا ما حلت تلك " الكوارث " بالمجتمع التركى ، وفى مقدمتها السماح للمسلمات بارتداء الحجاب فى دواوين الحكومة !

وكانت هذه القضية بالذات اكثر ما زعج النخبة العلمانية التركية ، التى لا يمل رموزها من الحديث عن الحرية والديمقراطية ، وياسمها تم تقنين مهنة البغاء فى تركيا . وهى المهنة التى لاتستطيع حكومة اريكان فتح ملفها أو الحديث عن مشروعيتها فى بلد تزيد نسبة المسلمين فيه على ٩٥ فى المائة . ولكن حين فكر بعض نواب حزب " الرفاه " الاسلامى فى التقدم بمشروع قانون يرفع الحظر المفروض على ارتداء الحجاب فى مؤسسات الدولة ، قامت القيامة وثار العلمانيون ، واستتفر الجميع من عسكريين ومدنيين حتى جرى ماجرى ، نفس الشئ بالنسبة لمسجد حى تقسيم ، حيث لم يحتمل العلمانيون ان يقام مسجد فى أحد ميادين ذلك الحى الكبير ، الذى يخلو من المساجد بينما يعد من أهم مناطق مدينة اسطنبول ، واعتبروا ذلك " تطرفا " ينبغى أن يقاوم ، وان يعرض أمره على مجلس الأمن القومى لاتخاذ ما يراه مناسبا لدفع خطره !

حكاية جلود الإضاحى خلاصتها ان الخطوط الجوية التركية المملوكة للدولة أعطيت حق احتكار هذه الجلود وجمعها من الناس الذين تصر اغليتهم الساحقة على تقديم الاضحيات فى كل عام ، ولان تعداد تركيا ستون مليوناً ، فلك أن تتصور حجم الثروة التى تمثلها جلود اضاحى مسلميها ، حين تجمع من الناس ثم تستثمر على نحو وآخر وحين فكرت حكومة اريكان فى كسر ذلك الاحتكار ، والسماح للجمعيات الخيرية الاهلية بتلقى تلك الجلود من الناس والاستفادة منها ، اعتبرت هذه " جريمة " فجرت غضب العلمانيين الذين رأوا فى تلك الخطوة محاولة من حكومة حزب الرفاه لتقوية الجمعيات الخيرية الاسلامية (لا تنس ان الاحزاب العلمانية ترفع شعار الدفاع عن المجتمع المدنى الذى تعد تلك الجمعيات من أهم مقوماته فى تركيا) .

أما مسألة استخدام الطريق البرى للسفر الى السعودية ، الذى حظرت السلطات التركية بحجة انه ليس آمناً لمروءه فى مناطق التمرد الكردى أو بسبب توتر العلاقات مع سوريا ، فهناك من يقول ان الدافع الحقيقى للحظر هو ان النخبة العلمانية لاتريد تيسير الحج والعمرة

على المسلمين الأتراك الأمر الذى يؤدي فى نظرهم - الى توسيع نطاق الرجعية ، وزيادة مؤشرات التطرف الأصولية .

لقد رفعت النخبة العلمانية التركية شعار " الاستئصال هو الحل " وكانت المطالب العشرين التى قدمها الجيش تطبيقاً أميناً لذلك الشعار ، ولذا فإنها قوبلت فى اوساط تلك النخبة بمختلف مشاعر الحفاوة والانتشراح ؟ وهذه هى الفضيحة الحقيقية ! ما برح العلمانيون يدعون إلى عدم تدخل الدين فى السياسة ، ولكنهم يقدمون نموذجاً فاحشاً لتدخل السياسة فى الدين ، ويعلنون أنهم يدافعون عن الديمقراطية والحرية ، لكنهم يمارسون قهراً لحدود له للمسلمين ، ويرفضون التسامح مع أبسط شعاراتهم . حتى غطاء الرأس يمنعونه على العاملات فى مؤسسات الدولة فيصادرون الحد الأدنى من حقوقهن فى بلد أغلييته الساحقة من المسلمين . ويهملون الليبرالية والتعددية ، بينما يفرضون على الأغلبية المسلمة نموذجهم الخاص التفريقى والمعادى للدين متمسكين بديكتاتورية الاقلية بل لا يتورعون عند الضرورة عن التلويح بالاحكام العرفية وانقلاب الجيش لتحقيق مرادهم - ويوهمون الجميع بأن تعدديتهم احتملت حزب الرفاه الاسلامى بينما يضرون على ان يصبح الرفاه علمانيا ، ويتبنى مطالبهم فى حظر الحجاب ومنع اقامة مسجد " تقسيم " وتصفية معاهد الائمة والمدارس القرآنية .

طالبان على الطريقة العلمانية : هذه التجليات كلها ليست جديدة ، ولاهى مفاجئة ، ف سجل العلمانية التركية حافل بالعداء للاسلام والمسلمين ، فمنذ سطر كمال أتاتورك أولى صفحاته بعد توليه السلطة فى عشرينات القرن الحالى واتخذ سلسلة من القرارات التى استهدفت محو الاسلام فى مقر الخلافة الاسلامية ، حتى اغلق العديد من المساجد وأوقف الحج وشنق العلماء واهينو ، والى الحرف العربى ، واجبر المسلمين على ارتداء القبعات الخ .

وحينما تجرأ رئيس الوزراء الاسبق عدنان مندريس فى الخمسينات ، وسمع باعادة فتح المدارس الدينية ، ويرفع الاذان باللغة العربية بدلا من التركية ، انتفض الجيش وقام بانقلابه الذى ادى الى محاكمة الرجل وأعدامه . مع اثنين من الوزراء .

طوال التجربة العلمانية ظل التدين موصوما بمختلف التهم التى ترددت خلال العقود الأخيرة ، من الرجعية ، والسلفية ، الى التطرف ، والأصولية والارهاب ، حتى فشلت فى العام الماضى محاولات اعطاء الموظفين المسلمين الحق فى اداء صلاة الجمعة بالمساجد ، وفى بعض المواقع اعتبر الانتظام فى الصلاة تهمة تشكك فى جدارة الشخص بتولى وظيفته ، وكان ارتداء زوجة للحجاب دليلا على تطرفه ، يبرر احواله الى الاستيذاء ! وحين فاز حزب الرفاه بالاغلبية النسبية فى عام ٩٥ م ، فإن النخبة العلمانية اصيبت بالفزع والهلح ، رغم أن ذلك كان خيار الجماهير فى انتخابات ديمقراطية نزيهة ، ورغم أن حزب الرفاه سعى لتشكيل الإئتلاف الوزارى قابلا بالمشاركة مع الآخر العلمانى ، الا ان المشكلة ان النخبة العلمانية كانت ومازالت رافضة الاعتراف بالآخر ذى الاتجاه الاسلامى . والائتلاف الهش أو زواج المصلحة الذى تم مع

حزب الطريق المستقيم ، تم على كراهة ، وهو معرض للانهايار فى أى لحظة .
ان شئت الدقة فقل ان العلمانية فى تركيا " دين " يرفض اى منافسة ، ليس هذا فحسب
وانما هى ايضا تعد العقبة الاكبر التى تحول دون اقامة ديمقراطية حقيقية فى البلاد . تقوم على
التسامح والاعتراف بالآخر واحترام ارادة الجماهير وسجل انتهاكاتها المتواصلة لحقوق الاغلبية
المسلمة شاهد على ذلك .

ان التجربة التركية تقدم لنا نموذجا حيا للتطرف العلمانى تتحدد منطلقاته فيما يلى :

التقريب المطلق - العداء للإسلام حتى فى شعائره البسيطة .
- استخدام الديمقراطية لفرض ديكتاتورية الاقلية .

ونحن اذا مادققنا فى المشهد العربى ، فسوف تجد ان تلك سمات التطرف العلمانى فى كل
مكان . وهذا الذى حدث ويحدث فى تركيا تكرر بدرجة أو اخرى فى بعض اقطار المغرب
العربى حتى انه فى احد تلك الأقطار تم اغلاق ١٥٠٠ مسجد بحجة الفصل بين اماكن العبادة
واماكن العمل على اعتبار أن ذلك الفصل من مقتضيات الالتزام العلمانى !
اذا دقت اكثر فى المشهد فسوف تجد ان ثمة تشابها مدهشا بين مسلك جماعات التطرف
العلمانى وبين ماتفعلة حركة طالبان فى افغانستان فلا فرق مثلا بين الذين يكرهون النساء على
خلع حجابهن فى دواوين الحكومة ويغلقون المساجد أو يمنعون اقامتها فى النموذج العلمانى ،
وبين الذين يكرهون النساء على البقاء فى البيوت وارتداء النقاب فى الخروج ، كما يكرهون الرجال
على اطلاق لحاهم ، ويجبرونهم على الصلاة فى المساجد حين يرفع الاذان . ولا فرق بين من
يحاول استئصال الآخر الاسلامى أو انحيازاً الى النموذج الغربى احيانا مطلقا ، وبين من
يحاول استئصال الآخر العلمانى ، ويرفض كل ما هو غربى رفضا مطلقا الخ .

عداؤهم للديمقراطية ضرورى

ان ملة التطرف واحدة ، غير ان هناك فرقا مهما بين الموقفين الاسلامى والعلمانى ازاء نقد
هذا التطرف وعلان البراءة منه . فالمعتدلون الاسلاميون ودعاة الوسطية يدينون التطرف
الاسلامى ويشهرون تلك الادانة على الملأ بينما لم يستطع لطرف العلمانى ان يجرى مثل هذا
الفرز ، وعجزت رموزه حتى الآن عن إعلان موقف شجاع وصريح يدين ممارسات المتطرفين
العلمانيين .

ادرى أن هناك علمانيين معتدلين لهم موقفهم النزيه الذى يحترم القيم الایمانية والوطنية
ويدافع باخلاص عن الحرية والديمقراطية لكن صوتهم غير مسموع للأسف الشديد . وازاء
تصاعد اصوات الفلاة من شيعتهم فانهم يتحولون بعضى الوقت الى اقلية مهمشة ، تعد استثناء
على القاعدة العلمانية ثمة مؤشرات مهمة تدلنا عليها التجربة التركية فى مقدمتها ما يلى :

* ان مصطلح العلمانية لايعنى شيئا واحدا كما يروج البعض ، ولكنه مسكون بمواقف
وتصورات عدة لأمور الدين والدنيا (لاتنس ان النازية كانت نموذجا لعلمانيا قحاً) ، الأمر

الذى يفرض علينا ان نتعامل بحذر مع المصطلح وان نطالب الذين يسوقونه بأن يحددوا لنا بالضبط أية علمانية يقصدون .

* ان النخب العلمانية التى تقبض على السلطة فى المجتمعات الاسلامية تدرك انها تفرض على الامة نموذجاً غريباً مناهضاً ومتحدياً لنموذجها الحضارى . ومن ثم فإن لجوءها الى القهر قد يعد وسيلة وحيدة لاستمرار هيمنتها .

* ان الربط التلقائى بين العلمانية والديمقراطية ليس سوى اكذوبة كبرى ، كما ان الزعم بان العلمانية هى " فريضة العلم والحرية " كما هتف احدثهم مرة ، لا يعدوان ان يكون نوعاً من التهريج والتدليس . وفى احسن احواله فانه يظل نوعاً من التمنى لم يصدق حتى الان فيما نعرف من تجارب محيطة بنا . اذ كما ان هناك علمانية مخاصمة للدين واخرى متصالحة معه ، فثمة علمانية مخاصمة معها للديمقراطية واخرى متصالحة معها والعلمانية المفروضة على المجتمعات ذات الاغلبية المسلمة لاختيارها فى مخاصمة الديمقراطية لذا لزم التنويه والتنبيه .

الموقف السياسى :

وضمن هذا الباب فى جريدة (أخبار اليوم) ينشر الكاتب الصحفى ابراهيم سعده رئيس مجلس الادارة ورئيس تحرير أخبار اليوم مقالا تحليلياً سياسياً تحت عنوان (مرجحاً بأولبرايت ٠٠٠ ولكن) (١) تعرض فيه لحدث سياسى هام يشغل رأى العام المصرى والعربى ، وتناول فيه بالشرح والتحليل العميق ، والكشف عن الأبعاد والدلالات ، لموقف السيدة مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية الأمريكية غير المحايد ، بالنسبة للصراع العربى الاسرائيلى ، وتعاطفها التام مع كل ماتقبله إسرائيل أو ترفضه ، بصرف النظر عما اذا كان هذا القبول أو الرفض ، يتعارضان مع القانون الدولى ، ومع أبسط حقوق الشعوب .

وبعد المقدمة التى أوضح فيها الكاتب الانطباع السلبي لدى رأى العام العربى ، حول موقف السيدة أولبرايت وذلك بمناسبة زيارتها لمنطقة الشرق الأوسط . . انتقل الكاتب الى صلب المقال حيث حشد فيه قدراً كبيراً من

(١) أخبار اليوم العدد (٢٧٥٨) بتاريخ ١٣ سبتمبر ١٩٩٧ ص ١ و ٨ .

المعلومات الخلفية فى هذا الصدد ، الى جانب الكثير من الأدلة والشواهد والبراهين التى تؤكد وجهة نظره وتشرح موضوع المقال ، وذلك يهدف مساعدة القارئ على فهم تلك القضية التى تعرض لها ، واقناع القراء بوجهة النظر المعارضة التى ذهب اليها .. كما قدم العديد من آراء ووجهات النظر وناقشها وفندها وكشف زيفها وتهافتها ، مما يزيد من اقتناع القارئ بوجهة نظره ، واستثارة ذهنه ، ودفعه للاهتمام بما طرحه الكاتب فى مقاله .. وجاءت خاتمة المقال متضمنة خلاصة وجهة نظر الكاتب فى هذا الموضوع الذى طرحه ومؤكداً أن " أزمة الثقة فى الدور الأمريكى أصبحت حقيقة ، وتزداد وضوحاً يوماً بعد يوم . وكىم نتمنى لو نجحت السيدة مادلين أولبرايت - اليوم أو غداً - فى تغيير - أو حتى تعديل - هذا الموقف المؤسف " .

وقىما يلى نص هذا المقال التحليلى بقلم الكاتب الصحفى ابراهيم سعده .
" اكتسبت زيارة السيدة مادلين أولبرايت لمنطقة الشرق الأوسط أهمية خاصة ، لأسباب عديدة أهمها : هناك انطباع متزايد وسط الرأى العام العربى بأن أولبرايت غير محايدة بالنسبة للصراع العربى الإسرائيلى ، كما أن معظم ما قيل على لسانها ، ومعظم مانسبته أجهزة الإعلام العالمية إليها - بالحق أو بالباطل - أظهر أولبرايت فى صورة المتعاطفة تماماً مع كل ماتقبله ، وكل ماترفضه ، إسرائيل .. بصرف النظر عما إذا كان هذا القبول أو الرفض يتعارضان مع القانون الدولى ، ومع أبسط حقوق الشعوب ا
وزاد من هذا الانطباع السلبي - لدى الرأى العام العربى - أن وزيرة الخارجية الأمريكية الجديدة لم تبد أى اهتمام - على عكس من سبقوها فى هذا المنصب المهم - بزيارة المنطقة ومحاولة التعرف على حقائق مايجرى فيها ، ومايصدر عنها .. وكأنها تكتفى - فقط - بما تتلقاه عن مصادرها الإسرائيلية ا

لهذه الأسباب كلها - وغيرها - فإننا نرحب بقدوم السيدة مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية الأمريكية إلى المنطقة ، لنسمع منها ونتعرف على أفكارها وآرائها بالنسبة للقضية المهمة التى لاهم لنا - خلال نصف القرن الماضى - غير البحث عن حل أو حلول لها

لقد كُنّا فى مقدمة المطالبين بأن تلعب الولايات المتحدة دوراً نشطاً لمساعدة الأطراف المعنية على التوصل إلى تسوية ، لأن أمريكا مؤهلة - ربما أكثر من أى طرف آخر - للعب هذا الدور ولو بالمشاركة مع الآخرين ، فهناك - كما يعرف الجميع - علاقه بالغة بالخصوصية بين واشنطن وتل أبيب . وهناك الإغداق الأمريكى - بالمساعدات الأقتصادية والعسكرية - على إسرائيل بغير حساب ، كما أن الشرق الأوسط يمثل للولايات المتحدة

أهمية بالغة جعلتها تضع المنطقة على رأس أولويات مصالحها الاستراتيجية ولسنا وحدنا الذين نشق كل الثقة في أن الدور الأمريكي للمشاركة في إيجاد الحل للصراع العربي الإسرائيلي ، هو المؤثر وهو القاطع ، وهو الحازم . فهناك من بين الإسرائيليين - في مقدمتهم الرئيس الإسرائيلي عازرا فايتسمان - من يعطى لهذا الدور الأهمية القصوى بدليل أنه طلب من مادلين أولبرايت - في الكلمة التي ألقاها خلال إفطار العمل الذي دعا إليه في صباح اليوم التالي لوصول وزيرة خارجية أمريكا إلى إسرائيل - أن تمارس الضغط المكثف على حكومة نتانياهو وعلى حكومة ياسر عرفات - معا - من أجل تحريك عملية السلام ، مادام لم ينجح أحد منهما في اقناع الآخر بأهمية تنفيذ ماسبق الاتفاق عليه في أوصلو .

وتتوالى الأحداث ...

حقيقة أن مادلين أولبرايت أوضحت - فور وصولها إلى إسرائيل - أنها تعتزم أن تركز في زيارتها الأولى للمنطقة على المسائل الأمنية . التي تهم إسرائيل في المقام الأول - على حساب النواحي السياسية والاقتصادية وتحريك عملية السلام - وهي القضايا التي تهم الفلسطينيين والعرب في المقام الأول - ولكن حقيقة - أيضا - أن وزيرة الخارجية الأمريكية حرصت - في الوقت نفسه - على تأكيد العلاقة الوثيقة بين الأمن والسلام ، وذلك عندما قالت - في المؤتمر الصحفي الذي عقده في إسرائيل - : إنه لا يمكن الفصل بين الأمن الحقيقي والسلام الحقيقي فلا يمكن أن يتحقق واحد منهما دون الآخر . ولم تكف وزيرة الخارجية بذلك وإنما خطت خطوة أكبر عندما أعلنت أنها طلبت من نتانياهو أن تفي إسرائيل بالتزاماتها ، لأن القلق على الأمن لا يعنى التخلي عن الالتزامات ، وأضافت أولبرايت قائلة أنها طالبت إسرائيل بالامتناع عن القيام بأي إجراءات أحادية الجانب تؤثر على مفاوضات التسوية الدائمة مع الفلسطينيين ، وبذلك تكون أولبرايت قد تبنت - على الأقل في تصريحاتها العلنية - الخط الذي اتخذته مصر طوال الأشهر الماضية .

ولم يكن مقالته مادلين أولبرايت - في المؤتمر الصحفي - مجرد تصريحات أو كلمات تتبدد في الهواء ، فلقد علمت أنها كررت نفس هذه الالتزامات أمام الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات والوفد المرافق له في المباحثات ، وأنها تقدمت - أيضا - بمبادرة أمريكية تستهدف تحريك عملية السلام المجمدة من خلال إقتراح محدد يتكون من بتدين اثنين يحققان - في حالة موافقة الفلسطينيين والإسرائيليين عليهما - تقدما ملموسا ومطلوبا في عملية السلام الفلسطينية الاسرائيلية .

البند الأول : يتعلق بما يمكن للولايات المتحدة والسلطة الفلسطينية القيام والمشاركة به في مواجهة الإرهاب الذي تعتبره إسرائيل العائق الأول والأخير لتحريك عملية السلام .

البند الثاني : يختص بالدور الذي يمكن للولايات المتحدة الأمريكية أن تلعبه في القضايا المعقدة وأهمها قضية : المعتقلين الفلسطينيين ومبررات الإفراج عنهم وضمان عدم إعتماهم للمنظمات الإرهابية الراضة لعملية السلام .

ولا أظننى الميع سر إذا قلت : إن الإدارة الفلسطينية - بزعامة الرئيس ياسر عرفات - قد وافقت على الاقتراح الأمريكى الذى طرحته مادلين أولبرايت خلال جلسة المباحثات التى تمت بين الجانبين الأمريكى والفلسطينى والمهم - الآن - أن نسمع رأى حكومة بنيامين نتانياهو فى هذين البندين المحددين اللذين تقدمت بهما وزيرة خارجية الولايات المتحدة خلال جلسة مباحثاتها الأخيرة مع السلطة الفلسطينية برئاسة أبو عمار وما فعلته وما قالت السيدة مادلين أولبرايت - حتى الآن - لابد أن يشجعنا على أن ننظر إليها- ونعامل معها - بشكل مغاير ، ومخالف لما كنا نتوقعة ومنتظره وهذا مايشجعنا على أن نطالبها ببعض المواقف والمبادرات منها على سبيل المثال لا الحصر :

* أن تتمسك وزيرة خارجية الولايات المتحدة بهذا الخط فى مواجهة إصرار إسرائيل على التركيز على امنها هى فقط كما لو كان أمن الأطراف العربية هو أمر لاقيمة له ولايستحق الاهتمام لهذا السبب فإننا ننتظر من وزيرة الخارجية الأمريكية أن تترجم ماأعلنته ، وماطرحته - نظريا - إلى خط واقعى تلتزم به السياسة الأمريكية خلال زيارتها للمنطقة ، ويعددها ، عندما تفعل وزيرة الخارجية ذلك فمن المؤكد أن يكون فى إستطاعة واشنطن أن تؤثر على إسرائيل وأن تمارس الدور المطلوب منها .

* لست من هؤلاء الذين يجرون تقييمهم لسياسة أمريكا - أو غيرها - من زاوية الانتماء الدينى أو الأيديولوجى للأشخاص الذين يلعبون دورا أساسيا فى تشكيل سياسة بلادهم لأن من تبسيط الأمور الحكم على هذه المواقف من زاوية شخصية ، ولذلك فإننى لن اتوقف طويلا أمام " المسرحية " التى أعدتها إسرائيل للوزيرة الأمريكية أثناء زيارتها لنصب ضحايا الهولوكوست - فادياشيم - ولا لإصرار المسئولين الاسرائيليين على " تثقيف " أولبرايت بشأن تاريخها العائلى مع التركيز على أن عددا من أقاربها اليهود قد لقوا حتفهم على أيدي النازيين العنصريين .

* لن نقول لمادلين أولبرايت أن كل فصول هذه " المسرحية " يعتبر خارج الموضوع الأصلى ، فاليهود من الإسرائيليين - وغيرهم - ليسوا عرضة لأى اضطهاد فى المنطقة العربية ولم يكونوا مضطهدين فيها فى أى يوم . والقضية - الآن - ليست قضية اليهود ، وغيرهم وإنما هى قضية إرساء العلاقة بين الطرفين اللذين نشب بينهما نزاع سياسى - لأسباب لا أجد حاجة للتطرق إليها - على أساس من العدل والتكافؤ ، وليس على أساس مجاملة إسرائيل على حساب العرب ، ولا على قاعدة الحديث عن تفوق إسرائيل على العرب - يستوى فى هذا التفوق العسكرى أوالاقتصادى - أو الزعم بأنه التفوق الحضارى والإحياء بأنه يعنى " التفوق الإسرائيلى و" المطلب الإسرائيلى " على " الحق العربى و" المطلب العربى " لأن هذا الطرح كفيل بنسف عملية السلام من أساسها ، والإخلال بالتوازن الذى يفترض اننا جميعا نعمل على تحقيقه حتى نضمن استمرار حالة السلام فى المستقبل القريب والبعيد معا .

لقد جاء تخوفى من هذا الخلط بعد أن سمعت عن حرص السيدة مادلين أولبرايت على

أن تؤكد - خلال زيارتها الأخيرة لإسرائيل - عن التزام بلادها بمساعدة الدولة العبرية على تحقيق تفوقها العسكرى فهل يراد بالمنطقة أن تعود إلى مناخ الحرب ومنطقها ، وأن ينطلق الأطراف فى سياستهم من مفاهيم " التفوق " و " السيطرة " بدلا من " التعايش " و " التكافؤ " وكيف تطعن الشعوب إلى المستقبل وتقنع بالمرأهنة عليه ضد المخادين بحتمية الصراع وأيديته ، إلى أن ينتصر طرف على الأخرى كلية ويفرض عليه شروطه ؟

* إن الوزن الذى تعطيه وزيرة الخارجية الأمريكية لموضوع الأمن - أثناء زيارتها - على حساب قضية السلام والحفاظ على مسيرته ، كان مبالغ فيه إلى درجة كبيرة ، فقد اهتمت بأن تصرح بعد لقاءها برئيس الوزراء الاسرائيلى بأن موضوع الأمن هـولب جدول أعمالها ، وأنها سوف تتحدث مع الرئيس عرفات حوله وتطالبه بالدخول فى تعاون فعال مع إسرائيل بشأنه ، وبأن يتخذ خطوات صارمة لاقتلاع الإرهاب وينتبه الأساسية من جذورهما ، وأضافت : "إننا إذا ما أردنا أن نستأنف المفاوضات السلمية ونسرع فى المسيرة فليس أمامنا طريقة أخرى " ولم تنس وزيرة الخارجية الأمريكية أن تعلن تأييدها لما يطرحه نتانياهو حول مبدأ المعاملة بالمثل أو التبادلية - reciprocity - رغم أنها تعلم جيدا أن رئيس الوزراء الإسرائيلى يستخدم هذه العبارة بطريقة غير متوازنة تخرجها عن السياق السليم - فهو - أى نتانياهو - لا يخفى مطالبته للفلسطينيين بالقيام بتنفيذ جميع التزاماتهم أولا قبل أن تبدأ إسرائيل فى تنفيذ تعهداتها ليس هذا فقط بل أن إسرائيل تعطى نفسها الحق فى تعريف التزامات الفلسطينيين وتحاول أن تعلق عليهم أسلوب الوفاء بها بالتفصيل ، وإلا اعتبرت مخالفة للاتفاقيات التى تم توقيعها ، وأوضح مثال على هذا أن مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلى أصدر بيانا يوم ٩ سبتمبر الجارى عدد فيه الخطوات التى تطلب إسرائيل من السلطة الفلسطينية اتخاذها فى مجال الأمن على النحو التالى :

- ١ - التعاون الأمنى الكامل وغير المشروط مع إسرائيل .
- ٢ - ردع الإرهابيين ومعاقتهم .
- ٣ - إبعاد المخربين عن صفوف الشرطة الفلسطينية .
- ٤ - الوفاء بالالتزامات الأمنية فى الخليل .
- ٥ - مصادرة الأسلحة غير المرخصة .
- ٦ - وقف التحريض على العنف .
- ٧ - الالتزام بالقيود المفروضة على أسلحة قوات الأمن الفلسطينى .
- ٨ - تقليص عدد أفراد الشرطة الفلسطينية الى أربعة وعشرين - ألفاً ، وهو العدد المنصوص عليه فى الاتفاق المرحلى .
- ٩ - تسليم المشتبه فيهم بالتورط فى أعمال إرهابية .

١٠ - القضاء على البنية التحتية للمنظمات الإرهابية .

والسؤال الآن هو : هل يعقل أن يبيع طرف لنفسه أن يملى على الطرف الآخر ما هو مطلوب منه بهذا التفصيل وهذه المبالغة في الوقت الذي يعلن فيه - صراحة - أنه لا ينوى الوفاء بأهم التزام يتحمله وهو تنفيذ المراحل المتفق عليها لإعادة الانتشار الأوسع في المواعيد المحددة ، والتي أكدتها الولايات المتحدة نفسها في الخطاب الموجه من كريستوفر - وزير الخارجية الأمريكي السابق - للرئيس الفلسطيني عرفات ؟

* ولاشك أن الخريطة السياسية في أمريكا بالغة التعقيد والصعوبة ، بحيث لا يمكن التعميم وإصدار الأحكام ببساطة على القرارات التي تتخذها الإدارة الأمريكية في قضايا داخلية أو خارجية ، ولكن يمكن أن نقول - في الحدود التي يجوز فيها التعميم - أن أهم الملامح التي يتميز بها المسرح السياسى فى أمريكا يتلخص فى النفوذ الكاسح لجماعات الضغط - أو ما يسمى هناك " باللوبى " لدرجة أن هذه الجماعات - التى وإن كانت تمثل فئات قليلة لكنها منظمة وتتمتع بقدرة هائلة على الاتفاق - تتمكن فى النهاية من فرض اهتماماتها وأولوياتها على الشعب وممثليه فى السلطتين التشريعية والتنفيذية عند معالجة أى قضية ، وذلك على حساب المصلحة العامة . ولست فى حاجة إلى إبراز مدى سطوة اللوبى الصهيونى وقدرته على دفع الإدارات الأمريكية المتعاقبة لاتخاذ هذه السياسة المتطرفة وغير المنسجمة مع الأصول القانونية واعتبارات العدالة بل ومهما كانت متعارضة مع رؤية الحكومة الأمريكية ومع المصالح الحيوية لهذه الدولة الكبرى ، باختصار شديد يمكن القول بكل اطمئنان : إن اللوبى المعالىء لإسرائيل أصبح قادرا - منذ وقت طويل - على توجيه السياسة الأمريكية كيفما يشاء دون حسيب أو رقيب .

* ليس المقام هنا ملائما للاستطراد فى الحديث عن هذه الظاهرة التى تتفرد الولايات المتحدة بوجودها فيها بصورة صارخة ، وقد يكفى أن أقارن هنا بين " وثيقتين " - أن جاز هذا التعبير - أولهما الخطاب الذى وجهته دول المجموعة الأوروبية لوزيرة الخارجية الأمريكية أولبرايت منذ أيام وبالتحديد يوم ٥ سبتمبر الجارى - قبيل مغادرتها لواشنطن ، ونصحتها فيه باتخاذ موقف متوازن اثناء زيارتها لمنطقة الشرق الأوسط واقترحت المجموعة الأوروبية أن يقوم هذا الموقف على المرتكزات الآتية :

أولا : تأكيد التزام إسرائيل بتنفيذ المرحلة المقبلة من إعادة الانتشار ، لأن هذا الالتزام كان

من الأركان التى قامت عليها الاتفاقية المرحلية .

ثانيا : حث الفلسطينيين على استمرار التعاون مع إسرائيل فى مجال الأمن .

ثالثا : تشكيل لجنة دائمة للأمن من ممثلين للطرفين ، تحقق التعاون فى مجال الأمن تحت جميع الظروف ، ويمكن أن يشارك فى أعمال هذه اللجنة ممثلون للولايات المتحدة والاتحاد الأوروبى .

رابعا : إبراز أن أى استئناف للمفاوضات الخاصة بالوضع النهائى يجب أن يصحبه ويتوازى معه التنفيذ الكامل للاتفاقية المرحلية والبروتوكولات التى وقعت على أساسها .

خامسا : التزام الطرفين بتجنب أى إجراءات أحادية يمكن أن تؤثر على الموضوعات المتفق على معالجتها فى المفاوضات الخاصة بالوضع النهائى وبصفة خاصة فإن على إسرائيل أن تتوقف عن النشاط الاستيطانى .

سادسا : مطالبة الطرفين بالالتزام بميثاق للسلوك Code of conduct سواء فى المفاوضات أو فى تنفيذ ما يتم التوصل إليه من اتفاقيات ، ويجب الحرص على أن يسهم هذا الميثاق السلوكى فى خلق مناخ من " الشراكة " والمصلحة المشتركة بين الطرفين .

سابعا : رفع القيود الموضوعة على الاقتصاد الفلسطينى .

* ولايستطيع المرء أن يغالب إغراء إجراء المقارنة بين هذا الطرح الأوربى المتوازن والمتزن وبين المفاهيم التى يروجها اللوى المالىء لاسرائيل فى الولايات المتحدة ، وربما كان من الملائم أن اختار - كنموذج لهذا الطرح الصارخ فى تحيزه لإسرائيل - المقال الافتتاحى الذى كتبه روزنتال فى جريدة نيويورك تايمز يوم ٩ سبتمبر الجارى " أى فى نفس اليوم الذى بدأت فيه أولبرايت رحلتها إلى المنطقة .

كتب روزنتال مقاله تحت عنوان مثير يقول : " حرب الخمسين عاما " بداه بالإشارة إلى أن إسرائيل كانت هى الطرف الذى يسعى للسلام طوال نصف القرن الذى مضى منذ إنشائها ، أما العرب فقد أصروا دائما على الرد على هذه النوايا السلمية بالحرب (٠٠)

وأضاف الكاتب الصهيونى المعروف قائلا :

- ورغم هذا الموقف المسالم الإسرائيلى فإنه عندما تنفجر قنبلة فى سوق عمومى فى إحدى المدن الإسرائيلية أو فى سسيارة أتوبيس فإن العالم يطالب إسرائيل بالمضى فى طريق السلام وكان شيئا لم يحدث ، بل إنه يطالبها بتقديم التنازلات للفلسطينيين وياقى العرب ويواصل الكاتب مزاعمه فيقول :

" إن العالم يتجاهل - أو يتناسى - الحروب المتعاقبة التى غزت الجيوش العربية فيها إسرائيل المرة تلو الأخرى ، والدعايات المعادية لليهود التى ملأت أجواء العالم العربى ، وإصرار العرب على خنق إسرائيل اقتصاديا --- الخ " .

ثم يخلص روزنتال من سرد هذه الأكاذيب الفجة إلى أنه : " إذا كانت أمريكا حريصة على القيام بدور إيجابى ، فيجب أن تكون نقطة البداية فى تحريكها هى إقناع العرب بوجوب إنهاء حريهم التى استمرت لمدة نصف قرن ضد الدولة العبرية ، وإلا فإن العرب سوف يعاودون - بعد استراحة قصيرة - شن حريهم العدوانية ضد إسرائيل ! " .

ولا يكتفى روزنتال بذلك وإنما يواصل تزويره للأحداث التاريخية - على طريقة .. (لاتقربوا الصلاة) فيقول : " إن إسرائيل لم تحاول احتلال الضفة الغربية ولولا غباء العرب الذى دفعهم إلى مهاجمة إسرائيل عام ١٩٦٧ ورغم هزيمتهم فى الحرب ، ظلت إسرائيل تقدم لهم الاقتراحات تلو الآخر لإقامة السلام ، وتطرح عليهم إقامة حدود جديدة وتقتصر اقتسام المياه والطاقة الكهربائية وهم يردون على هذه التحركات السلمية بالعمليات الحربية وقذفها بالقنابل ومهاجمتها من على منبر الأمم المتحدة ثم استعرت المذابح بين إيران والعراق ، وقامت سوريا باحتلال لبنان ، وغزا

العراق الكويت ، وانغمس المتطرفون والأصوليون العرب فى قتل إخوتهم وابناء دينهم * .
ويختتم روزنتال مقاله بالتأكيد على انه : لا يمكن مطالبة إسرائيل بالتحرك نحو السلام إلا بعد أن يتوافر لها الأمن تماما ويستقر ، والا إذا اتخذ عرفات الخطوات الصارمة الحازمة المطلوب منه اتخاذها - وإن كان الكاتب يشك فى ثقة لدى الرئيس الفلسطينى للقيام بهذا . ثم انتهى روزنتال إلى أنه لا يمكن أن يتحقق سلام بين إسرائيل والفلسطينيين إلا إذا قامت نظم عربية على أسس أخرى غير الحقد والكراهية والتسلط .

* * *

ومقاله الكاتب الصهيونى الشهير ليس بالجديد ولا بالغريب ، إنه يكرر - فقط - ماسبق للوى الصهيونى الأمريكى تأكيداً والدفاع عنه والترويج له المرة بعد الأخرى . الجديد فى هذا التكرار أنه تم بمناسبة الزيارة الأولى - المهمة - التى تقوم بها وزيرة خارجية الولايات المتحدة لمنطقة الشرق الأوسط فى وقت يتزايد فيه عدد المتشائمين من جدوى عملية السلام من أساسها .
لقد كانت التصريحات التى أدلت بها أولبرايت - عشية سفرها وفور وصولها إلى إسرائيل وخلال زيارتها لها - غير مشجعة ، وغير مطمئنة ، وهو - بالضبط - ما يريده ، وينتظره ، اللوى الصهيونى من وراء هذه الزيارة ، لدرجة أن هناك من بين المعلقين والمحللين من تسوع وتنبأ بفشل هذه الزيارة قبل أن تبدأ ، وأثناها ، وريما - أيضا - بعد انتهائها أزمة الثقة فى الدور الأمريكى أصبحت حقيقة وتزداد وضوحا يوما بعد يوم وكم نتمنى لو نجحت السيدة مادلين أولبرايت اليوم أو غدا - فى تغيير أو حتى تعديل - هذا الواقع المؤسف * .

وبعد الانتهاء من الحديث عن المقال التحليلى وعرض نماذج تطبيقية له .. يبقى فى هذا الباب الحديث عن (الاسمية واللاسمية) أو توقيع المقالات باسماء كتابها من عدمه وهذا هو موضوع الفصل التالى والأخير فى هذا الباب الأول .

* * * * *

الفصل الخامس

الاسمية واللاسمية فى الصحافة (١)

وفى ختام حديثنا عن فن المقال فى هذا الباب الأول نتعرض لنقطة هامة تتعلق بهذا الفن ، فيما يختص بتوقيع كاتبه عليه ، أو عدم توقيعه . وقد لاحظنا فيما سبق أن الصحف تنشر المقال الافتتاحى بغير توقيع كاتبه لأنه يعبر عن رأى الصحيفة وسياستها وليس رأى كاتبه . أما بالنسبة لغيره من مختلف أنواع المقال التى تعرضنا إليها فان كل الصحف تنشرها موقعة باسماء كتابها لأنها تعبر عن أرائهم وأفكارهم بشرط ألا تتعارض مع سياسة الصحيفة فكيف نشأت الاسمية واللاسمية هذه فى الصحافة فى مختلف أنحاء العالم ؟ أو بتوضيح أكثر ماهى الجوانب التاريخية التى أدت الى اتباع هاتين الحالتين فى الصحافة وهما : توقيع المقال أو عدم توقيعه باسم كاتبه ؟ .

الجواب يتضح عندما نعلم أن الصحافة عند بدء ظهورها ، قد تميزت بأن ما ينشر بها كان يخلو من التوقيع عليه باسم كاتبه ، فالصحافة كانت تعنى بالأخبار ، ولم تكن تتميز بطابع فنى انشائى يدعو محرريها الى العناية بابرار أسمائهم . ويعد أن أصبحت الصحافة صحافة رأى الى جانب كونها صحافة خبر . رأى الصحفيون أن عدم التوقيع على مايكتبونه من مقالات يكفل سلامتهم فى زمن كانت فيه الحكومات تعصف بالكتاب الذين يوجهون أى انتقادات إليها ، فاللاسمية (- Anonymity Anonymat) فى الكتابة كانت ضرورية فى معركة الحرية

(١) راجع تفصيل ذلك فى كتاب الكور جمال الدين العطفى / حرية الصحافة ج ٢ (القاهرة ١٩٧٤) ص ٢٩٧ - ٣٠٠ .

التي خاضتها الصحافة في ذلك الحين .

وقد وقف لويس نابلليون في فرنسا لهذه اللاسمية بالمرصاد ، فأصدر تشريعا عام ١٨٥٠ يوجب توقيع جميع المقالات ذات الطابع السياسي ، أو الديني ، أو الفلسفي ، ولايجز نشرها الا موقعا عليها ، وكان لويس نابلليون بعد عدة في ذلك الحين لينصب نفسه امبراطورا على فرنسا . وكان يعاني من هجوم الصحافة عليه ، فرأى أن يقيد حرية الصحفيين في الكتابة مستعينا بهذه الوسيلة ، التي تضمن له محاكمة كل من يجرؤ على انتقاده .

ورغم أن هذا القانون قد ألغى بعد ذلك عام ١٨٨١ حينما صدر قانون الصحافة ، إلا أن نظام التوقيع على المقالات كان قد استقر في تقاليد الصحافة الفرنسية بوجه عام والأدبية بوجه خاص . ومع ذلك ظلت انجلترا أمينة على نظام اللاسمية ، فأغلب ماينشر بها من مقالات ينسب الى الجريدة ذاتها . فالمؤلف أن يتحدث الناس عما كتبه التيمس أو الديلي ميل . بينما تتخذ الصحافة في فرنسا طابعا شخصيا هو طابع المحرر الذي يوقع على المقال .

أما في الولايات المتحدة الأمريكية ، فأننا نجد أسماء لامعة توقع على كثير من المقالات والتحقيقات والأحاديث الصحفية ، الى جانب المقالات التي تنشر بغير توقيع ، فكما ينسب الرأي الذي تضمنه المقال الى مجلة نيوزويك مثلا أو الهيرالد تريبيون ، نجد أنه كثيرا ماينسب الى كاتب المقال الذي وقع عليه .

أما في الصحف المصرية والصحف العربية بصفة عامة ، فانها تعرف النوعين : المقالات التي لاتحمل توقيعاً ، وبالأخص في افتتاحيات الصحف ، كما أنها تتميز بالمقالات والأعمدة الصحفية التي تنسب الى كتاب يوقعونها باسمائهم كاملة ، أو بأسماء مستعارة ، أو بالأحرف الأولى من أسمائهم ... الخ .

ولقد انقسم الرأي حول أفضلية كل من النظامين : أيوقع ماينشر في

الجريدة وبالأخص اذا كان مقالا أم لا يوقع ؟

ويبدو أن غالبية الصحفيين يميلون الى تأييد التوقيع على ما ينشرونه من مقالات . فهذا التوقيع هو الذى يحقق لهم ما يحبون من شهرة ، وهو الذى يربط بينهم وبين القراء ، ويقال فى ذلك أن الصحفي حينما يوقع مقاله يستطيع أن يصبح مرموقاً يحظى باهتمام الرأى العام ، بينما أقصى ما يحصل عليه حينما يكتب مقالا لا يوقعه ، هو تقدير رؤسائه فى الجريدة . ثم ان توقيع المقال يدفعه الى الاحساس بالمسئولية وإلى العناية بما يكتبه . أما ما يقال من أن نظام اللاسمية اكثر اتفاقا مع حرية الكاتب فى التعبير عن رأيه ، فانه حجة لم يعد لها وجود بعد أن زال الخطر على حرية الصحافة الى حد كبير .

ويعلل أنصار اللاسمية رأيهم بأن العمل الصحفى ، عمل جماعى والمقال الرئيسى فى أى جريدة لا يعبر عن رأى كاتبه ، بل عن رأى الجريدة وتسبقة عادة مناقشات بين المحررين المسئولين وخاصة فى مجلس التحرير ، وقد يعدل وفقاً لما يبدو منه من رأى فى هذه المناقشات ، ثم أن المقالات التى لاتحمل توقيعاً تكون ذات تأثير أقوى ، لأنها تعبر عن رأى جماعة من الصحفيين ، وليست مجرد رأى شخصى ، فضلاً عن أن المناقشات الصحفية تتخذ فى هذه الحالة طابعاً موضوعياً ، فلا يتضمن ماتضمنه المقالات التى يوقعها كاتبوها من اشارات شخصية أو انطباعات ، ذاتية تبعد المقال عن البحث الهادى .

وأيا كانت حجج كل من الفريقين ، فان الملحوظ فى الوقت الحاضر ، أن الصحف لاتخلو مما ينشر بها بغير توقيع ، فالأخبار بصفه خاصة تنشر أغلبها بغير توقيع ، وكثير من المقالات التى تعبر عن رأى الجريدة تنشر أيضاً بغير توقيع ، أما الأعمدة الصحفية والمقالات والتحقيقات والأحاديث الصحفية وماشابه ذلك تنشر بتوقيع أصحابها عليها ومن طريف ما يروى عن الصحافة المصرية - فيما يتعلق بالأسمية

والأسمية - أن (الأهرام^(١)) كانت منذ صدورهما لاتهم كثيراً بنشر أسماء محرريها على مايكتبونه من مادة صحفية ، شأنها فى ذلك شأن معظم الصحف التى صاحبته فى تاريخها الى أوائل الخمسينات من هذا القرن فقد كان من الواضح أن (آل تقلا) يريدون أن يكون (الأهرام) وحده هو البطل ، وبالتشابه مع أهمية ضغط المصروفات " الذى كان يصل الى حد البخل فى بعض الأحيان ، فقد بدأت بعض التوقيعات بالاسم الأول أو الآخر تظهر فى (الأهرام) خلال الثلاثينيات ، عندما وجد (بشارة تقلا) أن الذين يسافرون الى الخارج يبعثون ببرقياتهم المذيلة بأسمائهم الثلاثية كاملة أو بالاسم الموجود فى جواز السفر ، والذى يعتمد من مكتب التلغراف ، وبعضه رباعى مما يزيد من تكلفة ارسال البرقية . . هنا أعطى (بشارة تقلا) تعليماته الى هؤلاء : بأن تكون البرقية مختصرة للغاية ، وألا توقع باسم المحرر لأن الأهرام يعرف صاحبها . فإذا كان لابد بسبب نظم الاتصالات ، فهى الكلمة الأولى أو الأخيرة فقط من اسم المراسل .

ويضيف بعض الخبثاء أن (بشارة تقلا) سأل وقتها . ألا يمكن التوقيع بالحرف الواحد ؟ وعندما قيل له ان التوقيع بالحرف يكلف نفس المبلغ الذى يتكلفه التوقيع بالاسم ، ولأن الكلمة وحدة التعامل التلغرافى فى العالم كله . أمر بعدم التوقيع إلا فى حالة الضرورة ، وباسم واحد فقط ، على أن تكون القاعدة هى عدم التوقيع .

كذلك كان (أنطون الجميل) وهو من رؤساء تحرير الأهرام يتردد كثيراً فى نشر اسم محرر من المحررين مهما كانت قيمة عمله . ثم ينشره على استحياء

(١) راجع فى ذلك محمود أدهم / أسماء على الصفحات (القاهرة ١٩٨٨) من ٤٤ - ٤٧ و ١٠٣ و ١٠٤ .

ويبسط صغير لايكاد يرى .. يقول مصطفى أمين^(١) : أن أنطون الجميل كان لايقوع مقالاته . ومن عادته أنه اذا تقدم اليه محرر بمقال كان لايقراً عنوانه ، وانما يقرأ الصفحة الأخيرة منه . فاذا وجدده موقعاً وضعه فى درج خشبى مخصص للمقالات المؤجلة ... كان أحمد الصاوى محمد ، يكتب مقالا فى الصفحة الأولى من الأهرام بعنوان (ماقل ودل) وكان أنطون الجميل يضيق بهذا الإمضاء ، كما كان يضيق بكل امضاء . وراح يؤجل مقالات الصاوى ، ويمنعها ، حتى ضاق الصاوى بمنعها وترك الأهرام ، وذهب الى جريدة المصرى ينشر صفحة كاملة كل اسبوع ، ثم يجمعها فى كتب أصبحت أشهر الكتب العربية أثناء الحرب العالمية الثانية .

وشتان الفارق بين (سليم تقلا) و (أنطون الجميل) وبين (محمد حسنين هيكل) الذى انتقل الى رئاسة تحرير الأهرام فى ٣١ يوليو ١٩٥٧ ، فيما يتعلق بالاسمية واللاسمية حيث كانت سنة ١٩٥٧ هى التى اتضح فيها تماماً الفارق الكبير بين مدرسة الأهرام القديمة التى تجعل الأهرام هى البطل ، ومدرسة الأهرام الجديدة (المطعمة) بالدم الصحفى الجديد بعدد من أبناء مدرسة أخبار اليوم التى تركز على نشر أسماء محرريها على مايكتبون . لقد تضاعف اهتمام الأهرام بنشر أسماء المحررين على مايكتبون ... ونجح (محمد حسنين هيكل) فى تحويل عدد ليس بالقليل من محررى الأهرام القدامى - وهم على درجة عالية من الكفاءة - الى نجوم مشهورين بين قراء الجريدة . كما نجح فى استقطاب عدد من المحررين والكتاب النجوم أصلاً ليضاعف من نجوميتهم وشهرة أسمائهم فى عالم الصحافة .

* * * * *

ويانتهاء الحديث عن أنواع المقال وعرض نماذج تطبيقية لها وكذلك توقيع المقالات بأسماء كتابها من عدمه .. نكون قد وصلنا الى نهاية الباب الأول بفصوله الخمسة التى اشتملت على تسعة مباحث .. وننتقل بعد ذلك إلى الباب الثانى من هذا الكتاب والذى يدور حول (فن التقرير الصحفى) ..

* * * * *

(١) عمود فكرة تحت عنوان (أنطون الجميل) منشور بجريدة الأخبار بتاريخ ٩ يونيو ١٩٨٧ م .

الباب الثاني

فـ التقرير الصحفي وأهم أنواعه

الفصل السادس : مفهوم التقرير الصحفي وكتابته

الفصل السابع : التقرير الإخباري

الفصل الثامن : التقرير الأدبي

الفصل التاسع : تقرير عرض الشخصية

الفصل السادس

(١) مفهوم التقرير الصحفي وكتابته

أولاً: مفهوم التقرير:

التقرير الصحفي بأنواعه المختلفة فن يقع ما بين الخبر والتحقيق الصحفي ... ويتميز بالحركة والحيوية في مجموعة المعارف والمعلومات التي يتضمنها .. كما أنه لا يقتصر على استيعاب الجوانب الجوهرية أو الرئيسية في الحدث فقط مثل الخبر إنما يستوعب أيضاً وصف الزمان ، والمكان ، والأشخاص ، والظروف التي ترتبط بالحدث ... ويسمح كذلك بإبراز الآراء الشخصية ، والتجارب الذاتية للمحرر الذي يكتبه ، ولا يقتصر فقط على الوصف المنطقي والموضوعي للأحداث ، وعلى ذلك فكلما كان المحرر شاهد عيان على الحدث كلما زادت فرصه النجاح أمام التقرير الصحفي ... وبالإضافة الى ذلك فيفضل أن تظهر شخصية المحرر حيث يكون من حقه أن يعرض انطباعاته الشخصية ، وأرائه ، وأحكامه ، وإستنتاجاته وان يقدم الأشخاص ويعرض وجهات نظرهم بل يمكنه أيضاً أن يقدم معلومات ذات طابع وثائقي ويتميز التقرير الصحفي بتقديم صورة سريعة للحدث ، أو يقوم بالتركيز على جانب واحد منه ، دون أن يغرق ويتعمق في التفاصيل ، المدعمة بالبحث ودراسة الأبعاد المختلفة مثل التحقيق الصحفي ...

وينحصر هدف كاتبه في إثارة اهتمام القارئ بالموضوع الذي يتناوله ، وذلك بتقديم معارف ومعلومات جديدة أو طريفة أو غريبة ، أو مسلية عن حدث من الأحداث الجارية ، وقد لا يزيد هدف التقرير عن مجرد تسلية القارئ وامتناعه بالمعلومات الغريبة ، وهذا يختلف عن التحقيق الصحفي الذي يستهدف اقناع القارئ بأهمية وخطورة القضية أو المشكلة أو الفكرة

(١) راجع في ذلك فن الكتابة الصحفية / مرجع سابق ص ١٣٥ - ١٤٢ .

التي يطررها التحقيق ، وذلك بهدف كسب الرأى العام لصالح ما يطرحة ..
وفيما يتعلق بالأسلوب ، فان التقرير الصحفى لا يصلح له إلا الأسلوب
البسيط الواضح ، والجمل القصيرة ، وجمع اكبر قدر من الحقائق
والمعلومات فى أقل قدر ممكن من الكلمات ، وهو فى ذلك لا يعنيه أن
يسجل كل الحقائق بالأرقام ، أو يدعمها بالبيانات والاحصاءات والرسوم ،
وذلك على العكس من التحقيق الذى يحتاج الى أسلوب بسيط ولكن عميق ،
ويعتمد على الدراسات والأبحاث ، ويستعين بالأرقام والاحصاءات والرسوم
الأيضاحية وغيرها ..

وأخيراً ، فان التقرير الصحفى غالباً مايكتفى بزاوية واحدة ، أو اثنتين
من زوايا الخبر أو الفكرة أو القضية التى يتناولها .. وقد تكون الزاوية
الانسانية ، أو السياسية ، أو الفكرية ، أو الاجتماعية ، أو الاقتصادية دون أن
يتطرق لباقي الجوانب التى هى مهمة التحقيق الصحفى .. ولكن مع ذلك
فان التقرير الصحفى يتفق مع التحقيق الصحفى ، فى أنه قد يشتمل على
بقية الفنون الصحفية الأخرى كالخبر والتعليق والحديث ، والصور والرسوم
ويكتفى بالاجابة عن سؤال لماذا ؟ ويكشف عن شخصية كاتبه ، وليس مطالباً
بالتعبير عن سياسة الجريدة وان كان مطالباً ألا يتناقض معها ويرسم صورة
واقعية للحياة ولايقوم على الخيال .

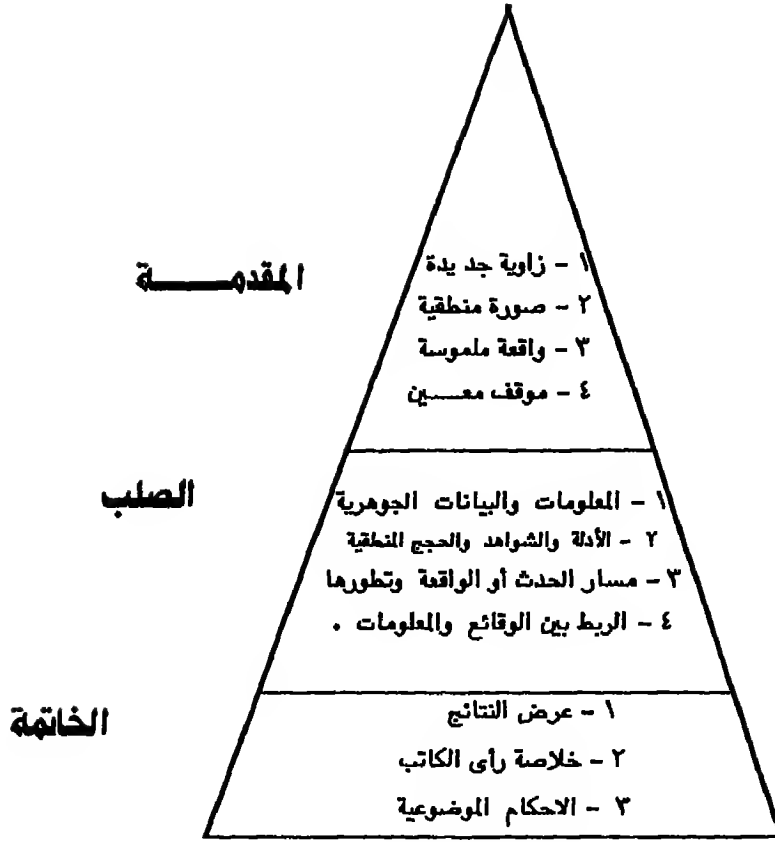
ثانياً : كتابة التقرير :

يكتب التقرير الصحفى بطريقة الهرم المعتدل ... ويحتوى على ثلاثة
أجزاء هى : مقدمة التقرير ... وجسم التقرير وخاتمة التقرير .
(١) : المقدمة ، عبارة عن مدخل أو مطلع يهدف لموضوع التقرير ، ويهـىء
لـهن القارئ للقراءة ... ويتناول زاوية معينة من زوايا الموضوع
المطروح يختارها الكاتب بعناية .. وهذا المدخل أو التمهيد لا يـضم
خلاصة الموضوع أو اهم حقائقه ، وانما يـضم واقعة ملموسة أو
موقفاً معيناً ، أو صورة منطقية ، أو زاوية جديدة لموضوع غير جديد .
وتحدد قيمة هذه المقدمة فى مقدرتها على جذب اهتمام القارئ
للموضوع الذى يعالجه التقرير الصحفى ، ودفع القارئ الى متابعة قراءة
بقيته حتى النهاية .

(٢) : جسم التقرير ، وهو الجزء الذى يضم المعلومات والبيانات الجوهرية فى موضوع التقرير كما يضم الأدلة والشواهد والحج المنطقية التى تدعم الموضوع الذى يتناوله التقرير ، ومن الضرورى أن يحرص كاتبه على الربط بين الوقائع التى يتضمنها التقرير ، وأن يكشف عن العلاقات بينها ، ويظهر ماوراءها أو مايكتنفها من غموض

(٣) : خاتمة التقرير ، وهى آخر جزء فى التقرير والتى يكشف فيها الكاتب عن نتائج أو خلاصة ماتوصل اليه ، أو يقدم أهم نتيجة أو حقيقة وصل اليها خلال بحثه فى موضوع التقرير ... ومن الضرورى أن يراعى الكاتب فى خاتمة التقرير أن تثير فى ذهن القارئ حواراً حول موضوع التقرير ، وتدفعه الى التفكير فى الموضوع ومتابعته فيما يعد ان كان الموضوع يستحق المتابعة ... وان تترك الخاتمة أيضاً صدى عن موضوع التقرير لدى القارئ ، وتدفعه - فى بعض الأحيان الى اتخاذ موقف ، أو تكوين رأى معين تجاه الموضوع ، أو المشكلة التى يثيرها التقرير .

والشكل التالى يوضح طريقة كتابة التقرير الصحفى المبني على قالب الهرم المعتدل .



شكل رقم (٤) يوضح البناء الفنى للتقرير الصحفى المبني على قالب الهرم المعتدل .

إن بناء التقرير الصحفى من مقدمة وجسم وخاتمة ، وقيام هذا البناء على تسلسل منطقى ، يجعل من أجزاء التقرير وحدة عضوية مترابطة ليس من السهل قطع أو حذف أى جزء منها دون أن يتأثر بذلك بناء التقرير نفسه وغالباً مايؤدى حذف أى جزء ولهم صغير منه إلى صعوبة فهم هدف التقرير ونتيجته ، واهتزاز فكرته الأساسية وتسلسله المنطقى ... وهذا بعكس الخبر الصحفى الذى يتكون من مقدمة وجسم فقط واحتواء هذا الجسم على الحقائق الأقل أهمية مما ورد فى المقدمة ، مما يتيح للصحيفة أن تحذف من جسم الخبر أية اجزاء دون أن يؤثر ذلك فى سياق الخبر ..

وهناك عدة أنواع من التقرير الصحفي تختلف باختلاف المجالات التي تطرقها ... وأهم هذه الأنواع ثلاثة هي : التقرير الأخبارى .. والتقرير الحى .. وتقرير عرض الشخصيات .. ونتناول كل نوع من هذه الأنواع الثلاثة فى فصل مستقل من الفصول التالية ، مع مراعاة التأكيد على انه لا يوجد فصل تام بين أنواع التقرير الصحفي الثلاثة ، حيث توجد تقارير قد تجمع بين صفات التقرير الاخبارى ، وفى نفس الوقت تحمل بعضا من صفات التقرير الحى ، فالصحافة مهنة لاتعرف الحدود الصارمة القاطعة بين الفنون الصحفية ، ولا القوالب الجامدة التى يصيب فيها كل فن ، والعبرة فقط فى التسمية هى تغلب صفات نوع معين منها على تلك الأنواع الأخرى ، فتطلق التسمية عليه على أساس تلك الصفات الغالبة .

* * * * *

الفصل السابع

التقرير الاخبارى^(١)

يهتم التقرير الاخبارى فى المقام الأول بعرض ، وشرح وتفسير بعض زوايا أو جوانب ، أو الأحداث ، أو الوقائع اليومية الجارية ... وهو لذلك يسمى فى بعض الأحيان بتقرير المعلومات أو التقرير الموضوعى . ويؤدى هذا النوع مهمة تقديم بيانات ومعلومات جديدة عن خبر أو حدث لا يستطيع الخبر الصحفى أن يوفيه حقه فى النشر وإبراز زوايا أو جوانب جديدة عن حدث معروف أو قديم ... وتقديم الخلفية التاريخية ، أو الخلفية الوثائقية للخبر أو الحدث الذى يتناوله التقرير بهدف توضيح الجوانب الغامضة أو غير المفهومة فى الحدث ... وكذلك تقديم تقييم موضوعى لهذه البيانات سواء كانت عن طريق الأحكام والاستنتاجات التى تدلى بها الشخصيات التى يستشهد بها كاتب التقرير أو تلك التى يتوصل إليها بنفسه .

ولابد أن يتصف التقرير الاخبارى بصفتين بارزتين : الصفة الأولى هى الالتزام بالأسلوب الموضوعى فى عرض المعلومات والبيانات والآراء ، وعدم التحيز لأى جانب أثناء سرد المعلومات أو تقييمها وتعميم نتائجها .. ولذلك يفضل أن يميز كاتب التقرير تميزا واضحا بين ماهو أخبار أو معلومات أو بيانات بحتة ، وبين ماهو رأى كاتب التقرير نفسه أو رأى أى من الشخصيات التى يستشهد بها ..

والصفة الثانية : أنه بنفس القدر الذى يجب أن يهتم فيه كاتب التقرير بتقديم المعلومات والبيانات الجديدة ، لابد أن يهتم أيضا بتقديم

(١) انظر فى ذلك المرجع السابق ص ١٥١ و ١٥٢ .

الخلفية التاريخية لموضوع التقرير ، خاصة تلك الخلفية ذات الطابع الوثائقي والتقرير الاخبارى هو الذى يلبي اليوم الاحتياجات الاعلامية للقارئ المعاصر ، وخاصة فيما يتعلق بالقضايا الحيوية فى المجتمع الحديث ... لذلك يندرج تحت هذا النوع العديد من التقارير مثل : التقرير السياسى ، والتقرير الاقتصادى ، والتقارير التى تعرض للحروب ، والأزمات ، والكوارث ، والزلازل ، وشئون التعليم ، والصحة ، والعلوم .. أى أن أكثر مجالات التقرير تنصرف الى تغطية (الأخبار الجادة Hard News) وهى الأخبار التى تحيط القراء علما بالأحوال والمواقف الهامة التى من شأنها التأثير فى حياتهم ومستقبلهم ان عاجلا أو آجلا .. والقليل من التقارير الاخبارية يتصرف الى تغطية (الأخبار الخفيفة Soft News) وهى الأخبار التى تثير انتباه القراء وتسليهم .. والتقرير الاخبارى شأنه شأن بقية أنواع التقارير الصحفية يكتب بقالب الهرم المعتدل الذى سبق ايضاحه ..

نموذج تقرير اخبارى :

وفيما يلى نقدم نموذجا تطبيقيا لتقرير اخبارى كتبه (محمد خلف مصطفى) تحت عنوان (اثيوبيا تسعى الى تغليب المياه)^(١) وهو يدور حول ماتشيعه اثيوبيا حول حقها فى الانفراد بمواردها من المياه . مما يعنى حرمان دولتى المصب مصر والسودان من نسبة كبيرة من المياه ويهددهما بجوع مائى لايدرى غوائله إلا الله ... وفيما يلى نص هذا التقرير الاخبارى .

إثيوبيا تسعى إلى تغليب المياه

دأب الجانب الاثيوبى خلال السنوات القليلة الماضية على اطلاق سيل من التصريحات المتتالية حول حق اثيوبيا فى الانفراد بمواردها الطبيعية ، وأهمها المياه ، وهو أمر يستحيل تنفيذه عملياً حتى مع التسليم بقدرتها على تنفيذ جميع مشروعات السدود والخزانات المزمع إقامتها على النيل داخل حدودها ، ومن ثم تقليل الموارد المائية خلال موسم الفيضان المرتفع بمقدار ٦ مليارات متر مكعب ، إلا أن يتم تحويل مجرى النهر فى اتجاه البحر الأحمر ، كما يشاع حالياً ، مما يعنى حرمان دول حوض النيل ، وخاصة دولتى المصب ، أى مصر والسودان ، من نسبة ٨٥ ٪ من اجمالى المياه الواردة عبر المجرى ٥٠٠٠ . وحينئذ يصبح الأمر جد خطير بل ومصريا .

(١) جريدة (الأسبوع) القاهرة العدد (١٢) بتاريخ ٥ مايو ١٩٩٧ ص ٦ .

قصة مكررة

وما أثاره وفد اثيوبيا خلال المؤتمر الدولى للمياه بمراكش مؤخرا حول زيادة حصة مصر من مياه النيل على حاجتها ، مدلا على ذلك بمشروعى مد المياه الى سيناء عبر ترعة السلام ، ودلتا جنوب الوادى الجديد عبر مفيض توشكى ، ومن ثم ضرورة تقليص حصص المياه لدولتى المصب ، باعتبار مشروعات التنمية المائية والزراعية المخططة لاثيوبيا من قبل دول محددة ، ليست بالحدث الجديد ، فقد اتصلت من التزاماتها الدولية خلال السبعينيات متعللة بعدم توقيع حكومتها على أية اتفاقية للمياه مع مصر ، ومتناسية حق دول المصب فى مجرى دولى طبقا للمواثيق الدولية ، وما استقر على ضفافة من حضارات كبرى منذ الألف السنين .

وقد تصدت القيادة المصرية لهذا الادعاء الاثيوبى وقتذاك بصرامة وصلت الى حد التهديد بالمواجهة العسكرية لتحول دون المساس بنبع الحياة الأوحى والشرىان للشعب المصرى بجميع قطاعاته مدركة تماما انها مجرد " نواطع " جليدية تحرك خيوطها اياى تبغى احكام الخناق حول مصر ، لتتسنى لها الهيمنة على دول الحوض الفقيرة ، او كما يشاع حاليا لارغام مصر على مد المياه الى اسرائيل فى اطار اتفاقية مشتركة بين هذه الدول . واجتمع الرأى على عجز اثيوبيا تماما عن اقامة تلك المشروعات لعدة اسباب من اهمها افتقارها للموارد المالية المطلوبة لتنفيذها ، وأحجام الجهات المانحة عن امدادها بالقروض اللازمة لغياب مشروعات التنمية المأمونة التى تضمن حق الجهات المانحة فى سداد تلك القروض ، وافتقارها الى مساحات التوسع الزراعى المستفيدة من تلك المشروعات ، الا من يقع متاثرة أعلى الهضاب ، واعتماد الزراعة فى معظمها على مياه الامطار الغزيرة التى يتسرب ٨٠ ٪ منها الى باطن الارض .

وخلال تولى الراحل الدكتور عبد الهادى راضى مسئولية وزارة الرى ، أمكن تشكيل لجان مشتركة غير معلنة لحساسية الجانب الاخر من الاعلام ، أمكنها الاتفاق على مشروعات ثنائية ومتعددة الاطراف لتنمية موارد النهر لصالح البلدين .

ولكن فى مؤتمر مراكش يختلف الامر ، فقد هدمت اثيوبيا اخر ركيزة كنا نعتد عليها ، وكشفت عن استعداد بعض الدول لتمويلها ، وان لم تحدها بالاسم ، لكنها معلومة ، فهما الدولتان اللتان تفجران بؤر النزاع فى المنطقة لتتقاسما خبراتها ، وتتوغلا فيها بهدف السيطرة - فى ظل النزاع الاقليمى بين دول القارة السوداء - على المياه وعلى مخزون الموارد العديدة التى تخر

بها ، وتطبيق المبدأ الذى يناهض به خلال السنوات الاخيرة باعادة تقسيم الموارد بين دول المنطقة دون حدود فاصلة ، وايضا حق كل دولة لديها فائض مائى فى اقامة مايسمى بينوك المياه . فتعرضها كايه سلعة للبيع لأيه دولة . وبإية وسيلة ممكنه وهو ما يؤكد مايشاع حاليا من رغبة اثيوبيا فى تحويل مجرى النهر فى اتجاه البحر الاحمر لنقلها بواسطة ناقلات ضخمة الى الدول المشترية وما اكثرها فى المنطقة بداية من عدن وحتى الكويت بالإضافة الى اسرائيل .

البسداية

وجميع تحركات اثيوبيا واستفزاعاتها تعتمد على تقرير وضعه المكتب الامريكى لاستصلاح الاراضى عام ١٩٦٤ حول الموارد الارضية والمائية بحوض النيل الأزرق . يقترح اقامه ٢٢ سدا وخزاناً ، بهدف رئيسى هو توليد ٢٨٥ مليار كيلو وات / ساعة من الكهرباء : إذ يصل إجمالى سعة تخزينها الى ٤٢٨١١٨ مليار متر مكعب ، ثم رى ١٠٤١ مليون فدان أعلى الهضاب المحيطة فقط بعد مدنها باحتياجاتها المائية التى تقدر بحوالى ٦ مليارات متر مكعب سنوياً . لعدم وجود اراضى بحوض النيل الأزرق يمكن زراعتها .

وقد اقترح التقرير بناء أربعة سدود كبيرة فى الجزء الاخير من المجرى ، اكبرها سد كارادوى . ثم مايل ومنديا والحدود الاثيوبية - السودانية باجمالى سعة تخزينية ٥٠ مليار متر مكعب . بما يعادل جملة تصريف النيل الأزرق ، واجمالى طاقة كهربائية مولدة ٢٥ مليار كيلو وات / ساعة . لم يبن حتى الان سوى سد فنشاً عام ١٩٧٢ بعد موافقة البنك الدولى على تمويله عام ١٩٦٩ . لحجز ٤٠٠ مليون متر مكعب من المياه .

ويلاحظ انه فى حالة استكمال جميع المشروعات المقترحة يصبح بوسع اثيوبيا اقتطاع حوالى ٦ مليار متر مكعب من مياه النيل الأزرق ١٠٥ مليارات م^٣ من السوايط ونصف مليار م^٣ من نهر عطبرة . وعلى الرغم من افتراض البعض انه عند التنسيق مع دول نهاية الحوض تصبح تلك المشروعات مفيدة للجميع ، الا أن تلك الافتراضات نظرية ، ولانستبعد وجود نية مبيتة للعبث بمجرى النيل او تحويله ، وهو ما يهدد دول المصب بجوع مائى لا يدرى غواظه الا الله .

تحليل التقرير

وواضح أن هذا التقرير الاخبارى قد اهتم بحدث من الأحداث الجارية ، يتعلق بقضية اقتصادية حيوية ومصيرية بالنسبة لدولتى مصب نهر النيل (مصر والسودان) وشعبيهما فى آن واحد ، حيث عرض المحرر فى مقدمة التقرير خلاصة وافيه للحدث الذى يتناوله التقرير .. ويعد ذلك تدخل المحرر الى صلب التقرير فقام بشرح وتفسير بعض زوايا ذلك الحدث ، وقدم معلومات وبيانات جديدة لحدث لا يستطيع الخبر الصحفى أن يوفيه حقه فى النشر ، كما أبرز جوانب وزوايا جديدة لهذا الحدث المعروف

الفصل الثامن

التقرير الحى (١)

يركز (التقرير الحى) على التصوير الحى للوقائع والأحداث ، حيث يهتم برسم صورة الوقائع أو الأحداث أكثر مما يهتم بشرحها أو تحليلها أو تفسيرها ... ويشترك (التقرير الحى) مع (التقرير الاخبارى) فى أنهما يتناولان الوقائع والأحداث الجارية ... ولكن فى حين يركز التقرير الاخبارى على سرد البيانات والمعلومات حول الواقعة وتحليلها وتقييمها ، نجد أن التقرير الحى يركز على وصف الحدث نفسه أو الواقعة ذاتها ...

وظائف التقرير الحى :

ويقوم التقرير الحى بأداء الوظائف التالية :

(١) وصف الحدث ، والظروف المحيطة به ، والمناخ الذى تم فيه ، والناس الذين ارتبطوا به .

(٢) عرض وتصوير وتسجيل التجارب الذاتية ، سواء تجارب المحرر كاتب التقرير نفسه مع الحدث ، أو تجارب الأشخاص الذين يمسهم الحدث أو الذين لهم علاقة به .. وهو كثيرا ما يدع الناس يتكلمون بأنفسهم ويرسمون بتعبيراتهم الخاصة صورة الحدث كما وقع أو كما تصوره وهو يقع .

(٣) التعبير عن الأفكار والمشاعر الشخصية لكاتب التقرير، أو الأشخاص الذين يدور حولهم الحدث ويعكس رؤيتهم الخاصة له

(٤) أن يجعل القارئ يعيش فى الحدث نفسه ، وكأنه شارك فى رؤيته . ويستعين (التقرير الحى) فى كثير من الأحوال ، بالعديد من الأدوات والأشكال التى يستعين بها التحقيق الصحفى ، ولكن الفرق بينهما أن (التقرير الحى) يكتفى بالتركيز على زاوية واحدة فقط من زوايا الموضوع

(١) راجع فى ذلك فن الكتابة الصحفية / مرجع سابق من ١٥٩ و ١٦٠

أو القضية أو الحدث ، فى حين يهتم التحقيق الصحفى بموضوع القضية ككل أو بالعناصر الجوهرية فى القضية لا بعنصر واحد منها فقط كما فى التقرير ، ثم ان التقرير الحى يقوم على التركيز الشديد ، فى حين يفسح المجال أمام التحقيق الصحفى للاسهاب فى عرض القضية أو المشكلة بجميع جوانبها .

وينصرف الجانب الأكبر من التقارير الحية الى تغطية (الأخبار الخفيفة .. soft News) مع وجود جانب آخر يغطى (الأخبار الجادة Hard News) والتقرير الحى يكتب أيضا بطريقة قالب الهرم المعتدل ...

نموذج للتقرير الحى :

وفيما يلى نموذج للتقرير الحى نشرته جريدة (أخبار اليوم) تحت عنوان (عاصفة ترابية لم تشهدها مصر من قبل) بتاريخ ٣ / ٥ / ١٩٩٧

عاصفة ترابية لم تشهدها مصر من قبل

كانت الساعة قد جاوزت الثالثة بعد الظهر والقاهرة تعيش " يوم جمعة عادى " عندما احمرت السماء فجأة رياح مفاجئة محملة بالرمال الصفراء غطت شوارع وبيوت القاهرة . عاصفة ترابية عنيفة لم تشهدها مصر من قبل . رياح مجنونة وصلت سرعتها - كما صرح شريف حماد نائب رئيس هيئة الأرصاد الجوية - الى ١١٠ كيلومترات فى الساعة أخذت تبعث فى قسوة بالاشجار ونوافذ البيوت وتحطم الزجاج هنا وهناك وزاد عنف العاصفة الترابية التى وصفها نائب رئيس هيئة الأرصاد بانها موجة خماسينية شديدة نتيجة تكون منخفض جوى حرارى فى الصحراء الغربية أدى الى تآثر البلاد برياح جنوبية غربية نشطة وانعدم مجال الرؤية فى الشوارع الى امتار قليلة حتى توقفت حركة المرور فى الشوارع الرئيسية خوفا من وقوع حوادث تصادم . وخلال دقائق وبسبب انعدام الرؤية صدر " اعلان طيارين " لجميع الطائرات القادمة الى مطار القاهرة .. باغلاق المجال الجوى للمطار امام حركة الملاحة الجوية بعد ان انعدم مستوى الرؤية تماما فوق المطار وصرح اللواء رؤوف المناوى مساعد وزير الداخلية للعلاقات العامة أن اللواء حسن الالفى وزير الداخلية طلب فور هبوب العاصفة عمل غرفة عمليات طوارئ بالمركز الاعلامى للاتصال بكل المحافظات لتلقى بلاغات الخسائر من العاصفة كما أصدر توجيهاته لادارات " النجدة والدفاع المدنى والاطفاء بالانتشار فى الحال فور تلقى أية بلاغات وصرح اللواء المناوى أن وزارة الداخلية لم تتلق أى بلاغات خطيرة عن حدوث خسائر فى الساعة الاولى للعاصفة وانه تم اغلاق الطرق الصحراوية مؤقتا لتفادى وقوع اية حوادث بسبب انعدام الرؤية .. ولكد عبد المنعم عبد الرحمن رئيس الهيئة العامة للأرصاد الجوية أن هذه الظاهرة لم تحدث فى القاهرة منذ ٣٠ سنة وإن كانت متوقعة فى مثل هذه الأيام حيث فصل الربيع الملىء بالتقلبات الجوية .. لكنه قال إنه حدثت مقدمات يوم الخميس الماضى حيث ارتفعت درجة الحرارة فى القاهرة الى ٣٧ درجة ، وقال إن الاحوال

الجوية سوف تتحسن اليوم ومتوقع أن يحدث انخفاض فى درجة الحرارة من ١٠ الى ١٥ درجة مع تكاثر السحب المنخفضة وسقوط الأمطار .

وخلال العاصفة اختفت شوارع القاهرة أو كانت من المارة الذين هرعوا الى بيوتهم .

القيامة قامت

اطاحت الرياح بشار الاناناس من على عربة يائع الفاكهة المتجول على محفوظ وأسرع يجرها فى نهول . وقال عليه العوض ومنه العوض .. ده غضب رينا على الناس بأين القيامة هاتقوم .

بينما اخذ سيد جلال يعدو الى بيته تاركا الورشة التى يعمل بها بجوار مصلحة السجون فى الفلكى . وهو يصرخ لا اله الا الله القيامة قامت ياناس !

وفى شارع الجلاء اخذ السائح الفرنسى " جونيه " يعدو بالملابس الرياضية فى اتجاه فندقه بعد أن هاجمته العاصفة فى يومه الثالث والاخير بالقاهرة . وقال لم أشهد فى حياتى شيئا مثل ذلك .. وعندما " اصفرت " السماء اعتقد انفجار قبله نوبه .. شىء عجيب بالفعل .. لكنى مذهول من بساطة وجراة الناس فى التعامل مع الذى حدث !

ووقف العجوز شيبوب سعد حائرا لايعرف كيف يعبر الطريق وقد انعدمت الرؤية أمام عيتيه يالطيف يارب .. انا ماشفتش كده الا من حوالى ٤٠ سنة !

اغلاق المطار

وأخذت الطائرات القادمة الى القاهرة تحلق فى المجال الجوى حائرة لدقائق بعد أن انعدمت الرؤية واصبح الهبوط فى المطار مسألة محفوفة بالمخاطر ، لكن سرعان ما صدر " اعلان طيارين " لجميع الطائرات واعلن برج المراقبة الرئيسى بالمطار حالة الطوارئ لتفادى حدوث أية مخاطر قد تتجم عن سوء الرؤية ، وتم تحويل مسارات عدد كبير من الطائرات القادمة من نيويورك ويودابست وكراشى ولارناكا الى مطارات الغردقة والاسكندرية واسوان على التوالى ، كما تم تحويل مسار الرحلة ٦٦٨ المصرية القادمة من جدة والرحلة ٢٢٤ المصرية القادمة من أسوان الى مطار الغردقة لكن الرياح اطاحت بعدد من اللافتات الاعلانية امام المطار ، وأصيب عدد من العاملين والمتريدين على المطار ، من بينهم سائق سيارة اجرة وأصيب بجرح قطعى فى صدره ونقل الى عيادة الحجر الصحى لاسعافه .

وكانت الاشجار اولى ضحايا العاصفة التى اقتلعت عددا منها فى عنف فقد تلقى قسم شرطه الدقى ٤ بلاغات سقوط اشجار على سيارات ملاكى واجره بشارع عبد الرحيم صبرى كما سقطت شجرة عملاقة فوق ٦ سيارات فهشمتها وسقطت بعض الاشجار امام مسرح نجم بالدقى .

وفى منيل شичه لقي المواطن رجب احمد أبو هنيدى ٦٠ سنة مزارع مصرعة عندما سقطت شجرة على رأسه بالقرب من منطقة طموه بعنيل شичة ولفظ انفاسه فى الحال ، ولقيت الطفلة اميرة احمد جمال سالم مصرعها نتيجة سقوط سور منزل عليها فى منشية أبو العباس بالعياط .

وامام فندق الواحة سقطت شجرة ضخمة اعاققت المرور على طريق القاهرة الاسكندرية الصحراوى فانتقلت قوة من ادارة المرور بقيادة العقيد مصطفى عبد الفتاح وتم ازالة الشجرة وتحقيق سيولة المرور ، بعد ان صدر قرار باغلاق الطريق تفاديا لأخطار العاصفة وانعدام الرؤية .

وفى حديقة الحيوانات سقطت عدة اشجار داخل الحديقة وتناثرت على السور الخارجى وتم رفع الاشجار دون حدوث خسائر بين رواد الحديقة الذين غادروها فور وقوع العاصفة .

وفى شارع حشمت اطاحت الرياح بجزء من سقف شقة لكن لم يصب احد من السكان لكن فى المرج اطاحت العاصفة بالمواطن صلاح سعد فراج (٤٢ سنة - جزاى) من الدور الثالث ونقل الى مستشفى المطرية مصابا بكسور .

وعندما حاول جمال عطيه يحيى (٣٥ سنة) الاختباء بجوار كشك كهرباء هربا من العاصفة انفجر كابل كهرباء واصيب بحروق فى انحاء جسده بنسبة ٨٠ ٪ .
وايضا عندما حاول عبد الناصر حامد محمود (٢٢ سنة سائق) بعين شمس الغربية الاختباء خلف سور احد المنازل انهيار السور فوق راسه فاصيب ونقل الى مستشفى المطرية . كما استقبل المستشفى ايضا يحيى محمد طه (٣٢ سنة) بعد أن سقط برميلان فوق راسه وتلقت شرطة النجدة بلاغا بسقوط لوحات اعلانية على امتداد كيلومتر بشارع صلاح سالم عند منحنى باب الوزير حتى الدراسة ادت الى توقف حركة المرور تماما بالشارع حتى تم رفع اللوحات بعد ساعة وعادت حركة المرور الى طبيعتها وفى ميدان الأوبرا بالعتبة سقط عدد من الأشجار على أعمدة الانارة فتوقفت الحركة تماما بالميدان وقام رجال الانتقاذ المركزى برفع الاشجار من الميدان .

الكهرباء لم تتأثر

على أن اهم مالم يحدث * هو ان العاصفة لم تؤثر على التليفونات أو شبكة الكهرباء واكد المهندس ماهر اباطة وزير الكهرباء والطاقة أن كافة الأبراج وشبكات النقل والتوزيع للطاقة الكهربائية على الجهود المتوسطة والفائقة تعمل بكامل كفاءتها وطاقاتها وان العاصفة الترابية لم تؤثر على تشغيل الشبكة .

وقال الوزير أن جميع معدات ومهمات الشبكة الناقلة لكهرباء محطة السد العالى ومحطتى اسوان المائيتين ، وكذلك الشبكة الممتدة بالصحراء الغربية من الاسكندرية حتى السلوم تعمل كالمعتاد وان الشبكة على مستوى الجمهورية مصممة لمواجهة الزلازل والعواصف الترابية وان غرفة عمليات الوزارة لم تتلق اية بلاغات حول اية اعطال تعرضت لها الشبكة .
وواصلت الاشجار تساقطها امام هذه العاصفة ، فسقطت شجرة فوق بيت مواجه لكوبرى الازهر كما سقطت شجرة ضخمة فى طريق المحكمة بمصر الجديدة ، كما سقطت شجرة منعت المرور عند تقاطع كورنيش النيل وجزيرة بدران ، وسقط عمود انارة فى شارع النصر بالقرب من نادى الزهور .

وسقطت اشجار اخرى فى شارع رمسيس وامام مبنى وزارة الخارجية القديم وفى شارع الاستاذ البحرى وفى شارع طومان باى .
واعلنت الطوارئ فى ادارة مرور القاهرة التى حاولت السيطرة على المرور بقيادة اللواء حسن الناظر واللواء مجدى عبد الملك والرائد هشام فاروق بغرفة عمليات المرور .
ولم تكن الاشجار وحدها من ضحايا العاصفة بل الدجاج ايضا ، فقد تلقى قسم شرطة امبابه بلاغا بان الرياح اطاحت بعشة فراخ من فوق بيت بمنطقة المنيرة الغربية فاصيبت الدواجن باصابات بالغة ، كما سقطت نخله فوق عوامه بمنطقة الكيت كات ادت الى حدوث تلفيات بها .

أين العاصفة ؟

على أن احداث العاصفة المثيرة لم تستمر اكثر من ساعة ثم بدأت الاحوال الجوية فى التحسن الطفيف وان بقيت الاتربة عالقة فى الهواء .

وكما يقولون فان لكل شيء وجهين ، فان العاصفة التي ذكرت الناس بيوم القيامة كان لها ذكرى طيبة عند البعض ، ومنهم الام سحر احمد التي كانت قد دخلت غرفة العمليات بمستشفى الجلاء لتنجب مولودها الاول وهبت العاصفة وهي تلد فاخذت تصرخ وارتيك الاطباء

* وتساءل الاطباء ، ماذا حدث للدنيا ؟

* ردت عليهم بعفوية : اصلى تعبانة ا وفي قلب العاصفة وضعت مولودها الذي لم تكن قد اختارت له اسما حتى انتهاء العاصفة .

* وقالت ضاحكة : يمكن اسميه عفره ! .

تحليل النموذج :

بدأ المحرر هذا التقرير بمقدمة رسم فيها صورة للحدث الذي دار حوله التقرير ، وهو تلك العاصفة الترابية العنيفة التي لم تشهدها مصر من قبل .. رياح مجنونه وصلت سرعتها الى ١١٠ كيلومترا في الساعة ، وأخذت تعبث في قسوة بالأشجار ونوافذ البيوت وتحطيم الزجاج هنا وهناك ... ثم انتقل المحرر الى (صلب التقرير الحى) فقام بوصف الحدث والظروف المحيطة به والمناخ الذي تم فيه ، والناس الذين ارتبطوا به ، وعرض تجاربهم ، وأفكارهم ، ومشاعرهم ، ورؤيتهم الخاصة له .. وجعل الناس يتكلمون بأنفسهم ويرسمون بتعبيراتهم الخاصة صورة الحدث كما وقع وكما تصوروا وقوعه : أطاحت الرياح بثمار الأناناس من على عربة بائع الفاكهة المتجول على محفوظ ، وأسرع يجربها فى ذهول وقال : عليه العوض ومنه العوض ... ده غضب ربنا على الناس .. باين القيامة هاتقوم كما وصف الكاتب بعض المشاهد التي رآها بنفسه بوصفه شاهد عيان عاش الحدث وكذلك التي تضمنتها البلاغات الى الجهات المختصة ، ومن أشخاص لهم صلة بالحدث .. ولم ينس الكاتب أن يقدم وصفا لحالة الجو بعد انتهاء العاصفة المثيرة التي لم تستمر أكثر من ساعة ، ثم بدأت الأحوال الجوية فى التحسن الطفيف وان بقيت الأتربة عالقة فى الهواء وكل ذلك جعل القارئ الذي لم يشهد كل جوانب الحدث ، وكأنه قد عاش الحدث بكل تفاصيله وكأنه شارك فى رؤيته بنفسه ..

وبصفة عامة يمكن القول ان هذا النموذج للتقرير الحى ، قد تحققت فيه كل مواصفات (التقرير الحى) الناجع .. حيث انطبق عليه تمام الانطباق المفهوم الدقيق للتقرير الحى .. وقد أدى الوظائف التي يقوم التقرير الحى بأدائها ، والتي عرضناها فيما سبق .. كما تم كتابته بطريقة قالب الهرم المعتدل الذي يتكون من مقدمة ... وصلب .. وخاتمة واعتمد فيها جميعا على التصوير الحى للوقائع والأحداث .

* * * * *

وبعد ذلك ننتقل الى الحديث عن النوع الثالث من أنواع التقرير الصحفى .. وهو (تقرير عرض الشخصيات) وذلك فى الفصل التالى :

* * * *

الفصل التاسع

(١) تقرير عرض الشخصيات

يهتم (تقرير عرض الشخصيات) بالتعرض لشخصية من الشخصيات المرتبطة بالأحداث ، أو التي تقوم بدور بارز في المجتمع المحلي ، أو المجتمع الدولي وقد تكون تلك الشخصيات طبيعية ... وقد تكون اعتبارية أو معنوية مثل الهيئات والمنظمات وغيرها ، فمثل هذه الشخصيات قد لا يكتفى الصحفي بكتابة تقرير إخباري عن تلك الأحداث المرتبطة بها ، ودلالاتها ، ونتائجها ... الخ وإنما يتجه الصحفي لكتابته تقرير صحفي يعرض ويحلل تلك الشخصية المرتبطة بالحدث ، وتاريخها السياسي ، وملامح شخصيتها وفكرها السياسي والاجتماعي ومدى طموحاتها للمستقبل ... الخ .

وقد يبدو للناظر من الوهلة الأولى وجود تشابه وتطابق بين الحديث الصحفي وبين تقرير عرض الشخصيات ... ولكن في الحقيقة توجد فوارق جوهرية بين النوعين .. فالحديث الصحفي يقوم على لقاء يتم بين الصحفي وبين شخصية عامة في المجتمع المحلي أو العالمي ... وهو لقاء قد يستهدف الحصول على أخبار ومعلومات وحقائق جديدة أو شرح وجهات نظر معينة ، أو تصوير جوانب طريفة ، أو مسلية في حياة هذه الشخصية .. الخ . أما التقرير الصحفي الذي يعرض الأشخاص ، فهو لايهتم بالدرجة الأولى في إجراء لقاء مع الشخصية كما هو الشأن في الحديث الصحفي وإنما يهتم بالدرجة الأولى بالرسم المتقن لملامح هذه الشخصية والتعبير الصادق عن فكرها ، ومدى طموحاتها المستقبلية .. الخ .

(١) راجع في ذلك المرجع السابق ص ١٦٧ - ١٦٩) ويقصد بذلك الشخص الطبيعي (Natural Person) وهو فرد إنسان طبيعي ... والشخص الاعتباري أو المعنوي Artificial Person وهو عبارة عن مجموعة من الأفراد أعطاهم القانون حقوق الشخص الطبيعي ومنها المنظمات والهيئات والشركات .

وقد يجرى كاتب تقرير عرض الشخصيات لقاء مع الشخصية موضوع التقرير ، ولكن اللقاء يجرى فى المرتبة الثانية أو الثالثة فى الأهمية .. لأن الصحفى فى هذه المقابلة يركز على أخذ فكرة عن ملامح هذه الشخصية ، وطريقة تفكيرها ، وأسلوب حياتها وغير ذلك ، وإن كان هذا لا يمنع الصحفى من الاستفادة بأقوال أو تصريحات هذه الشخصية ، إذا كان مضمونها يخدم موضوع التقرير .

وظائف تقرير عرض الشخصيات :

ويقوم تقرير عرض الشخصيات بأداء الوظائف التالية :

١ - الرسم المتقن للشخصيات المشتركة فى الأحداث اليومية الجارية سواء منها المحلية أو الدولية ، والتعبير الصادق عن أفكارها ، وأسلوب حياتها .

٢ - تصوير عملية الصراع التى يخوضها الانسان من أجل الشهرة أو المجد أو المال ... الخ .

ويكتب هذا النوع بطريقة الهرم المعتدل مثل التقرير الاخبارى ، والتقرير الحى ..

نموذج لتقرير عرض الشخصيات الطبيعية :

ونقدم فيما يلى نموذجاً لتقرير عرض الشخصية الطبيعية وهو يدور حول " مسيرة هيكى فى بلاط صاحبة الجلالة " نشرته جريدة (الأسبوع) بمناسبة ذكرى ميلاد الكاتب الصحفى محمد حسين هيكى بعنوان (بدأ طموحاً ثم صنع من الأهرام نموذجاً)^(١) وفيما يلى نص هذا التقرير بقلم محمد عبد الله الذى عرض فيه ملامح شخصية (هيكى) وطموحاته كما أهتم بالرسم المتقن لتفكيره الصحفى وأسلوب حياته الصحفية ...

عندما تتداخل الكلمات وترخص المعانى وتصبح الحقيقة مسخاً باهتاً وتفقد الألفاظ مصداقيتها ويضيع الهامش الرفيع بين الصدق والزيف يكون الصمت هو ابلغ الرسائل وعندما يصمت " الأستاذ " يجب على الجميع أن يعلم أن هناك شيئاً ما فى الأفق .. فصمته غير كل صمت وسكوته عن الكلام هو بمثابة " نقطة نظام " تعيد التاريخ إلى صحيح حركته . هيكى .. نجم من طراز مخطف .. فإذا كانت النجوم نبهت بمرور السنين فإن نجمه يزداد لمعاناً ويريقا مع تقدمه

(١) جريدة الأسبوع العدد (٢٢) بتاريخ ٢٢ سبتمبر ١٩٩٧ ص ١٢ وقد نشر هذا التقرير ضمن (ملف خاص) بمناسبة ذكرى ميلاد محمد حسين هيكى الذى يوافق ٢٣ سبتمبر ١٩٩٧ .

فى العمر. أما محاولة الاقتراب من تاريخه فتبدو أمرا أشبه بمحاولة احتضان الأهرامات أو الاعتقاد بإمكانية اغتراف مياه النيل فى رشفة واحدة .. ومع كل هذا سنحاول .

البداية

كان قلم هيكل - ولا يزال - دائما وزيره المفوض ورسوله الذى لا يخطئ هدفه .. يسلب الناس تركيزهم اذا تحدث .. ملامحه مشحونة بالانفعال متقدة بكم هائل من الاطلاع وشغف المعرفة حديثة سريع ناعم .. مستمر ومتدفق .. ولأن هذا التدفق هو سمة اساسية لحياة "هيكل" فقد جاء دخوله بلاط صاحبة الجلالة وهو فى سن الثامنة عشرة فى توقيت تحيطه أحداث متلاطمة ومتدفقة كإفكاره التى اعتاد أن يزلزل بها سكون عجالات التاريخ . بدأ هيكل حياته الصحفية محررا بجريدة "الاجيبيشيان جازيت" التى كانت مملوكة لعائلة "فيني" وتعلم وتأثر باثنين من أكبر محرريها وهما "سكوت واطسون" و"هارولد ايرل" وعمل لمدة سنة كمساعد محرر بقسم الحوادث ثم انتقل ليعمل مراسلا حريا بعد أن اقترح عليه "هارولد ايرل" أن يذهب الى العلمين لتغطية أخبار الحرب . ويقبل هيكل هذه المخاطرة .. يشجعه على قبولها إعجابه بواطسون وتجربته فى الحرب الاسبانية وبعد فترة يتلأأ فى مكتب هارولد ايرل نجما من نجوم الصحافة المصرية هما محمد حسنين هيكل وأستاذ الرواد محمد التابعى ويقتررب التابعى من هيكل ويسأله عن مستقبله وكيف يراه .. ورغم أن هيكل يتصور أن مستقبله فى الصحافة الأجنبية وفى الجازيت .. إلا أن التابعى بعين الصقر والتى لا تخطئ هدفها يرى أن مستقبل هذا الصحفى الشاب فى مجلة "آخر ساعة" التى كانت وقديما التوجه .

لذلك كانت معظم مصائر هيكل من الوفدين .. وبعد خروج الوفد من الحكم بإقالة ٨ أكتوبر ١٩٤٤ تحولت "آخر ساعة" الى مجلة معارضة لائتلاف أحزاب الأقلية الذى شكله أحمد ماهر ، وتنضى الشهور وتلمع فى الأفق مدرسة جديدة للصحافة هى مدرسة "أخبار اليوم" التى أثرت على توزيع جميع المطبوعات .. ويبيع التابعى "آخر ساعة" لآل أمين "بعد أن تعثرت بسبب مشروع التطوير ، ووقع الاختيار على هيكل ليصبح سكرتير تحرير "آخر ساعة" بعدها سافر لحافظة الشرقية لتغطية ويا الكوليرا الذى انتشر هناك ويفوز بجائزة الملك فاروق للصحافة العربية وكانت جائزة لها قدرها فى ذلك الوقت خاصة بين الصحفيين الشبان وفاز بها ثلاث مرات بعد رحلاته الخارجية وفى ١٩٥٢ عين رئيسا لتحرير "آخر ساعة" ويعود هيكل للمخاطرة عام ١٩٥١ ليفطى أخبار المقاومة ضد الاحتلال فى القناة .

المشاركة

لم يكن هيكل بعيدا عن دوائر صنع القرار طوال مشواره الصحفى إلا أن أول موقف شارك فيه فى صنع حدث ملموس كان مع نجيب الهلالي باشا بعد تكليفه بتشكيل الوزارة عام ١٩٥٢ وكان هيكل قريبا منه . وعندما استشاره الهلالي باشا فى اختيار وزير الحربية اختار هيكل محمد نجيب إلا أن نجيب لم يلق قبول الملك فاروق وشهدت الأشهر الستة التى سبقت ٢٣ يوليو

فترة قلق سياسى شديد انعكس فى تغيير خمس وزارات ولم تكن هذه هى المرة الأخيرة التى يشارك فيها هيكل فى اتخاذ قرار أو اختيار فلقد لقي تحليله لامكانية وقوف الانجليز بجانب الملك فى حالة قيام الجيش بحركة تطهير - صدق واسعا فى عقل " البكباشى " جمال عبد الناصر وكانت كلماته بمثابة صك الضمان الذى كان يبحث عنه عقل الثورة . ومنذ اللحظات الأولى للثورة كان هيكل بجانب رجالها لحظة بلحظة يشارك فى صنع قراراتها وتكون له بصماته الواضحة فى تغيير وجه التاريخ فى المنطقة كلها .

الاهرام

وتستمر مسيرة هيكل الصحفية ونجاحاته تفرى الكثيرين بمحاولة استقطابه لها .. ففى ١٩٥١ يعرض عليه على الشمسى باشا رئيس البنك الأهلى ورئيس مجلس ادارة الأهرام أن يكون مساعدا لرئيس تحرير الأهرام إلا أنه يعتذر . ثم يكرر اعتذاره عن رئاسة تحرير نفس الجريدة فى عام ١٩٥٥ وفى العام التالى يرى على الشمس أن دار الأهرام شاخنة وتحتاج لشاب مثل هيكل يطورها وينقذها من خسائرها وكان هيكل يرتبط وجدانيا بالأخبار التى كان رئيسا لتحريرها منذ ابريل ١٩٥٦ بعد أن دخلها أول مرة فى عام ١٩٤٦ ويعتذر هيكل للمرة الثالثة بعد عاصفة من المشاورات بينه وبين على أمين وفى ٦ من ابريل ١٩٥٧ ويعد جلسة طويلة مع على الشمس عرض هيكل هذه المرة أن يكون رئيسا لتحرير الأهرام وانتهى مساء هذا اليوم بتوقيع عقد رئاسته لها ولتغيير بعدها صورة الاهرام ومعها صورة الصحافة العربية وتبدأ رئاسة هيكل لتحرير الاهرام فى أول اغسطس ١٩٥٧ ليحل إسمه محل احمد الصاوى محمد وعزيز ميرزا ، وتعضى السنوات والنجاحات فى الأهرام . تتوالى ويتم تعيينه رئيسا لمجلس ادارة الاهرام فى ٨ من اغسطس ١٩٦١ ثم رئيسا لمجلس ادارة مؤسسة الصحافة العربية التى كانت تضم الاهرام وأخبار اليوم فى ١٧ من اكتوبر ١٩٦٥ .

مواقف

لم يكن هيكل صحفيا او سياسيا فذا فقط ولكنه كان دائما مع قضية الديمقراطية واستقلال الصحافة والصحفيين وتسبب ذلك فى تأثر علاقته برجل كان بمثابة الشمعة التى التفت حولها الجماهير تستلهم منها بشائر القد .. إنه جمال عبد الناصر .. ومع ذلك كان رجلا صلبا يقف مع رفاق الدرب يسانداهم ويشد من أزهم حتى يتجاوزوا المحن .. ويعد أن تمت إعادة تشكيل مجالس ادارات المؤسسات الصحفية عام ١٩٦٠ وقف بجانب على ومصطفى أمين بكل قوة حتى أن ذلك اثار عليه صديقه جمال عبد الناصر وفى عام ١٩٦٥ ثبت الأيام ان هيكل هو الصحفى الذى أرسى قواعد الأصالة والانسانية ففى لفظة انسانية يستجيب ويلا تردد لنقل على أمين الى مؤسسة " الاهرام " بعد أن ضاق ذرعا بما كان يحدث فى " اخبار اليوم " ويعمل على أمين مراسلا لـ " الاهرام " فى أوربا ومركزه لندن وفى نفس العام تظهر أزمة جديدة لآل أمين فيتم اتهام مصطفى أمين بالتجسس لصالح

الولايات المتحدة ويبدأ الكشف عن قصته المشهورة مع بروس تايلور أوديل مستشار السفارة الأمريكية . ويثبت هيكل انه رجل المواقف الصعبة فيرفض طلبا باستدراج على أمين من لندن لتتم محاكمته مع شقيقة مصطفى .

ومثلما كان موقفه مع الرجال كان موقفه مع المهنة ذاتها فمئذ دخوله " الاهرام " أحدث داخلها ثورة صحفية وعلمية، فمن مبنى صغير الى مبنى ضخم يضم عددا من المطابع وأنشأ مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ومركز الحاسب الألى ومركز التنظيم والميكرو فيلم وتحتل " الاهرام " فى عام ١٩٧٠ المرتبة التاسعة على مستوى الصحف العربية والعالمية ، وتحتفظ مكتبة الكونجرس باعداد ميكرو فيلمية لـ " الاهرام " بفضل شخصية هيكل وطموحه غير المحدود فى خلق صحافة متقدمة .

وكما ادخل التطوير على المباني كان هناك تطوير فى الجانب المهنى ، فقد استطاع استقطاب المذ الكتاب والصحفيين للعمل والكتابة لـ " الاهرام " التى اصبحت مثل البستان يحتوى زهورا اصبحت فيما بعد أعمدة الصحافة المصرية والعربية .

هيكل والوزارة

ومثلما كانت مواقفه صلبة كانت رؤيته للصحافة أصلب فقد عارض قرار تأميم الصحف وكان موقف خلاف مع جمال عبد الناصر وكان هيكل يطرح بديل الملكية التعاونية كبديل للملكية الفردية التى كان يرفضها عبد الناصر وفى مارس ١٩٧٠ رأى عبد الناصر أن يكون هيكل وزيرا للأرشاد القومى وأبدى هيكل اعتذاره ، إن المنصب الوزارى مع استمراره كرئيس لمجلس ادارة " الاهرام " يجعل فى يد فرد واحد من اسباب القوة السياسية مايمكن أن يحوله إلى مركز قوة ، وهو يرى أنها اساءة للنظام .. لكنه يخرج من اصرار عبد الناصر ويقبل المنصب ويبقى فيه حتى يرحل الزعيم ... ويشارك هيكل فى اختيار رئيس مصر ويشارك فى ضبط ايقاع الحركة السياسية فى مصر بعد رحيل عبد الناصر وفى يوم ٣ من اكتوبر ١٩٧٠ قدم هيكل استقالته من وزارة الارشاد مفضلا موقعه فى " الأهرام " ليكون بعيدا عن الصراعات ويشارك ايضا فى اختيار وزراء السادات وفى ٣١ يناير ١٩٧٤ يختار السادات هيكل مستشارا له ولكنه يقلبه من رئاسة مجلس ادارة " الاهرام " ويكتب هيكل اخر مقال له فى الأهرام " بعنوان " ظلال وبريق " فى أول فبراير ١٩٧٤ ليختم ٧٣٤ مقالا وتحقيقا صحفيا بالاضافة إلى ٢٦٢ محضرا رسميا لجلسات محادثات الوحدة الثلاثية بين مصر والعراق وسوريا .

ويعد أن ترك " الاهرام " توالى اسهم الهجوم عليه حتى بلغت مساحة الهجوم عليه فى الصحف خاصة عام ١٩٧٧ فى جريدة " الأهرام " ١١٦٤ سنتيمترا وبلغت ١٤٧٣ سنتيمترا فى الجرائد الأخرى من العام نفسه وهذا على سبيل المثال لا الحصر .

ومع بداية ١٩٧٥ بدأ هيكل يكتب سلسلة مقالات تنشر في عدة صحف عربية خارج مصر ،
وآلف عددا من الكتب اعتبرها السادات اكبر مصدر لنزع شرعيته فزاد من حملته ضد هيكل عن
طريق استكتاب العديد من حملة المباخر وتلفيق اتهامات واهية له وتنتهى هذه الصدامات باعتقاله
فى ٥ من سبتمبر ١٩٨١ ويفرج عنه بعد ثلاثة أشهر .
نموذج لتقرير عرض الشخصيات المعنوية :

وفيما يلي نقدم تقريراً عن عرض شخصية معنوية أو اعتبارية عن حركة
المقاومة الاسلامية الفلسطينية (حماس) والتقرير بقلم خالد محمد على
تحت عنوان (فيش وتشبيه حماس)^(١)
٠٠ وفيما يلي نص التقرير الذى حرص فيه الكاتب على التركيز على
تصوير ملامح شخصية (حماس) ومدى تأثيرها فى مجال الصراع
الفلسطينى مع اليهود .

فيش وتشبيه حماس

تقول قراءة البصمة الأولى لحماس إن الشيخ المريض احمد ياسين حاول أن يملأ فراغ المزاج
الوطني الفلسطيني عندما بدأت انتفاضة اطفال الحجارة فى عام ٨٧ كان همه تحويل كل طفل
فلسطينى إلى جنرال كبير يقلق مضاجع اليهود المحتلين .. وتعرضت هذه الرؤية لاختيار شديد
القسوة عندما اغتال العدو عقلا مفكرا لكل حلقات النضال الفلسطيني هو ابو جهاد فى ابريل
١٩٨٨ .. وكان الأوطان تطويها الأحزان على أبطالها ولكنها لاتموت كمدا عليهم فقد استمرت
الانتفاضة واشتد عودها وحدثت متغيرات جديدة على الساحة .

ذهب أحمد ياسين الى ساحة الشعب الفلسطيني وتحديدا فى غزة ليستخرج شهادة ميلاد لحماس
فى ١٤ / ١٢ / ١٩٨٧ وحملت شهادة الميلاد بنودا صاغتها تجربة " العراك " مع اليهود فالجهاد
فقط هو طريق وحيد لعودة احتضان الوطن ومتعة الصلاة بأمان فى أولى القبلتين وثالث الحرمين
، ولأن العدو كان قاسى المراس ويمثل رأس الحرية لاغنياء الكون فى حريهم .. أن يكونوا
دائما اغنياء ولأن أنظمة العرب لم تعد تؤمن بصوت البندقية ودانه المدفع ولكنها ارتقت الى لغة
الشجب والأدانة فكان أمام أحمد ياسين إما الانضمام إلى جيوش العرب التى تحارب اليهود
باطلاق قبضة الوعيد فى الهواء وإما البحث عن جيش من الجن ولكن من الذين امنوا ، فاهتدى إلى
قطاع من الناس يعشقون الموت اكثر مما يعشق اليهود الحياة ، ويعلمون تفاصيل طبقات الأرض

(١) جريدة الأسبوع العدد (٣٣) بتاريخ ٢٩ سبتمبر ١٩٩٧ ص ٦ .

كثير مما يعلمون عن الطرق والكبارى ولأن عز الدين القسام جمع القومى بالدينى فى مقاومته لاحتلال فلسطين فقد اختار احمد ياسين لجناح الحركة العسكرية اسم " كتائب عز الدين القسام " حتى يعلم اليهود ان الموت لن يقتل المقاومة .

اما حديث البصمة الثانية فى دفتر احوال حماس فقد كشف عملية الهروب الكبرى التى نجحت بها كتائب القسام فى الافلات من خطيئة ذبح الشقيق أو طعن الصديق ولم تسجل بيانات العملية " روحا " عربية واحدة ازدهقتها ايدى حماس ولكن الذين اسقط الوطن وثائق انتسابهم إليه عندما ارتضوا احتساء دماء ابنائه على " شرف " العمالة لمشروع الاغتصاب فهؤلاء وهؤلاء فقط لاحقتهم رصاصات حماس ولكن بعد ان رفضوا رسائل التوبة وكان لابد من تنظيف الطريق فى عامى ٨٧ ، ٨٨ قبل تنفيذ عمليات كبرى تدق أجهزة الانتذار فى تل أبيب وواشنطن وربما فى كل عواصم الغرب ، وقد كانت الخطوات واثقة وكأنها قد عزلت اذانها وأبصارها عن سماع أورؤية المعلقين والمنظرين الذين أقسموا أن نهرا أحمر بلون الدم الفلسطينى سينفجر مع تشريف عرفات وشرطته بيتادقهم الإسرائيلية إلى غزه المعقل الأول وغرفة القيادة الكبرى لحماس .

ولكن وصية أحمد ياسين الأخيرة قبل اعتقاله فى مايو ٨٩ ظلت دائما جهاز تنبيه فى بيانات الجناح السياسى وقروا كل رصاصاتكم لليهود وللإهود فقط . وعندما دخل عرفات وصحبته غزه كان شيوخ وشباب حماس فى الصفوف الأولى لمستقبله وكما تمنى شيمون بيريز أن يصحو من النوم ليجد غزه فى عرض البحر بعد فشل أجهزة فى ملاحقة نشاط ، حماس راهن وتمنى مخططو السياسة الصهيونية أن تحترق ورقة حماس من الشجرة الفلسطينية تحت لهب عرفات المتعشش السلطة على ارض بعيدة عن المنافى ، ولكن حديث الواقع وتفصيلات البصمة الثالثة تسلفت إلى عزيمة عرفات كل أوراق الشجر فى حارات وفضاء الخليل تنتمى لحركة المقاومة وإن وجدت بعض صقور فتح بين أغصانها .

وعندما طلب عرفات منحه فرصة اختبار النوايا اليهودية بعد أوصلو ٩٣ سلمت حماس المزاج الفلسطينى لعرفات طوال العام وعندما تكشف نوايا " تفسير بنود " أوصلو حول الاتسحاب من الأراضي أو من " اراضى " أطلقت حماس قنابلها البشرية الأولى فى ابريل ٩٤ معلنة عن تطبيق سياسة تقتت اجساد الطهر لللمة اشلاء الوطن .

وكان الرد الثانى فى ابريل ايضا على مقتل ٢٩ مصليا فى الحرم الابراهيمى وتتوالى بيانات الأجساد الملقومة نقاط ضوء وزهو أعوام ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ وكانت العمليات الأخيرة فى نهاية يوليو هذا العام وبداية سبتمبر قد أعلنت تحدى أعتى أجهزة الأمن فى العالم عندما فشلت الـ C. L. A والموساد فى التنبؤ أو كشف منفذى العمليات حتى بعد الادعاء الأخير الذى اعلنه نتياهو ليكون مبررا لعرفات كى ينفذ الطلب اليهودى الأمريكى وضرب المزاج الوطنى للشعب الفلسطينى ، ولكن

رئيس المخابرات اليهودى السابق ذكرنا أن حماس ليست حركة أو حزبا سياسيا ولكنها مزاج يهدأ ويلتهب وفقا للمخاطر التى تحوطه . مع ذلك لم يتوقف الصهاينة عن مؤامراتهم الجبانه لاغتيال القادة سلسلة نورانية من الأسماء يحاولون زيادتها كل يوم : ابو جهاد ... فتحي الشقاقي .. يحيى عياش .. ولأن الحرب الصهيونية القذرة ضد حماس لحدود لها فقد حاولوا ايضا اغتيال خالد مشعل فى الأردن عبر عملاء كنديين .. هذه الاغتيالات لاتهنز احدا وإنما تتدفق عبرها دماء جديدة تبقى على النضال الوطنى الفلسطينى فتيا لايقهر .. لو علموا أن كل يحيى عياش يقتلونه ينبت الف يحيى عياش جديد لتوقفوا عن ممارسة غيائهم .. الحركة الآن تتعرض لاختيار جديد على يد عرفات وسلطته .. عرفات ينفذ مطالب أمريكية لحرق البنى التحتية لعماس .. وحماس تلبى نداءات اعشق وأبقى .. الوطن - الانتماء - الله .

* * * * *

قائمة المراجع

=====

أولا : كتب

- * ابراهيم إمام (دكتور)
 - دراسات فى الفن الصحفى (القاهرة - مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٢)
 - الاعلام والاتصال بال جماهير (القاهرة - مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٥)
 - * ابراهيم عبد القادر المازنى .
 - صندوق الدنيا (القاهرة - دار الترقى للطبع والنشر ١٩٢٩)
 - * ابراهيم عبده (دكتور) .
 - روز اليوسف سيرة وصحيفة (القاهرة مارس ١٩٦١)
 - تطور الصحافة المصرية وأثرها فى النهضة الفكرية والاجتماعية (القاهرة ١٩٥١)
 - * أحمد أمين
 - فيض خاطر - الجزء الأول
 - * جلال الدين الحمامصى
 - المندوب الصحفى (القاهرة - دار المعارف ١٩٦٣)
 - من الخبر الى الموضوع الصحفى (القاهرة - دار المعارف ١٩٦٥)
 - الصحيفة المثالية (القاهرة - دار المعارف ١٩٧٢)
 - * جمال الدين العطفى (دكتور)
 - حرية الصحافة - الجزء الثانى (القاهرة ١٩٧٤)
 - * حسنين عبد القادر (دكتور)
 - الصحافة كمصدر للتاريخ (القاهرة ١٩٥٨)
 - * دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر .
 - الموسوعة العربية الميسرة (القاهرة - الطبعة الثانية ١٩٧٢)
 - * عبدالعزيز البشرى
 - فى المرأة (القاهرة - طبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٧)
 - المختار

- * عبد اللطيف حمزه (دكتور)
- المدخل فى فن التحرير الصحفى (القاهرة - دار الفكر العربى - الطبعة الرابعة ١٩٦٧) .
- أدب المقالة الصحفية فى مصر / الجزء الثالث
- * فاروق أبو زيد (دكتور)
- فن الكتاب الصحفية (القاهرة ١٩٨١) .
- * الفيكونت فيليب دى طرازى
- تاريخ الصحافة العربية (أربعة أجزاء) بيروت ١٩١٣ - ١٩١٤ - ١٩٣٣ .
- * كارل وارين (ترجمة عبد الحميد سرايا)
- كيف تصبح صحفيا (القاهرة ١٩٦٥) .
- * محمد فريد محمود عزت (دكتور)
- جريدة الكشكول المصور - رسالة ماجستير خطية - مقدمة إلى قسم الصحافة كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٧١)
- دراسات فى فن التحرير الصحفى / فى ضوء معالم قرآنية (جدة - دار الشروق ١٩٨٤)
- قاموس المصطلحات الاعلامية / انجليزى - عربى (جدة - دار الشروق ١٩٨٤) .
- * محمود أدهم (دكتور)
- أسماء على الصفحات (القاهرة ١٩٨٨)
- * محمود فهمى (دكتور)
- الفن الصحفى فى العالم (القاهرة - دار المعارف ١٩٦٤)
- * نعمات أحمد فؤاد (دكتور)
- أدب المازنى

ثانياً: جرائد ومجلات

* جريدة أخبار اليوم

- اعداد مختلفة بتاريخ ٦ / ٤ / ١٩٩٧ - ٣ / ٥ / ١٩٩٧ - ١٣ / ٩ / ١٩٩٧ .

* جريدة الأسبوع

- اعداد مختلفة بتاريخ ٥ / ٥ / ١٩٩٧ - ٢٢ / ٩ / ١٩٩٧ - ٢٩ / ٩ / ١٩٩٧ .

* جريدة الأهرام

- اعداد مختلفة بتاريخ ١٠ / ١١ / ١٩٩٢ - ١١ / ٣ / ١٩٩٧ .

* جريدة المدينة المنورة (السعودية) بتاريخ ٢٩ أكتوبر ١٩٨٩ .

* مجلة الثقافة

- اعداد مختلفة بتاريخ ١١ / ٤ / ١٩٣٩ - ١٦ / ٥ / ١٩٣٩ .

* مجلة الرابطة الاسلامية بتاريخ أغسطس ١٩٩٠ .

* مجلة روز اليوسف (اعداد مختلفة خلال عام ١٩٢٨) .

* مجلة الشباب (اعداد مختلفة بتاريخ مايو ١٩٩٥ - مارس ١٩٩٦ - يوليو

١٩٩٦ - نوفمبر ١٩٩٦ م .

* مجلة الكشكول المصور (اعداد مختلفة اعوام ١٩٢١ و ١٩٢٨)

* مجلة اللطائف المصورة اعداد مختلفة عام ١٩٢١

محتويات الكتاب

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة	٢
الباب الأول : فن المقال وأهم أنواعه	٤
الفصل الأول : تمهيد حول المقال وأقسامه	٥
الفصل الثاني : المقال الأدبي وأنواعه	١١
المبحث الأول : المقال القصصي	١٢
المبحث الثاني : مقال الاعترافات	٢٢
المبحث الثالث : مقال الخواطر والتأملات	٣٠
المبحث الرابع : المقال الكاريكاتورى	٢٨
المبحث الخامس : المقال النزالي	٤٧
الفصل الثالث : المقال العلمى وأنواعه	٥٨
الفصل الرابع : المقال الصحفى وأنواعه	٦٧
المبحث الأول : المقال الافتتاحى	٧٠
المبحث الثانى : العمود الصحفى	٨٠
المبحث الثالث : اليوميات الصحفية	٩٣
المبحث الرابع : المقال التحليلى	٩٤
الفصل الخامس : الإسمية واللاإسمية فى الصحافة	١١١
الباب الثانى : فن التقرير الصحفى وأهم أنواعه	١١٦
الفصل السادس : مفهوم التقرير الصحفى وكتابته	١١٧
الفصل السابع : التقرير الاخبارى	١٢٢
الفصل الثامن : التقرير الحى	١٢٧
الفصل التاسع : تقرير عرض الشخصيات	١٣٢
قائمة المراجع	١٤٠
محتويات الكتاب	١٤٣

